

آيات من التصوير الضوئي مختارة
من المعرض السادس الذي افتتح
في دار جمعية محبي الفنون الجميلة
بالقاهرة في ٢١ ديسمبر ١٩٣٨





[تصویر بدیع فہمی]

نفاؤل



وِمْهَرَة

[تصویری بدیع فہمی]





مولد الليل

[تصوير الدكتور أحمد موسى]

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الرابع والتسعين

١٠ ذي القعدة سنة ١٣٥٧

١ يناير سنة ١٩٣٩

الديمقراطية

في العصر الحاضر

موضوع الديمقراطية في هذا العصر ، يشغل الافكار ويقلق النفوس ولا سيما نفوس الذين شربوا وترعرعوا على ان النظم الديمقراطية هي خير ما ابدعه الاختبار لتثقيف الروح الانسانية والسمو بها ، ولتنظيم المجتمع وسياسة شؤونه ، او هي خير حل عرف حتى الآن لتلك المشكلة الاساسية في تنظيم الجمعية السياسية ، مشكلة احكام التوازن بين السيادة والحريّة. فنحن عندما نلقت يمنة ويسرة نجد ما يحيرنا من انقسام وتخاذل وجدل في ناحية يقابلها حزم وقصد واتحاد — او ما يبدو اتحاداً — في الناحية الاخرى. هذا الصراع بين الدول التي لا تزال آخذة بنظام الحكم الديمقراطي والدول التي عدلت عنه الى مبدأ الزعامة ، يدور على مطامع مادية خاصة بالحدود الجغرافية والقواعد العسكرية والمصالح الاقتصادية — يسمو شأنها او يقل — ولكنه يبدو لنا صراعاً بين نظم الحكم نفسها. فيقف بعضنا من هذا الصراع موقفاً تملّيه علينا زعامة الخاصة فيحكم حكماً حاسماً لا رادّ له بصلاح هذه وفساد تلك ، وبعضنا يقف محيراً يبحث ويتأمل في مزايا هذه النظم ومساوئها ويحاول ان يوازن ، لعلّه يخرج من الموازنة برأي مستقيم الا ان الانتصارات الباهرة التي احرزتها الدول الآخذة بمبدأ الزعامة في حلبة السياسة والحرب او التهديد بها في العهد الاخير ، والنكوص الذي باءت به الدول الاخرى ، يحملان كل من يتصدّى لبحث الديمقراطية في هذا العصر على ان يتروّى قبل الاقدام ، لان كل بحث من هذا القبيل

يقضي من صاحبه خلتين على الاقل : خلة الشجاعة وخلة التأني

أما الشجاعة فلا أن كل كلمة تقال دفاعاً عن الديمقراطية تضع قائمها في هذا العصر في منزلة المدافع عن حقوق الملوك المنزلة إبان سورة الثورة الفرنسية في ختم القرن الثامن عشر فيُرمى بكل حجر من القول . ذلك ان الديمقراطية تبدو الآن في حالة جزر بعد مدّ طال قرناً ونصف قرن في طورها الحديث . واذا كان من غير العجيب ان نسمع من زعيم الكتائب السود ان الفاشستية أخذت تدوس بقدمها جثة الحرية المنتنة، فالعجيب ان نرى رجلاً كالستر ولز الكاتب الانكليزي يعلق كل امله في مستقبل العالم بقيام فئة من رجال العلم والصناعة على ادارة شؤون البلدان كما تدار الشركات الكبيرة — وهو ما يعرف في الولايات المتحدة الاميركية بالتكنوقراطية — وقد بسط رأيه هذا في غير واحدة من قصصه الاجتماعية ولا سيما قصة « عالم وليم كليسولد » . ولا يقل عنه عجباً برناردشو الكاتب الاشتراكي عند ما يشبه الانسان بسمك الاغوار ، اذا ارتفع من الغور الى السطح تنفخ حتى ينفجر . كذلك الانسانية في رأيه لا يمكن أن تسودها المساواة ولا بد من بقاء الطبقات فيها على تفاوت دائم بينها . بل اعجب من قول شو وولز ، قول نورمن آنجل ، ذلك الاشتراكي الصميم ، الثائر على الاستبداد ، المناوئ للطغاة ، فانه يقول على ما روى الاستاذ كاتلن ، ان صوت الشعب هو صوت الشيطان

فالاصداء تتجاوب من روما الى برلين الى موسكو الى طوكيو الى بعض زوايا باريس ووارسو وبوخارست وغيرها ، بان القضاء على الديمقراطية ، هو الخطوة التالية لتأمين الحضارة في العالم وهو مناقض لصيحة ولسن في اثناء الحرب العالمية عندما قال ان القضاء على الروح العسكرية هو الخطوة اللازمة لتأمين الديمقراطية في العالم . فالديمقراطية في روعهم وهم من أوهام الاحرار . وربة الحرية قد اسلمت الروح وانتنت جثتها . لذلك كانت الشجاعة لازمة لمن يتصدى للدفاع عن الديمقراطية ، لان من يدافع عن شر زائل — والديمقراطية في عرفهم هي هذا الشر — مرمي حتماً باحدى اثنتين إما انه مصاب في عقله وإما انه رجعي خطير

اما التأني فلا بد منه ديدناً للباحث في هذا الموضوع . لان الصراع بين نظم الحكم في البلدان التي نصفها بالديمقراطية ، ونظم الحكم في البلدان التي جرينا على نعتها الديمقراطية ، صراع عنيف شامل يتناول نواحي المشكلات السياسية الدولية ، ويزج في درودره باقطاب الحكومات ، ثم لا يتعفف عن تشريح كل ما يتعلق بالكرامة الانسانية في ظل النظامين مما يتصل باعرق النزعات الروحية والاجتماعية . فكل اشارة غير قائمة على التجرد عن الهوى والتأني في الحكم يبرم بها هؤلاء واولئك ، ولا سيما اولئك لان البحث والمناقشة والموازنة لا مكان لها في فلسفتهم

ثم من نحن حتى نتصدى للحكم ! ولست اوجبه هذا السؤال باعتبار اتنا في الشرق دون اهل الغرب لانستطيعه ، بل اريد ان الباحثين في الشرق والغرب جميعاً عاجزون عنه . فنظم الحكم

سواء أذكرنا توربة كانت ام ديمقراطية، مظهر من مظاهر الاجتماع والاقتصاد وثقافة الروح والذهن، والحكم الفاصل في مصيرها غير ميسور لمن يكون مغموراً بحسناتها او سيئاتها . انما الحكم للزمن والتاريخ عند ما تنتظر الحوادث وملايساتها وآثارها نظراً مشارفاً . فاذا اشتط الباحث في هذا البحث الدقيق، وتنكب جادة الثاني وغلا في القول ، تأييداً لهذا او ذاك، او تجريحاً وهدماً ، كان مصير كلامه على الغالب من اذن الى الاذن التي تقابلها

وقبل ان أمضي في البحث الى قلب الموضوع أريد ان أقول انني لا أعتقد ان الديمقراطية هي النظام الكامل لحكم الشعوب . وسنشير الى نقائصه بغير رحمة ولا هوادة . وانما المسألة التي أمامنا ليست هل النظام الديمقراطي هو النظام الامثل ، بل هل هو أقرب الى النظام الامثل من النظم الأخرى المقترحة او لا ؟ فكثيرون من المصلحين ينسون احياناً انه لا يكفي ان تؤدي اصلاحاتهم الى ازالة الشرور والمساوي القائمة بل يجب ان ينظروا ايضاً الى ما قد ينبت في ظل النظام الجديد المقترح من شرور قد تكون أفدح من الشرور المزالة

وللديمقراطية معان كثيرة الا أننا سنستعملها في هذا البحث بمعنى النظام السياسي الذي أفضت اليه فكرة سيادة الشعب ، نعني النظام النيابي . والمجالس النيابية قائمة على فرضين ، أولهما انه من حق كل فرد وكل جماعة او طبقة اجتماعية ان تطالب الحكومة بتحقيق مطالبها جهد المستطاع . وثانيهما ان البحث خير طريقة لتدبير شؤون الانسان لان العقل أفضل أداة كشفها الانسان لتبين الصالح والطالح ، كما نبيّن له الصائب والخطأ . بوجه عام

وليس ينكر ان المجالس النيابية في البلدان الديمقراطية تقترب احياناً من الصورة الخزية التي رسمها بها خصومها : خطب طويّلة عملة ، فيها ثرثرة ، وفيها جهل ، وفيها غرض ، وفيها محزب حتى ليسأل الباحث عند ما يسمع او يطالع بعض هذه الخطب ، حقيقة أصاب هؤلاء قسماً من التعليم . الا أننا بعد لأي ، نسأل ، هل هذه الصورة تمثل النظام نفسه كما يجب ان يكون ، او هي تمثله في حالته الحاضرة الناقصة وتصف الرجال الذين يشغلون مناصب معينة فيه . والجواب بالنفي عن الشق الاول وبالايجاب عن الثاني . فالانقلابات الشعبية التي وقعت في بعض البلدان وأفضت الى قيام الحاكمين بأمرهم فيها انما وقعت لان الشعب ثار على طمع القائمين بالامروجهام . وفي هذا دليل على ان الانتخاب العام ، والاعراب عن مشيئة الشعب بواسطته لا يتجه حتماً ، كما يزعم خصومه ، الى اختيار المشرعين الجبهة الطاعين . والنواب الذين هذه صفاتهم ليسوا اجزاء اساسياً من النظام التشريعي الديمقراطي . انهم في منزلة ندماء الشر عند الملوك ، ومشيري الخطاء عند الطغاة

ومما يستوقف النظر ، ان كل حركة معادية للديمقراطية في هذا العصر ، تتجه خاصة الى إنكار مبدأ العقل . فدعاة الملكية في فرنسا يريدون ان يحلوا محل العقل ، ما يطلقون عليه

الزعمة اللاتينية ، او — التقليد اللاتيني — حتى يحتكموا اليه عندما يحزب الامر وتتوغل الطريق .
والفاشستيون الايطاليون ، يتغنون بروح الامة ، والوطنيون الاشتراكيون بالذات العنصرية ،
والشيوعيون بمصالح العمال الاقتصادية . وكل محكمة من هذه المحاكم هي مجلس قائم على غير
العقل . وكل منها فوق النقد . ثم يقوم فرد يزعم انه لسان هذه الزعمة او تانك الروح او
تلك الذات . وانه لمن العجيب وقد انقضت ثلاثة قرون من البحث العلمي ، اسفر خلالها
انطلاق روح النقد عن اعظم النتائج ، ان تجد في هذا العصر من يعتقد ، ان في الوسع الوقوع
على شخص فرد ، يتركز في شخصه كل العلم والحكمة والعدل ، حتى يصح ان تطلق قوته
السياسية من كل قيد ، وترفع فوق كل بحث

من وجوه النقد التي توجه الى المجالس النيابية ، انها « جماعات مناظرة » . وهذا ما يسلم
به الديمقراطيون انفسهم . لانهم لا يجدون ثناء أعظم من هذا الفناء . فعندهم انه يندر بين مشروعات
القوانين ، مشروع يجب ان يقر بغير بحث ومناقشة . اذ ابن نجد رئيساً لدولة ، او رئيساً لوزارة ،
او عضواً في مجلس نيابي ، بلغ من الكمال بحيث لا تكون آراؤه في غير حاجة الى التخصيص
او التوضيح او النقد . وليس عندنا في ما نعرفه من عبر التاريخ ما يدل على ان هذا الرجل
متاح . هل الناس احكم الآن ، او اقل اثره ، او اشد تساهلاً ، مما كانوا في سابق العصور ؟
قلّبوا النظر في نواحي الحياة الاجتماعية ، تجدوا كل وجه من وجوه التنصب الاجتماعي التي
عرفت في الماضي ، ومن اليقين ان الحاجة الى النقد في هذا العصر اعظم جداً منه في اي عصر
سلف لما تحوكة الدعاوات المغرضة ، من غشاوات تلقى على الأَبصار والبصائر

من السهل ، ان ترفع الصوت بالتبرم والتذمر ، عند ما ترى عضواً في مجلس نيابي او جماعة
من الاعضاء يقفون كالسد دون سير مشروع ما سيراً عاجلاً الى سجلات القوانين .
ان التبرم بعمل هؤلاء قد يخيفهم لانه تهمة اجتماعية كبيرة قوامها عرقلة اعمال التشريع . ولكن في
حد نفسه دليل على ضرورة العرقلة الى حد ما . لان كل مشروع صالح تقدمه الحكومة القائمة
يجب ان يكون قادراً على الثبوت عند ما تنور حواليه اطاصر النقد . ولست اتصور احداً منكم
يعتقد ان كرامة توضع في الفم او جرعة زيت خروع تفرغ فيه او سوطاً يلهب به الظهر دليل
يقام على صحة او خطأ ، او نفع او ضرر . انها قد ترغم ولكنها لن تقنع .

ومما لا يب في ان بعض اعضاء المجالس النيابية في شتى البلدان يعتمد احياناً على حقه في حرية
البحث لعرقلة مشروعات يعرضها خصومهم . عرقلة غير مجدية ، ولكن يقابل هذا ان العرقلة
افضت في كثير من الاحيان الى نقد صالح استبعد كثيراً من وجوه النقص من القانون المعروض

أوجب ان نعتقد ان طغاة البدان الدكتاتورية لم يخطئوا لجرّدر أنهم غير مقيدين بمجالس نيابية او صحف حرّة توجه النقد الى اعمالهم ؟

ثم هناك مأخذ آخر على الحكومات النيابية وهو ضعف كفاءتها inefficiency وليس ثمة ريب في انه اذا طلبنا الكفاية وحدها ، وقد منّاها على كل شيء آخر من شؤون المجتمع ، فالملك المطلق والزعيم الحاكم بأمره خير من الملك المقيّد ورئيس الجمهورية . فارادة رئيس الدولة المقيّد محدودة بالمجلس النيابي ، يناقشها ويؤخرها ويعدّل فيها واحياناً يأبأها . وهذا يفضي ولا ريب الى ضعف الكفاية . ففي زمن الحرب تقدّم الكفاية على العدل . وليس بالشاذ ، ان يكون جميع الحاكمين بأمرهم ، او المتطلعين الى هذا النوع من الحكم ، يضرّبون على وتر «الخطر القومي» لكي يثيروا في اقوامهم ذلك الاحساس بالنضال الذي يقتضي تقديم الكفاية على العدل . فكل رجل عاقل يسلم بان يحكم حكماً مطلقاً عند ما يعرّض هو وجماعته لخطر داهم . والحاكمون بأمرهم يعرفون ذلك فينقرون عليه . ومع ذلك فالديمقراطية نفسها لا تحول دون هذه الكفاية إطلاقاً . فنحن نجد بلاداً ديمقراطية عريقة كالولايات المتحدة الاميركية تمنح رئيسها في زمن الحرب سلطة مطلقة . فالنظم الديمقراطية لا تحول دون الكفاية في الازمات والاوقات الاستثنائية ولكن هل الكفاية هدف اجتماعي اعلى ؟ فنحن عند ما نبجّسها ونحللها نجدها أخصر وأسرع طريق الى تحقيق رغبة ما . ان صاحب المصنع يعرف ما يريد وعلى مصنعه ان يخرج البضائع التي يريدّها في أقصر وقت وبأقل ثمن . تلك هي الكفاية . الا ان الحكم على الكفاية نفسها يجب ألا يهمل ايضاً الغرض الذي تتجه اليه . ولا سيما في الشؤون الاجتماعية . فقد يكون صاحبنا سكيراً كفوءاً . او لصاً كفوءاً . ولكن الكفاءة مقياس لقيمة الاسلوب . وليست بحال ما مقياساً لقيمة الهدف . فصاحب المصنع يريد سيارات او أحذية او غازات حريرة ، فيسير في صنعها على اكفأ اسلوب بغير نظر الى هل هذه السيارات او الاحذية او الغازات الحربية مفيدة او ضارة ، الا من ناحيته الخاصة اي ناحية الربح المادي

أما رئيس الدولة فعليه ان ينظر في الاهداف . وان يقيس قيمتها من الناحية الاجتماعية القومية . والهدف الاعلى الذي يتطلع اليه هو العدل . فالكفاية ، مهما تباع من التمام ، لا تسوّغ كونها كفاءة في سبيل هدف غير عادل . لذلك لا يمكن ان يحكم على الحكومة من هذه الناحية ناحية الكفاية ، كما نحكم على مصنع او متجر . وكل تمثيل منزع من ميدان الاقتصاد تمثيل خاطيء ثم يأخذ على النظم الديمقراطية ان رجال المجالس النيابية أدوات تسييرها من خلف ستار جماعات منظمة من أصحاب المصالح الخاصة . هنا كتلة الفلاحين وهنا جماعة العمال وهنا ممولو وول ستريت او السقي أو البانك ده فرانس وغيرها . ولست أدري هل هذه الظاهرة مما يمكن

الاستغناء عنها أو لا. ولكنها على كل حال حقيقة واقعة على الغالب. إلا أن علاجها ليس في إلغاء المجالس النيابية؟ بل في الاعتراف بوجود مصالح متباينة وتدير نظام يتيح لها أن تمثل جميعاً، بحيث يفصح أصحابها عما يريدون ويسعون إلى تحقيقه بالأساليب المشروعة.

ان من يتأمل في علاقات البشر بعضهم ببعض يعلم أنه حيث يجتمعان اثنان فهناك مصالحتان، وأنه من المرجح أن تصطدم المصلحة الواحدة بالآخرى. ثم هو يعلم أنه من المتعذر أن تحقق جميع هذه المصالح دائماً. بين مصالح الممولين والعمال اصطدام، وبين مصالح الدولة والكنيسة اصطدام، وبين مصالح اصحاب الارض وأصحاب المصانع اصطدام، وفي كل هذه الاصطدامات أما ان تنتصر المصلحة الواحدة انتصاراً تاماً، وتخذل الاخرى خذلاً تاماً، وأما ان ينفق الطرفان على حل وسط. ولما كانت الديمقراطية في رأي جميع الذين تعمقوا في درسها قائمة على التعاون، فعلى الديمقراطية ان تبحث عن الحلول الوسط في كل نزاع. ومن الواضح ان الحل الوسط لا يرضي أحداً تمام الرضا. لأنه لا يحقق مطلب فريق تحقيقاً كاملاً. وهذا ما يندد به ممثلو الطوائف المختلفة التي لها مصالح معينة. فكثرة الصناعات تعترض على نفوذ أصحاب المصانع. وهؤلاء يشكون سيطرة اولئك. والمستوردون يريدون ان تغلق الحواجز الجمركية او ان تكون منخفضة. وأصحاب المصانع يريدون رفعها. صناع السلاح يرفعون صوتهم بالعقيدة على دعاة السلام الضعاف. والوالدون يجأرون الى السماء من صناعات الاسلحة الذين يسمنون بدماء أبنائهم ضع الفلاحين في منصة الحكم، يوجهوا أعظم عنايتهم الى الريف. أحل الممولين محلهم تهمل العناية بالفلاح. خذ بقول صناع الاسلحة، واذا أولادنا تحولوا طعماً للدفاع، او حكم دعاة السلام، تصبح البلاد هدفاً سائفاً لا اعتداء خصوصها.

ان الحكم الدكتاتوري، يسهل عليه ان يحل جميع هذه العقد، فنهز بحلته. فهو حكم جماعة واحدة، وباستئصالها الجماعات الاخرى او شلها او اخضاعها، تحكم حكماً سداً الكفاءة والحمية النظام المستتب. ثم يعتمد مفكروها الى اقامة الدليل على ان الجماعة الحاكمة هي الجماعة الاساسية في المجتمع، وعليها تتوقف حياة الجماعات الاخرى او هلاكها ومن هنا تنشأ فلسفة هذه النظم، وهي لا تعدو كونها قولاً يتجه قصداً الى تسوية النظام القائم. والواقع ان طبيعة الاجتماع البشري ونشوء النظام السياسي يجعلان المهمة الاولى على الحكومة هي التوفيق بين اصحاب المصالح المختلفة. وذلك لا يكون بابادتهم ولا باعتقالهم. فهذه مهمة أساسها «العدل» وطريقتهما «الحل الوسط» ثم يؤخذ على النظم الديمقراطية انها تتخذ من المساواة بين الناس مظية الى نفوسهم واهوائهم وكلمة المساواة وان حلا رنينها في الاذن فلا وجود لها حقيقة في الواقع، وهذا القول فيه نصيب من الصحة. فقول الفرنسيين أبان ثورتهم ان الناس يولدون متساوين قول لا يقره العلم

البيولوجي ولا العلم الاجتماعي ، فالناس مختلفون في ملكاتهم من يوم يتكوّن نظفهم في ارحام أمهاتهم . ثم تزداد هذه الفروق ظهوراً بفعل البيئة الاقتصادية والاجتماعية . الا ان القول بسقوط مبدأ المساواة على اطلاقه يقتضي سقوط النظم الديمقراطية القائمة عليه ، قول فاسد ، لانه اذا انعدمت المساواة البيولوجية بين الناس ، ففي البلدان الديمقراطية ، حيث يعترف بالشخصية ، مساواة في الفرص التي تتاح للفرد ، ومساواة في الحقوق المدنية وامام القانون ، وفي هذا — اذا صين وطبق — ما يكفي ميداناً لبروز الكفايات . ولست أنكر ان النظم الاقتصادية لا تزال على غير ما يرام ، كما انني لا أنكر ان النظم الديمقراطية مقصرة عند التطبيق عما يجب ان تكون — ولعلّ تلازم نشوء الديمقراطية الحديثة وقيام النظام الرأسمالي أهم مواطن الضعف في دليل المدافع عن الديمقراطية^(١) — ولكنني أقول ان الامل في السير نحو الهدف المقصود ، في ظلال هذه النظم اكبر منه في ظلال اي نظام سياسي آخر عرفه البشر حتى الآن . ان الديمقراطية لا تقوم على مبدأ المساواة المطلقة بين الناس ، بل على احترام ما بينهم من فروق ووجوه اختلاف

اذا نبذنا النظام الديمقراطي ، فماذا نحلّ محله ؟ ان الشعوب في هذا العصر مخيرة بين نظام الحكومة الديمقراطية ، وقد اشرفنا الى نواح من محاسنها ومعايبها . وبين نظام آخر قائم على مبدأ الزمامة او الدكتاتورية ، ولا يهنا في هذا المقام هل الدكتاتورية شيوعية او فاشستية لان الخيار بين حكومة نيابية من ناحية ، وحكومة رجل فرد من ناحية أخرى ، حوله جماعة من الانصار والمستشارين ، لا يرجع الى الشعب الا لتسجيل الموافقة على أعماله . فهو حاكم مطلق ، يشرّع بمراسيم . وقد مرّ بنا في عصور التاريخ المختلفة حديث ملوك وحكام مطلّفين ، ففي وسعنا ، ان نرجع اليه نستخلص منه العبرة والارشاد

ولست اخال احداً منكم يعترض ، على ان الحاكم الحكيم ، الفاضل ، العادل — على ما وصفه الفلاسفة — جدير بان يتقلد السلطة المطلقة ، ويتسلّم مقدرات شعب بأسره . فحكيمته وعدله يحولان دون خطائه أو جورِهِ على فرد او على طبقة من الشعب . وفي صفحات التاريخ أسماء حكام لمعت حكمهم وأضاء عدلهم دياجير عصورهم . ولكن من يضمن لنا قيام هذا الحاكم في شعب آخذ بنظام الحاكم الفرد ، سواء أولد الملك والحكم ام ارتقى اليه من عامة الناس

ومع ذلك نقول من الناحية الفلسفية والعملية معاً ، انه يستحيل قيام حاكم يبلغ من الحكمة والعدل مرتبة تنزهه عن الخطاء . واذن فعليهِ — اذا شاء أن يحكم بأمره — ان يسكت الناقد الذي في وسعه ان يبين وجه خطائه . وليس ثمة شعب بلغ من الانسجام مبلغاً محا الفروق بين

(١) استمرار هذا التلازم ليس محتوماً فالديمقراطية الانكليزية حولت جانباً غير يسير من رأسماليتها الى اشتراكية معتدلة

طبقاته وأزال كل باعث من بواعث الاصطدام بين شقي مصالحها . واذن فعلى الحاكم ان يعتقل وينفي ويضطهد كل فريق من الشعب له مصالح تصطدم بمصالح الفريق الذي ينتمي إليه او على الأقل المصالح التي يريد ان يغلبها عن اقتناع او عن انسياق . لان من القواعد التي نستخلصها من دراسة تاريخ الحاكمين بأمرهم ، ان المهم في نظرهم ليس ان يكونوا على صواب ، بل ان تعتقد رعيتهم انهم على صواب . فأمر ميكافيلي لم يكن يخطئ لان مقرراته كانت تضع الحد بين الصواب والخطأ . القاعدة في البلدان الديمقراطية — او يجب ان تكون كذلك — انك اذا استطعت ان تقنع الناس بصحة رأيك فقد ربحت القضية . إلا أن الحاكمين بأمرهم يرغبون ولا يفتنون ، ولذلك يحكمون بما يقولون انه موافقة تامة فهم على ذلك أعظم الديمقراطيين ! ويرتد فريق من مؤيدي الحكم الدكتاتوري ، الى الحياة الاقتصادية ، يستمدون منها الدليل والاسناد ، لتأييد ذلك النظام من الحكم ، فيقولون ان في قدرة هذا النظام السيطرة على تنظيم الانتاج ، ويستشهدون بحالة الفوضى الضاربة أطنابها في ميادين الانتاج في البلدان التي ما زالت آخذة بمبدأ الاطلاق او عدم تدخل الحكومة laissez faire وكيف أفضت الى الازمة الاقتصادية التي أخذت بخناق العالم في السنوات العشر الاخيرة . وهو قول لا يستقيم على علانه . فالزعم ان هناك فيضاً في الانتاج نشأ عن عدم تنظيمه تنظيمًا خاضعاً لسيطرة الدولة العليا ، وأفضى الى تدهور الاسعار وما تلاه من أزمة عالمية ، لا يثبت على كثير من النقد . فن المعترف به ان ملايين وعشرات الملايين من الناس ، لا يفوزون من وسائل الحياة إلا بما هو دون سد الرمي ودفع البرد . فالقول بفيض الانتاج خطأ من هذه الناحية ، والانحياز باللائمة على فيض الانتاج خطأ كذلك ، وانما اللائمة تقع على الخطط الاقتصادية المغالية في زرعها القومية ، التي أرهقت التبادل الدولي بالحواجز والحصص وغيرها من القيود التجارية والمالية ، وعلى أثره الممولين وطمعهم نعم ان الحكومة الفاشستية استطاعت ان تبتدع طريقاً يبدو عليه انه طريق حسن لتنظيم العلاقة بين المال والعمل ، ولكن امتحانه في احوال سوية من الحياة لم يتج بعد ، وكذلك سيطرت الحكومة النازية على المرافق الصناعية وأخضعها لنظام عام ففازت فوزاً كبيراً في حذف كلفتي « التعطل عن العمل » من قاموس الحياة الالمانية الآن وأحلت محلها كلمة « الحاجة الى اليد العاملة » . ولكن أصبح ان نتخذ من ذلك دليلاً على ان مشكلة الانتاج والعمل قد حُلّت ؟ أليست الحياة الاقتصادية الشاذة وصرف كل جهد من جهود الامة الى صنع السلاح ، دليلاً على اننا ما زلنا في حاجة الى الحجة البيئة على ان الحكومات الدكتاتورية اقدر على حل مشكلات الانتاج من الحكومات الديمقراطية

ثم هناك قول بان الديمقراطية أفلست افلاساً روحياً . يقول بذلك المسلمون الفرنسيون ، فيزعمون ان الفضائح المالية ، والإدواء الاقتصادية ، والفاق القومي ، والشذوذ الفني ، والاهمال

الديني ، كانت غير معروفة في عهد الملكية قبل الثورة ، بل كان النظام واحترامه يسودان المجتمع ، ويسيران الرجال في سبيل الصدق والاستقامة ، الى ان عصفت بهم عواصف ١٧٨٩ ، ففتحت امام عيون الناس آفاقاً من السعادة الوهمية ، آفاق عهد تزول فيه الطبقات ويتساوى الناس جميعاً في مالهم وما عليهم . فاستهوت هذه الصورة خيالات الشعب ، فانصرف عن ملوكه وأقبل على اوهام السلام والحرية والمساواة والاخاء فكانت الحرب الكبرى وفضيحة ستافسكي والفن التكعبي الساقط والاحاد والمالية الدولية التي يقبض الساميون على اعنتها

وفي اقوال المملكين الفرنسيين غير قليل من صائب القول . وان كان ربط المقدمات بالنتائج ، على هذا المدى البعيد من الزمن ، من أشق الامور . وليس ثمة ريب بان كل عاقل يريد النظام ولكن ما مدهاء ؟ وما ثمنه ؟ فاذا امتدّ النظام الى اصغر صغيرة في حياة كل منا بحيث يقل روح الاقدام فينبذ يجب ان نسأل اي ثمن ندفع . والواقع ان النظام امر نسبي . ولا يمكن ان يبحث منفصلاً عن الغرض منه . وكثيراً ما نخطئ ، فنظنه غاية في حد ذاته . وهو في الواقع لا يعدو كونه وسيلة الى هدف سام هو السعادة . وما لا ريب في ان « التنظيم الاجتماعي » ذو قيمة عظيمة في حفظ السلام ، والسلام ركن لا يستغنى عنه في كل ابداع او نشاط انساني . والديمقراطية تترف بالقيود اللازمة في حياة الفرد وحياة الجماعة . الا انه كثيراً ما تكون الدعوة الى التنظيم وسيلة ، لتحقيق اغراض افراد من المتطلعين الى السلطان او المجد او الثروة

فالحاكم بأمره يجب ان يبدو في مظهر المصيب دائماً . وقد أشرت الى احدي وسائله في تحقيق هذا المظهر . ومن وسائله كذلك الدعوة الى الطاعة . فالطاعة — في رأيه — عقيدة يجب ان تبث . والمسوغ الاكبر لبثها النظام الاجتماعي وحفظ كيانه . ولما كان النظام لا غنى عنه لانه يتيح للملكات الانسانية ، بيئة تستطيع فيها ان تورق وتزهر ، فانجيل الطاعة كثيراً ما ياتي أنصاراً وأتباعاً . الا ان المجتمع الذي بانفت فيه الطاعة أقصى حدودها ، لا يعدو كونه ، مجموعة من آلات او دُمى تتحرك ، بلا ارادة او عقل ، ولا يحركها الا الشعور بوجود الطاعة . ولعل خير ما يشبه به مجتمع من هذا القبيل ، هو فقير النحل . ولعل فقير النحل هو أبلغ مثل على « الجهاز الاجتماعي » الذي يسوده النظام التام والطاعة لمقتضياته ، ولكنه جهاز لا يستطيع ان يبدع قصائد ولا ان يصنع أدباً ولا ان يصور صوراً ولا ان ينحت تماثيل ، فهو مجتمع لا علم له ولا فلسفة ولا فن . فهل هذا غرضنا ، وهدفنا من الاجتماع البشري ؟

قد يذهب بكم الظن الى انني اعترض على فلسفة « الفقير » من الناحية الاجتماعية لانني أوّمن بأسطورة « الفرد » على اطلاقها . فالفرد ، اذا نظرنا اليه على انه وحدة مستقلة الاستقلال كله ، مكثفية بذاتها الاكتفاء كله ، مساوية المساواة كلها غيرها من الوحدات ،

استطورة، قضى عليها علم الحياة، ونشوء المجتمع الاقتصادي والصناعي. ولا فائدة من انكار اننا نعتمد على غيرنا في تعليمنا ومعيشتنا بل وفي أجسامنا نفسها ومثلنا الروحية. ولكننا مع ذلك لسنا أوعية تفرغ فيها هذه الكنوز المادية والروحية. وحياتنا ليست مقتصرة على الناحية السلبية. فنحن لا نستطيع ان نأكل طعاماً في مطعم اذا لم يكن في قائمته او مواده في مطبخه. ولسكننا نستطيع ان نتخير ما نستطيعه او يوافقنا مما هو معروض علينا. فاللاعب في ميدان كرة القدم ليس حراً في ان يسير بالكرة الى ما وراء هدف الخصوم، ولكنه في الوقت نفسه ليس بمجرد آلة لنقل الكرة من مكان الى آخر في المضمار وفقاً لقوانين الحركة. حتى في الجيوش، حيث يقام أعظم وزن للنظام الدقيق، لا يمكن ان يحسب الجندي آلة. وقواد الحرب يعرفون بأن صفة الافدام ضرورية كصفة الطاعة. والواقع ان كل جماعة تأتلف أفرادها حول السعي لتحقيق غرض ما، سواء أفي اللعب كان ذلك أم في السياسة أم في الفن أم في التربية أم في التجارة، تجابه مشكلة أساسية هي اقامة الميزان بين الحرية والخضوع، او بين الحرية والسلطة. وهذان اللفظان يبدوان متناقضين، وهما متناقضان اذا طبعا على فرد واحد في وقت واحد في صدد واحد. واذن فليس في الوسع ان يكون الرجل منا مستقلاً وخاضعاً لسلطة أخرى في وقت واحد في شأن واحد. وانما لا يجوز لأي رجل عاقل ان يحمل على الخضوع في جميع الاشياء مدى الحياة فيتحول عبداً، ولا ان يكون مطلقاً في جميع الاشياء مدى الحياة فينقلب فوضوياً. ولنتخذ مثلنا على ذلك من ميدان التربية. فالمعلم يجب ان تطلق له الحرية في تدريس الموضوع الذي يعهد اليه بتدريسه، على خير ما يرى، ولكن عليه ان يقيد تدريسه، بتدقيقه في تحري الحقيقة، وبادراكه ان من حق الطلاب عليه ان تكون أقواله واضحة ومشوقة واذن فالحرية والنظام يتسقان. والقول بان الديمقراطية فوضى اجتماعية قول لا يستند الى أساس صحيح. خذوا مثلاً على ذلك الديمقراطية البريطانية، فانها على الرغم مما يتطرق الى حياتها من الاعمال النابية، ليست اكثر فوضى من فرنسا الملكية في القرن السابع عشر او اية دكتاتورية في هذا العصر. فكل حكومة قد تتساهل فتجنح ناحية الفوضى الاجتماعية او قد تشدد وتفلو في حد الحرية وتغليب الطاعة والنظام الدقيق. فتجنح الى الاستبداد. وليس هناك ريب في ان الحكومات الديمقراطية اقرب الى التساهل، لانها توفق بين مصالح طوائف مختلفة، بدلاً من ان تكون تغليب مصالح فئة ومحو مصالح الفئات الاخرى إلا ان الديمقراطية لا يجب ان تلزم جانب الدفاع فقط. فالديمقراطية نظام للحكم وصورة للحياة تلخص فيها اعلى ثمرات النضال الانساني منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا. فيها تتجلى قيمة الحياة الانسانية. وقيمة الكرامة الانسانية. وقيمة الفكر الانساني. وهي قيم تتنافى والنظام المقابل

لها. فهي بهذا الاعتبار حامية سراح الحضارة وحاضنتها. فعلينا ان نصارها ان يفاضلوا في سبيل تمكين قواعدها وأصولها في النفوس، بالتعليم في المدارس، والنشر في الصحف والكتب، وفي المثل بضربه الاقطاب الافذاذ لمعاصريهم وللأجيال التي تلي. ليست الديمقراطية نظاماً جامداً، بل هي سعي دائم الى مثل عالٍ من الحياة الانسانية، فعلى المؤمنين بهذا المثل ألا يتراخوا، في الدعوة اليه بل وفي الكفاح في سبيله. فالنفوس عندما تتأصل فيها معاني الكرامة الشخصية، وتطبع بأسلوب العلم الحديث الذي يطلب الحرية المطلقة في البحث وريادة المجاهر الفكرية سعيًا وراء الحقيقة، تستهين بالاهوال اذا اريد الحجر على حريتها، او امتنان كرامتها.

ايها السادة. في محيط التاريخ كما في محيطات الارض نوعان من التوجات. التوجات الصغيرة التي على السطح، والتيارات القوية الدائمة المندفعة في الاغوار. وليس نظام الحكم الدكتاتوري في عصرنا هذا، او ما عرفنا من امثاله في العصور السابقة، الا احد هذه التوجات الصغيرة على سطح التاريخ. اما التيار العظيم القوي في تاريخ الانسان، فهو التيار السائر من الاستعباد للطبيعة ثم للكهان والملوك والطغاة، نحو الحرية والكرامة. ان النضال في سبيلهما ينتظم حوادث التاريخ واذا كان قد اعتور هذا التيار المندفع، توجات على السطح غطت عليه وأخفته عن الانظار، فليس ثمة شك في ان التوجات زالت وهو باق سائر الى الامام.

هذا هو تراث المؤمنين بالديمقراطية. وهو تراث نفخ. وهذه هي أهدافهم. وهي اهداف تلعم عند الفضاء الابد. قد تقضي الاقدار — ونحن في غمار هذه الموجة الصغيرة التي تعبر سطح التاريخ — ان تنصب الاعواد ويلق بجهالها جماعة الاحرار. ولكنني لست أرى سبباً يدعوهم الى عقد الجبال بأيديهم. اما نحن في الشرق، فلنا في الدين الاسلامي الحنيف، والمسيحي الكريم المنق من الشوائب أعلى مُثل الديمقراطية من احترام لكرامة الانسان وفكره وخلقه. فالسيد المسيح انتقى تلاميذه من الصيادين والنبي العربي الكريم اتاح مكاناً في الذروة لمن يصل اليه بصادق ايمانه وكامل خلقه وحسن فكره وعمله. واذا كانت الديمقراطية، من حيث هي النظام النبائي في الحكم، جديدة القيام بيننا، واذا كان طريق الديمقراطية الى السعادة الانسانية طريقاً وعراً، يقتضي اليقظة الدائمة والجهد المستمر لانها التوازن الحي الدقيق بين قوات المجتمع البشري، فليكن سبيلنا الى ترسيخ قواعدها، المثل الطيب، والتعليم الصحيح، وحماية الفكر الحر. وثقوا ان الفكر الحر يمضي في نضاله يغلب ويغلب حتى يثبت على كرسى الزمن ما فيه النفع او الحق او الصلاح. فجانبنا في هذا الصراع الدائر واضح وهو الوقوف الى جانب الحريات، نعرزها وندفع عنها، وسيجيء يوم، يجتاز فيه العالم هذه الفترة المربضة، فتسكن الموجة السطحية الطاغية، ويبدو أثر التيار العميق القوي، وعندئذ نجني ثمار الكفاح

الشيوخ والشبان

بين المطرقة والسندان

للكاتب - امير بقطر

« مات في الثلاثين ودفن في السبعين »

[بطلر]

بين الشيوخ والشبان عدااء قد تقادم عهده. هو صراع لم يقف دولا به منذ الخليقة لحظة واحدة ، وحرب لم تكف رحاها عن الطحن والدوران منذ ان عرف العالم ذلك الشيخ الوقور الذي اصطلاح الناس على تسميته آدم ، وذلك الفقي المسكبر الذي شاء مؤرخو الخليقة ان يدعوه قائين . وقد يكون ذلك الصراع نزاعاً جدياً بين الحكمة والاقدام ، كما انه قد يكون ضرباً لطيفاً من المداعبة والمزاح بين أنصار الماضي والقديم ، وأنداد الحاضر والجديد . وقد يكون حرباً شعواء تتغير أوضاعها ، فهي تارة بين الاتزان والطيش ، أو التعقل والتهور ، وأخرى بين الجود والمرونة ، أو الوقوف والحركة . ومهما يكن من شيء فإن هذا الصراع سنة من سنن الطبيعة ، لن تجد لها تغييراً ولا تبديلاً ، وهو ضرورة لا مفر منها ، ووسيلة توسل بها المجتمع لحفظ التوازن ، حتى لا يسف الشيوخ الى الحضيض ، فيجروا العالم على ظهور الدواب الى الوراء أجيالاً ، وحتى لا يجمع الشبان ، فيحملون المجتمع على أجنحة الهواء الى الامام أجيالاً ومن الغريب أن بين الشيوخ من يأتي أن تتسلسل الشعور البيض الى رأسه ، فيحارب على الدوام مع صفوف الشبان ضد الشيوخ ، كما أننا نجد بين الشبان من يشتعل رأسه شيباً ، وهو بعد دون العشرين ، فيعيش طيلة عمره كالجندى الخائن ، يحارب رفاقه مع صفوف الاعداء . على أن هذا امر يغلب على الظن أنه نادر الوقوع

ألق بنظرك على مصالحة من المصالح ، أو لجنة من اللجان ، أو جماعة من الجماعات ، تجد كلاً من الفريقين المتحاربين يتهاياناً طعن الآخر الطعنة النجلاء . فالشيخ الفخور بتاريخه الطويل ،

المثقل ظهره باختبارات ومعارفه ، ينظر شزراً الى ذلك الشاب الغرّ ، ذى العود الرطيب . والشاب الفخور بأرائه الحديثة الحرّة الذى لا يتقيد بالماضى ، ولا يهاب المستقبل ، يهزأ بذلك الشيخ الذى تصلبت شرايفه ، وتخشّبت آراؤه . وقد اصططح الناس مراعاة للتقاليد ان يهزم الشبان احياناً امام الشيوخ تأدباً ، قبل ان تصبح المعركة فاصلة . واصططحوا كذلك ان يكسّر الشيوخ (الرؤساء عادة) افواه الشبان ، حتى لا تؤدى آراؤهم الى اطلاق السهام ايذاناً ببده القتال ، بدعوى أن الشبان لم تنضج بعد آراؤهم ، وان ما عليهم الاّ التأمين على قول من هم اكبر منهم سنّاً . وإن كانوا حقيقة يفوقونهم فطنة . والنتيجة في أغلب الاحيان مهزلة أو مأساة إذا شئت ، فجميع هذه المصالح والمنشآت ، على هذا المبدأ ، تديرها . او توقراطية من الشيوخ وتحرّم كثيراً من الصفات التي يتسم بها عادة بعض الشبان كالاقدام ، والابتكار ، والحماسة ، والحمية ، والقوّة . وكذلك نجد الشبان يخطئون كثيراً في الحكم على الشيوخ بالجمود ، والحفاظة ، والتردد ، والرجعية ، فتضعف فيهم روح التعاون الصحيح ، وإن أذعنوا لرؤسائهم (الشيوخ) في الظاهر ولا بدع إذا خشي الشاب الذكيّ الحب للعمل والاصلاح والتعاون ، أن تكون سنّه عتبة كؤوداً في سبيل نجاحه ، فيوهم الغير أنه اكبر سنّاً ، وأنه في طريق الشيخوخة . ولا بدع إذا خشي الشيخ الحب للعمل والنشاط أن تكون سنّه عتبة في سبيل نجاحه ، فيتصانى ، ويتصنع ، حتى يوهم الغير أنه لا يزال مرناً ، مقداماً ، في عفوان العمر . وهذا ما فعله موسوليني أخيراً ، وقد أحسن فيما فعل . وذلك أنه لما أوشك على الخمسين أوعز الى الصحف ألاّ تشير الى هذه « الكارثة » تصريحاً أو تلميحاً

ولكن ... وهذا بيت القصيد من هذا المقال — ولكن هل ترى الشباب دليل المرونة والنشاط والاقدام ، والابتكار ، والشجاعة ؟ وهل الشيخوخة دليل الجمود ، والتراخي ، والتردد والحفاظة ، والرجعية ، واللين ؟ لنترك الاجابة عن هذا السؤال الى التاريخ أولاً ، وعلم النفس ثانياً

يقول لنا المحاربون في صفوف الشيوخ ان الذهن لا يتماثل الى النضوج والانتاج ، والاستعداد للحكم على الأشياء احكاماً صائبة ، إلاّ في سنّ متأخرة ، ويقولون كذلك ان الحياة الجدّيّة لا تبدأ حقيقة إلاّ بعد الاربعين . بيد أن التاريخ يقول لنا غير ذلك ، وها كم الدليل مات كيتس Keats بعد حياة حافلة بالادب في سن الخامسة والعشرين ، وتولى پت (Pitt)

رأسه الوزارة الانجليزية في سنّ الرابعة والعشرين ، ووضع مندلسون (Mendelssohn) روايته الموسيقية الخالدة (Midsummer's Night's Dream) في سن السابعة عشرة ، وبدأت الرواية الشهيرة جين أوستن (Jane Austen) بكتابة رواياتها الذائعة الصيت في الحادية والعشرين من عمرها . ونشر كبلنج Rudyard Kipling اثني عشر مجلداً قبل بلوغه الثلاثين . وقطع لنديبرج Lindbergh المحيط الاطلسي الى فرنسا وهو في الخامسة والعشرين وبنغ ابن سيدنا في الطب والعلم والادب وهو بعد دون العشرين ، وبدأت انجلترا وتركيا وفرنسا ومصر ، تحسب حساباً لمصطفى كامل وهو اقرب الى العشرين منه الى الثلاثين

وكذلك يقول لنا المحاربون في صفوف الشبان ان الشيوخ يصيهم الهرم والهذيان والاجذاب في سن معلومة ، كما تصاب المرأة بالعمق في سن معلومة ، بيد أن التاريخ يقول لنا غير ذلك وهاكم الدليل

وضع دانيال ديفو Daniel Defoe اكثر من ثلاثين كتاباً بعد ان جاز السابعة والستين من عمره . وكتب سرفانتيس Cervantes مؤلفه الذائع الصيت دون كيشوت Don Quixote الذي يصور عصر الفروسية ، وهو في سن الثامنة والستين . ووضع الفيلسوف كانت Kant أحد مصنفاته الفلسفية العظيمة في الرابعة والسبعين . وهذا تنترتو Tintoretto من اشهر فناني البندقية لم تكف ريشته عن الرسم حتى الرمح الاخير . وقد أخرج لنا لوحته الخالدة « الفردوس » في سن الرابعة والسبعين . وهذا فردي Verdi الموسيقي الطلياني المعروف أتخف العالم بأشهر مقطوعاته الموسيقية البديعة بين الرابعة والسبعين والرابعة والثمانين . ولا تتسع صفحات هذا المقال لتدوين ما يمكن تدوينه من اعمال اولئك الشيوخ الابطال . وحسي ان اشير الى ما ألفه هولمز Holmes في التاسعة والسبعين . والى قصة فوست Faust الشهيرة التي انجزها غوته Goethe في الثمانين ، والى Crossing the Bar التي دمجتها براعة تينسون Tennyson في الثالثة والثمانين ، وأخيراً الى معجزة المعجزات ، تلك اللوحة الفنية الخالدة « معركة ليبانتو » التي وضعها الرسام الايطالي الشهير تيشيان Titian في سن الثامنة والتسعين

هذا من الناحية التاريخية . أما من الناحية العلمية ، فان علم النفس قد كشف لنا أخيراً عن ظاهرة طالما أخطأ الناس في تأويلها . فقد كان من القضايا المسلم بها الى عهد قريب — لا يتجاوز

عشر سنوات — ان النشاط الذهني ، أسوة بالنشاط العضلي ، ولا نقول البدني ، يأخذ في الانحطاط بعد سن الاربعين ، ان لم يكن قبلها بكثير . ويعزى جلّ السبب في هذا الزعم الفاسد الى عدم التفريق بين ضعف الذاكرة ، وضعف الملكات الاخرى ، كملكتي الخيال والتمييز ، وقوة الابتكار ، والمقدرة على الانتاج . ومن المعلوم ان الذاكرة تأخذ في الانحطاط بين سن الاربعين والخمسين ، غير ان كثيراً من هذا الانحطاط الذي يبدو لنا كذلك في الظاهر ، اما هو في الحقيقة شيء آخر . فالرجل متى بلغ المرحلة الخامسة من عمره ، ازدحمت ذاكراته بشتى عناصر الاختبار ، من معلومات ، وافكار ، ومسائل ، وتراكت في مخيلته حوادث الماضي ، وصور المستقبل ، فلم يعد يعاياً بتافه الامور ، أو يكثر لتفاصيل المسائل . في حين ان الشاب فقير في هذه كلها ، خلى البال نسبياً ، فيستطيع بطبيعة الحال أن يستعيد الذاكرة في سهولة ، ويسرد التفاصيل في سرعة خاطر . وما يقال عن الشيخ الكثير النسيان ، يقال عن الشاب الذي يشغل مقاماً هاماً في المجتمع . فرئيس الوزراء ، وإن كان في الثلاثين من عمره ، لا يذكر من الحوادث والارقام والمواعيد ، الا ما يتصل بمهام الدولة اتصالاً مباشراً وثيقاً ، كما ان سكرتيره وإن بلغ الخمسين قد يذكر تاريخ اليوم الذي اشترى فيه رئيسه طربوشه الجديد . هذا ما يختص بالذاكرة التي نكرر القول انها تنحط تدريجياً ، وان كان هذا الانحطاط يعزى الكثير منه الى غير السن . اما فيما يختص بالملكات والكفايات التي أومأنا اليها ، كملكات الحس . والتمييز ، والحكم على الاشياء ، والابتكار ، والانتاج ، فيقول لنا علماء النفس بالحرف الواحد « انه من المرجح ان هذه لا تتأثر بالسن »

وفي مقدمة البحوث التي كشفت لنا القناع عن هذه المسائل . ما قام به ادوارد ثورنديك ، وهو من أكبر علماء النفس ، ان لم يكن في مقدمة الاحياء منهم قاطبة . وقد خصص ثورنديك ، عدداً يذكر من مؤلفاته التي أوفت على الاربعين ، لدراسة التعلم ، وكيف تتم عملياته في الجهاز العصبي ، والى التعلم بين الكبار وبموازنته بمثله بين الصغار . ويتبين من هذه البحوث الحقائق الآتية : —

- (١) في نواحي النشاط الجثمانية التي تتطلب مرونة العضل وقوته كالسباحة والرقص والالعاب وأمثالها ، ليس ثمة شك في أن السن هي العامل الأكبر
- (٢) ان بين سن الثانية والعشرين والثانية والاربعين لا يكاد يباغ الانحطاط الذهني الا ١٥ في المائة من النهاية العظمى التي يستطيع ان يبلغها الفرد من القوة الذهنية

(٣) انه فيما يتعلق بتلقي العلوم ، وتحصيل المواد الدراسية في مراحل التعليم ، من الدراسة الابتدائية والثانوية والجامعية ، لا تتحط ملكة التعلم بين الحادية والعشرين والحادية والاربعين الا بنسبة نصف الواحد في المائة في العام

(٤) اما في غير ذلك فان ليس ثمة مما يحدو الى انحطاط الكفايات ، اللهم الا عدم الرغبة في قبول الآراء الحديثة والمحافظة ، والتعصب للماضي . غير ان هذه كلها لا يتبلى بها الشيخ الذي يتمشى مع الزمن بالمطالعة والبحث ، وتتبع الحركات الفكرية

(٥) بعد سن الاربعين او الخمسين تقل الرغبة في التعلم بطبيعة الحال ، لان الفرد يكون عندئذ قد كوّن نفسه ، واستقر رأيه على المهنة التي يزاولها ، والالعب التي يمارسها ، واللغات التي يكتبها ويتكلم بها . ولكن هذا لا يقصد به ان الكفايات قد انحطت ، او ملكات الانتاج قد تدهورت ، لان التعلم شيء ، والانتاج شيء آخر . فقد ظل المخترع الشهير اديسون يبتكر ويخترع ويعمل في معمله رغم بلوغه الحلقة الثامنة من عمره ورغم ضعف حواسه

اذا كانت الحقيقة كما ذكرنا ، فهل هناك ما يبرر ما ذكرناه في صدر هذا المقال من الصراع بين الشيوخ والشبان ؟ وهل من العدل ان يحال الموظف العامل الى المعاش ، وهو بعد مبتكر مبتدع منتج ؟ وهب هذا النظام يعود الى عوامل اقتصادية ترمى الى إحلال الشبان العاطلين مكان هؤلاء الشيوخ ، أليس مما يؤسف له أن نرى في بلادنا بعض الموظفين الاذكياء الاقوياء تحبو انوارهم ، بمجرد احاثهم على المعاش ، فلا تعود نسمع عنهم شيئاً وكأنهم دفنوا أحياء ؟

والحقيقة التي لا شك فيها ان السن لم تكن يوماً مقياس النشاط والعمل والانتاج . كما انها لم تكن يوماً دليل الجذب والعقم والذبول . ان الامر في حاجة الى الشيوخ والشبان على السواء ، فاذا كان الفرق بين الشيخ والشاب في التفكير كبيراً ، فان الفروق الفردية بين الشاب والشاب ، والشيخ والشيخ قد تكون اكبر . وما يقتبط له ان تكون هناك فروق وفروق . لانه حينها يكون التفكير متمائلاً . لا يكون ثمة تفكير البتة . وهنا اريد ان اختم كلمتي بعبارة مأثورة عن الفيلسوف الاجتماعي بطريرك رئيس جامعة كولومبيا ، ارضاء لشيوخ والشبان على السواء . وهذه هي العبارة وجبذا الحال لو نقشت على بعض القبور « مات في الثلاثين ودفن في السبعين »



محسنة الى الانسانية

مشاهد رائعة من حياة مدام كوري



احتفلت الدوائر العلمية في اواخر نوفمبر الماضي بانقضاء اربعين سنة على كشف الراحه . وقد سبق لنا ان نشرنا في المقتطف غير بحث واحد في هذا العمل العلمي العظيم وسيرة الاستاذ بيير كوري وزوجته ماري سكلودوفسكا كوري وضمنا كتابنا « اساطين العلم الحديث » فصلاً خاصاً بـ مدام كوري . وها نحن ننشر فيما يلي مشاهد رائعة من حياة هذه السيدة العظيمة مختارة من ترجمتها التي ظهرت حديثاً بقلم احدى ابنتيها ، احتفاءً بذكرى كشف الراحه في اواخر نوفمبر من سنة ١٨٩٨

لو طلب اليها ان تمثل نبل الانسانية في انسان لتمثلناه في مدام كوري ، ففي عقلها عبقرية التفكير العلمي ، وفي قلبها عبقرية الشعور السامي ، وفي حياتها آيات من التضحية ، والسمو ، والبعد عن كل ما يلطخ الخلق ويهبط به من الذرى الى التراب في سيرة هذه المرأة العجيبة آيات تليها آيات تليها آيات ، حتى لقد اصبحت آيات حياتها اجزاء من اسطورة كأنها اسطورة احدى ربوات الاغريق القدماء ، مع ان النبض في قلبها لم يقف الا في سنة ١٩٣٤ من التاريخ الميلادي

كانت ابنة شعب مستبد به ، ذكية فقيرة جميلة دعاها العلم فلبت ، ولكنها قبل ان تصبح جديرة بأسمى تقاليد العلم ، عاشت سنوات في باريس صادفة عن كل شيء الا عن التحصيل ، حتى لكثيراً ما صدفت عن الاكل والدفع ، ثم قابلت رجلاً في عبقرية ما لاءم عبقريتها ، فاتحدوا في الحياة وبعد المات ، لان ماري كوري ظلت بعد موت زوجها وهي لا تزال في التاسعة والثلاثين من العمر ، لا تنسى المثل العالي الذي ضربته في العلم الصحيح والخلق النبيل ، فما اكرمت مرة الا وكان في كلامها اشارة نبل وعطف اليه

كشفت الراديوم، في احوال ترهق من لم يكن مثلها مندفعاً بشعلة علوية . فنفثت الانسانية بعنصر جديد عجيب، وبأسلوب جديد للعلاج ، وفتحت امام الذهن الانساني مغاليق علم جديد واذا كانت ماري وزوجها بير ، في أول الطريق الخارج من كهف الظلمة والانغار والفقر المدقع ، زلت بها آية الحزن بفقد زوجها ووالد بنتها ، ولكنها على الرغم من الألم النفسي والوحدة الموحجة ، والتعب الجسماني ، مضت في العمل الذي بدأه معاً ووسعت آفاق العلم الذي خطاً قواعد الاولى . وبقي حياتها يدور حول الاعطاء الدائم والمنح المستمر . لا تحفل بنفسها بل تنسى نفسها وبناتها ، حين تقتضي منها مصلحة العلم ، او مصلحة الوطنين — بولندة وفرنسا — او مصلحة الانسانية ، بدلاً ما ، تعطي وتمنح كالشجرة الفواحة الشدا في الحقل ، لا تفكر في ما تفوح به ، ولا بمن يردده عليها ، لان حياتها في الفوح قصة جديرة بموسيقى عبقرى يخرج منها سمفونية « الانسانية النبيلة »

١ — ولدت في بولندة سنة ١٨٦٧ في بيت ترفرف في جوه اجنحة الثقافة والعلم ، ويخفق في قلوب كبار وصغار حب الوطن المظلوم . كانت صغرى ذلك البيت ، ولكنها كانت اذكي اذكيائه . فهي في المدرسة مثل يضرب في المواظبة والطاعة والوطنية وسرعة التحصيل وقوة البداهة . وهي في البيت مثل للحنو والعطف على والدها الشيخ ، والاقتصاد في ما تقتضيه من نفقات في ميزانية البيت الضئيلة . وكانت تعلم ان شقيقتها « برونا » ترنو الى طلب الطب في باريس . وانها لا تملك نفقة ذلك الطلب ، فبحثت « ماري » آية نفسها ، وكانت في التاسعة عشرة من عمرها ، ولها في حياتها آمال ومطامح وقالت لشقيقتها اذهبي انت الى باريس بما لديك وأنا أجد ما أعمله هنا فأرسل اليك كل شهر جانباً من النفقات . وبقيت هذه الفتاة ست سنوات مدربة أطفال في احد بيوت ائريف البولندي ، لكي تتمكن شقيقتها من التعليم العالي مع انها كانت تعلم ان في عقلها ملكات مدفونة تحتاج الى صقل حتى تبرز لامعة خطافة . ترى ما كان مصير « ماري » وما كان مستقبل الراديوم ، وعلاج السرطان الراديومي ، وعلم الاشعاع قاطبةً ، لو ان الزمن امتد قليلاً « بماري » وهي مدربة اطفال ، حتى خبت في نفسها شعلة التوق الى دراسة الطبيعة العالية ، فانتنت بقية حياتها مدرسة تمتازة في مدرسة ثانوية ببولندة ؟

إلا ان في الطبيعة والحياة من الحكمة آيات تجوز عقولنا القاصرة . ومن آياتها انهما لم يتحيا لماري أن تذهب الى باريس ، الا وقد تهيأ مسرح العالم لرواية « الراديوم » بكشف الاشعة السينية وأشعة بكريل

٢ — لقد كشف الراديوم وآمنت به الدوائر العلمية بعد ما انكرت وتكرت ، آمنت بقوة التجربة والبرهان الرياضي والعملية . واستعمل هذا العنصر العجيب في شفاء الامراض السرطانية الخبيثة فذاع ذكراه في كل قطر . ولكن الغرام الواحد لا يستخرج الا من مئات من الاطنان من ركاز خاص ، وبأسلوب معقد لا تعرفه الا مدام كوري : أتسجل ذلك الاسلوب وتستخرج امتيازاً به فلا تبيع استعماله الا لمن وقى لها أتاوة عليه ، كبيرة كانت او صغيرة ؟ انها اذا فعلت فليس في فعلها ما هو مستغرب او مستنكر . فقد قضت أربع سنوات تبحث عن الراديوم في سقيفة ينهمل من سقفها ماء المطر وتصرف في شقوق أخشابها ألسنة الرياح ، وكثيراً ما كانت تقضي أياماً كاملة وهي تحرك مزيجاً على النار بهراوة من الحديد تكاد تماثلها وزناً . كل ذلك وهي لا تعلم من أين تنجيء بالنفقات اللازمة للبيت وللأبتين ؟ نعم كان زوجها يدرس الطبيعة ولكنه كان يستوفي مرتباً دونة ما يكسبه المحالون

ودخل عليها زوجها في صباح ما بعيد اكتشاف الراديوم ، وقال لها لتتكلم قليلاً فيه ثم بسط لها الفرق بين التسجيل والاباحة ثم قال لها ان شركة اميركية كتبت تبغني تفصيلاً لطريقة استخراج الراديوم . فقالت (طيب) فقال وعليك ان تقرري هل نسجل هذه الطريقة كان الراديوم من مخترعاتنا أو نبيحها للعالم بلا شرط ولا قيد ، وقبل ان تقرري لاننسي الفرق بين التسجيل والاباحة ، لنا ولا بنتينا ، فرفعت رأسها وقالت : « ان التسجيل مخالف للروح العلمية » وكذلك أبيع الراديوم للعالم !

٣ — وكان الحياة أرادت ان تجلو بالموت آية الحياة في هذه المرأة ، فجيء زوجها في أحد أيام سنة ١٩٠٦ محمولاً على الاعناق وهو لا يزال في عنقوان رجولته وقد كسرت جمجمته ونثرت خلايا دماغه محجة مركبة للنقل ثقل ملابس الجنود . فكتمت لوعتها وانطوت على نفسها ، حتى خيل الى أقرب المقربين اليها ان خطراً يهدد عملها العلمي العظيم . وحينئذ نهضت فرنسا الى مستوى عظمة هذه المرأة الغربية عن فرنسا فعيّنتها خلفاً لزوجها أستاذاً في كلية العلوم بالسربون - أول امرأة تدخل السربون ندّاً بين انداد من أقطاب العلماء !

واقترب يوم محاضرتها الاولى . فهرع الى مدرج السربون الحكام والامراء والعلماء والطلاب من أجناب وفرنسيين حتى ضاقت بهم رحابه . والجميع يسألون ما يكون موقف هذه السيدة بعد وفاة زوجها . أستطيع حقاً ان تمضي في الشوط الى نهايته وحدها ؟ وقرعت الساعة الثالثة ، ففتح باب جانبي ودخلت سيدة هزيلة شاحبة مرتدية السواد فحيها

الجمهور بالهتاف ، فوقفت مرتبكة ثم رفعت يدها فساد السكون ، ثم شرعت في القاء محاضرتها . فإذا هي تصل ما انقطع من محاضرة زوجها قبيل مصرعه . لم تشر بكلمة واحدة إلى نكبتها ولوعتها وعظم خسارتها وخسارة العلم بفقده وهذا ضرب من الشجاعة الصامته جدير بأن يحتذى

٤ — إلا أن الحساسية من طبيعة النفوس الصغيرة وما كان نجاح هذه السيدة ، وذيق شهرتها إلاّ باعثاً على حملة خسيصة دبرت عليها . فشرعت الصحف تشير إليها بوصف «السيدة الاجنبية» أو «الدخيلة» ولم يتورع بعضها عن التلميح إلى أنها مدمرة البيوت — وهي التي لم يكن لها متسع من الوقت إلاّ للتفكير في الراديوم أولاً فإذا كان لها شيء من الفراغ عنيت بابتذنها وذاع نبأ هذه الحملة في وطنها الاصل ، فاجتمع علماء بولنדה وكتابها ، وأوفدوا إليها وفدًا يطلب إليها العودة إلى مسقط رأسها ، حيث يذنب لها معهد خاص بها ، تديره وتبحث فيه ، بعيدة عن الأهواء والمطامح . فأبت ، لان لفرنسا — وطنها الثاني — وللراديوم وللمعهد الخاص به الذي حلمت بإنشائه هي وزوجها معاً ، حقوقاً عليها لا تمحوها حساسة بعض الناس ومع أن أكاديمية العلوم أبت ان تنتخبها عضواً فيها بحجة أنها امرأة ، مع تأييد أعظم العلماء لها ، إلاّ أن أكاديمية الطب الفرنسية ، كفرت عما جنته أكاديمية العلوم بعد سنين فانتخبها بعد الحرب ، عضواً فيها بالاجماع

٥ — وجاءت الحرب الكبرى ، وكانت مدام كوري قد نالت جائزة نوبل مرتين — أولاً سنة ١٩٠٣ بالاشتراك مع زوجها وبكريل — وثانياً وحدها سنة ١٩١١ — وبلغت السابعة والاربعين من العمر فتلفتت حولها ، ورأت أن تطوعها ممرضة في احد المستشفيات ، أسهل طريق لخدمة فرنسا ، فلم ترض بالطريق السهل . وبحثت في حالة المستشفيات العسكرية فرائها خالية من أجهزة الاشعة السينية اللازمة لتشخيص كثير من الالل والاصابات التي تلازم الحياة العسكرية ، فقضت اربع سنوات من الجهد المتواصل ، في صنع هذه الاجهزة وتدريب من يستعملها ، واستعملها ، ونظمت فرقة جواله من السيارات بعد ما جهزتها بالمعدات اللازمة للفحص الطبي بالاشعة السينية ، ولم يثنها سننها عن تعلم سوق السيارات لكي تقود احداها بنفسها . وكثيراً ما كانت تنفق من ١٦ الى ١٨ ساعة كل يوم في التنقل من مستشفى عسكري الى آخر تعاون الاطباء في اعمال الكشف ، ولم يكن بالنادر أن تجري العمليات الجراحية والمصاب معرض للاشعة

لان ذلك يسهل معرفة مكان الرصاصة أو شظية القنبلة أو العظم المكسور وقد كانت مدام كوري تحسب نفسها جندياً في خدمة فرنسا . فاذا ذهبت الى مستشفى من المستشفيات حيث لا تعرفها رئيسة الممرضات وعملت معاملة امرأة عادية وبشيء من الخشونة كانت لا تباهي بمن هي ولا بما فعلت وانما كانت تتغلب على ما يساورها من شعور الحية بأن تذكر ان الملكة اليصابات البلجيكية كانت مثلها تقدم مؤاساة الجرحى على المكانة والمقام ومع ان مدام كوري أبت غير مرة ان يقترح اسمها لسكي يهدى اليها وسام اللجيون دونور فالمقربون اليها يعلمون انها كانت تغتبط باهداء وسام اللجيون دونور الحربي اليها بعد الحرب ، لانها كانت تحب ان تعرف بصفة الجندي المكافح ولكن هذه الرغبة الدفينة لم تجد من يفكر فيها ويحققها

٦ - وجاءتها في أحد الايام أميركية معجبة بها وفي خلال الحديث سألتها ما تبتغي لو خيرت في شيء واحد تطلبه فقالت : غرام من الراديوم أستعمله في بحوثي . فدهشت الاميركية ان تجد المرأة التي وهبت الراديوم للعالم وأباحته له طرائق استخراج المعقدة وهي لا تملك منه ما يكفيها للسير في بحوثها . فعادت الى أميركا وأقامت الدنيا وأقعدتها حتى اشتركت نساء أميركا في اكتاب عام لشراء غرام من الراديوم يهدى الى مدام كوري ، ولما قدم لها رمزه في البيت الابيض في ٢٠ مايو سنة ١٩٢١ قال الرئيس هاردينغ وهو يقدمه « نحن مدينون لك بمعرفتنا له (الراديوم) وملكننا اياه لذلك نرفعه اليك ونحن واثقون بأنه وهو في حيازتك لا بد ان يكون وسيلة لتوسيع نطاق العالم وتخفيف آلام الناس »

وما كادت تسلمه حتى وهبته لمعهد الراديوم بباريس . ثم عادت الى أميركا بعد سنوات فوهبتها سيدات أميركا غراماً آخر فوهبته لمعهد الراديوم في وارسو عاصمة بولندة

هذه صور خاطفة من حياة المرأة الفذة في عقلها وخلقتها وأثرها . ان تعديد الالقب العلمية التي انمالت عليها من اعظم معاهد العالم وجامعاته عملاً اربع صفحات كبيرة ، ولكن لا الشهرة استهوتها ولا طلب الثروة طرّفها عن سبيلها - سبيل العلم والخدمة ، فكانت حياتها سلسلة ذهبية متصلة الحلقات من الاعطاء والمنح والبذل فصحّ فيها قول جبران « ... هؤلاء يعطون كما ينشر الريحان اريج الفواح في ذلك الوادي ... بمثل أيادي هؤلاء يتكلم الله ، ومن خلال عيونهم يتنسم للارض »

(١) الألكترون

نشوء فكرته وتحقيق وجوده
وبعض علاقاته بموضوع العلاج الاشعاعي

لمصطفى نظيف بك

الاستاذ بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول

نشوء فكرة الألكترون

في علم الطبيعة

« النظرية المغناطيسية الكهربائية وما ظهر من النقص فيها » وضع « كلارك مكسول » (C. Maxwell) في مبدىء الاعوام الثلاثين الاخيرة من القرن التاسع عشر أو قبيل ذلك ، — وكان أستاذاً للطبيعة بجامعة كمبردج في ذلك العهد — نظريته المغناطيسية الكهربائية في الضوء . تلك النظرية التي يصح ان توجز فكرتها الاساسية في انها تعد الضوء تغيراً دورياً في شدة المجال الكهربائي مصحوباً بتغير دوري في شدة مجال مغنطيسي اتجاهه عمود على اتجاه الاول ، حيث ينتقل هذان التغيران في اتجاه عمود على الاتجاهين المذكورين ، بسرعة معينة يمكن تقديرها تكون هي سرعة الضوء

وقد كان دخول هذه النظرية في علم الطبيعة مبطلاً للنظرية القديمة في الضوء التي كانت تعد الضوء موجات عرضية تحدث في وسط موهوم هو « الاثير » أسبغت عليه خواص الجسم الصلب المرن فعرفت « بنظرية الصلب المرن » ، ومبطلاً للنقاش الذي نشأ عن نظرية الصلب المرن هذه بين رأي « فرينل » (Fresnel) العالم الطبيعي الفرنسي في تعيين اتجاه الاهتزازة في الضوء المستقطب بأنه عمود على مستوى الاستقطاب ، وبين رأي « نيومان » (Neumann) و « ماكولاغ » (Mac Cullagh) و « غرين » (Green) في القول بأن اتجاهها مواز لمستوى الاستقطاب

(١) موضوع الكلمة التي ألقاها مصطفى نظيف بك الاستاذ بكلية الهندسة في الاجتماع الذي عقدته الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٣٨ في كلية العلوم بمناسبة اسبوع السرطان

وفكرة الحركة الموجية التي تتضمنها النظرية المغناطيسية الكهربائية جعلتها صالحة للاحاطة بالظواهر الضوئية التي تعزى الى الحركة الموجية ، كظاهرة التداخل وظاهرة الحيود وظواهر الاستقطاب . وكانت النظرية أيضاً صالحة لشرح انعكاس الضوء ، ولشرح الانعطاف بصفة عامة . وأدت ايضاً الى نتائج كالتأثير الضغطي للضوء حققتها البحوث العملية ولكن لم تكن للنظرية في مبدى أمرها فيما عدا ذلك أدلة عمالية مقنعة تعززها . ولم توجد صالحة لشرح ظاهرة « التشتت » (Dispersion) ولا ظاهرة « التشتت الشاذ » اذا صح ان نسميها كذلك (Anomalous Dispersion) التي كانت معروفة وقتئذٍ ولا « علاقتها » بالامتصاص الخاص « أي » الامتصاص المميز (Selective Absorption)

« اتمام نقص النظرية المغناطيسية الكهربائية بنظرية توهم فيها وجود « الكترونات » لذلك رأى « لورنتز » (Lorentz) العالم الهولندي سنة ١٨٧٨ ان يقيم بجانب النظرية المغناطيسية الكهربائية نظرية يكمل بها النقص الذي بدا فيها . ويتم بها شرح « ظاهرة التشتت » وظاهرة « التشتت الشاذ » . وبنى « لورنتز » نظريته على فروض ، فتصور وجود دقائق صغيرة لكل واحدة منها شحنة كهربائية بمقدار ، فرضها موجودة في المادة بوجه عام . وفرضها مطلقة الحركة في الاجسام الموصلة للكهرباء . وفرضها مقيدة الحركة ، مقيدة بجزئيات المادة أو ذراتها في الأجسام العازلة

فاذا وضع العازل في مجال كهربائي ، ازيحت هذه الدقائق عن مواضعها الاولى ، واذا زال المجال زالت الازاحة واذا كان المجال الكهربائي يتردد أحياناً في هذه الدقائق « اهتزازة قسرية » (Forced vibration) ترددها كتردد ذلك المجال . واذا صادف ان كان تردد المجال مساوياً تردد الاهتزازة الطبيعية لهذه الدقائق ، اتسعت اهتزازتها ، وحصل « الرنين » (Resonance) وأصبحت تلك الدقائق في العازل منقاداً لذلك المجال يسيّرهما كما يسيّرهما المجال في الأجسام الموصلة لولا أن حركتها تؤثر فيها قوة تقاومها ، فيصير لاتساع الاهتزازة حد ، وتستنفد طاقة المجال بعد ذلك في الشغل المبذول للتغلب على « قوة المقاومة » هذه

تلك بايجاز الفروض الاساسية التي بنى عليها « لورنتز » نظريته والنظرية من جراء هذه الفروض المحدودة المعاني ، تصور تصوراً مقبولاً فكرة « الازاحة » في العازل ، وفكرة « تيار الازاحة » اللتين كانت تنطوي عليهما نظرية مكسول ، واللتين كان غموض معناهما في مبدى الأمر ، عائقاً الى حد ، عن انتشار النظرية وحسن قبولها لدى بعض علماء الطبيعة في ذلك العصر . وقد استطاع

« لورنتز » أن يتوصل على أساس هذه الفروض الى معادلة يقدر بها معامل انكسار الضوء في المادة العازلة ، ويثبت معادلته أن معامل انكسار الضوء يتوقف على تردد الضوء . وذلك على صفة لا تتفق وظاهرة التشتت فحسب بل تصلح لشرح « التشتت الشاذ » ويبان علاقته بالامتصاص المميز بل والتنبؤ بظاهرة لم تكن معروفة هي « الانعكاس المميز » (Selective Reflection) وفي أبان ذلك العهد شغل « لارمور » (Larmor) — وكان أستاذاً للرياضة بجامعة كمبريدج وقتئذٍ — ببحوث رياضية تناول فيها اهتزازة الدقيقة المشحونة ، وحركتها المستديرة حول محيط دائرة وحول محيط قطع ناقص وما ينشأ عن مثل هذه الحركة من الموجات الكهربائية ، أو بالأحرى المغناطيسية الكهربائية التي من جنسها موجات الضوء

« ولورنتز » لم يتقيد في نظريته أول الامر بقدر الشحنة الكهربائية على تلك الدقائق الموهومة التي فرضها . بل ولم يتقيد بنوع الشحنة : هل هي موجبة أم سالبة ؟ ولكن بحوث « فراداي » (Faraday) في اوائل العقد الرابع من القرن التاسع عشر عن توصيل السوائل للكهرباء والبحوث التي تلت بحوثه من منتصف ذلك القرن ولا سيما بحوث « هتورف » (Hittorf) و « كلوسوس » (Clausius) و « كهلراوخ » (Kohlrausch) وغيرهم من التابعين ، دلت على أن توصيل المحاليل للكهرباء يحدث بفعل « أيونات » (Ions) هي اجزاء من جزيئات المذاب مفككة ، بعضها موجب التكهرب وبعضها سالبة ، وأن اصغر مقدار لشحنة هذه الايونات هي شحنة ايون الايدروجين ، وأن شحنة الايونات الاخرى اما هي تساوي شحنة ايون الايدروجين مقداراً ، واما هي تساوي اضعافها ، فكان لشحنة الكهربائية من ذلك الوقت ولكنه لقي قبولاً حسناً لدى ناشئتهم فلم يك ما يحول دون أن تعد شحنة الواحدة من الدقائق الموهومة المفروضة في نظرية « لورنتز » هي الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ من الكهرباء . وكان هذه المناسبة ان اقترح « ستوني » (Johnstone Stoney) الطبيعي الانكليزي سنة ١٨٩١ ان يطلق على الواحدة منها اسم « الكترون » فعرفت نظرية « لورنتز » بالنظرية « الالكترونية »

والنجاح الذي صادف النظرية الالكترونية من الناحية المذكورة حث كثيرين من العلماء على تطبيقها في نواح اخرى من علم الطبيعة . فأخذت تطبق لشرح كيفية توصيل الموصلات للكهرباء وتوصيلها للحرارة ولشرح ظواهر اخرى لا محل للخوض فيها هنا تلك بما يجاز هي الملبسات والظروف التي افضت الى نشوء فكرة الالكترون في علم الطبيعة

الفهم الكشوف والبحوث العملية

التي مهدت الى الكشف عن الالكترون

غير ان الامر لم يقف عندها الحد . فقد اخذت بحوث وكشوف اخرى يتتالى بعضها في اثر بعض
 (الاشعة الكاثودية) فمن احدى النواحي انه خطر لعالم فرنسي « ماسون » (Masson)
 حوالي منتصف القرن التاسع عشر ان يمر شرارة كهربائية في فراغ « تورشيلي » الذي يعلو الزئبق
 في انبوبة بارومترية فاستوقف نظره تغير شكل الشرارة ، واضاءة ذلك الفراغ بضوء متصل يضرب
 الى الاخضر افاخذ الكثيرون يجربون امرار الشرارات في انايب معوجة ملتوية مختلفة الاشكال ،
 واتخذ بعضهم هذا الامر لهواً ومتمعة ، غير ان اصلاح مفرغة الهواء في ذلك العهد اتاح لفريق من
 العلماء دراسة الظاهرة بصفة جدية . ويكفي ان اذكر منهم اثنين او ثلاثة ، هم « وليم كروكس »
 (William Crookes) في انكلترا ، و « بلوكر » (Plucker) و « جولدشتين » (Goldstein) في
 المانيا . وسرعان ما بينت بحوثهم العملية ان احداث التفريغ الكهربائي في انايب من الزجاج
 قد خلخلت حتى صار ضغط فضالة الهواء أو فضالة الغازات التي بها صغيراً جداً ، يحدث نوعاً من
 الاشعة مصدره « الكاثود » أي القطب السالب ، اذا ما وقع على جدران الانبوب من الداخل
 أو على بعض مواد مومضة ^(١) توضع فيها ، جعلها توهض أو تلون في الظلام ، واذا ما وضع حاجز
 أو ساتر بحيث يحول بين الكاثود وبينها ، حصل للحاجر أو للساتر ظل ، دالاً ذلك على ان
 هذا النوع من الاشعة يصدر عن الكاثود وينتشر على سموت الخطوط المستقيمة . ولكنهم
 اختلفوا في طبيعة هذه الاشعة ، وانقسموا في ذلك فريقين احدهما على رأسه « كروكس »
 رأى ان طبيعتها مادية ، وسماها « كروكس » « المادة المشعة » والآخر يقوده « جولدشتين »
 رأى ان طبيعتها حركة موجية . وظل الفريقان يتنازعا . إذ لما تبين ان هذه الاشعة تنحرف
 بفعل المجال المغناطيسي اتخذ الفريق الاول هذا الامر عضداً لرأيه دون الآخر . ولما بين
 « هرتز » (Hertz) ثم من بعده « لنرد » (Lenard) أنها تنفذ خلال الصفائح الرقيقة من
 الالومنيوم وما شابهه اتخذ الفريق الثاني هذا الامر دليلاً يقيمونه على صحة رأيهم دون
 الرأي الاول . اذ كيف يتسنى لهذه الاشعة لو كانت حقيقة دقائق من المادة من قبيل جزيئات
 المادة او ذراتها ان تنفذ من مثل تلك الصفائح ؟ ثم لما بين « پران » (Perrin) في مبدئ
 السنوات الخمس الاخيرة من القرن التاسع عشر ان هذه الاشعة اذا ما ركزت في اناء أجوف

(١) استعمل الكاتب في دروسه وكتابه « البصريات » منذ زمن طويل لفظ « الوميض » للدلالة على الظاهرة
 المعروفة باسم (Phosphorescence) ولفظ « التلون » للدلالة على الظاهرة المعروفة باسم (Fluorescence)
 وللأولى فعل « أومض » وللثانية « تلون »

صغير معزول ، تكسبه شحنة سالبة ، عاد الرأي الاول فرجحت كفته . ولبت التنازع بين الرأيين قائماً حوالي عشرين عاماً

﴿ التأثير الكهربائي للضوء ﴾ ومن ناحية أخرى أتيح « لهرتز » وهو يجري تجاربه الخالدة في الموجات المغناطيسية الكهربائية ان لاحظ ان وقوع الضوء ، أو بالاحرى الاشعة المافوق البنفسجية منه ، على فرجة الشرارات التي تحدث خلالها الشرارة الكهربائية في تجاربه ، يساعد على مرور الشرارة . فأخذت العناية تتجه الى البحث عن حقيقة تأثير الضوء ، او الاشعة المافوق البنفسجية ، في الامر . ويكفي ان اذكر ممن غنوا يبحث هذا الامر في ذلك الوقت اثنين او ثلاثة مثل « هلوآك » (Hallwach) و « الستر » (Elster) و « جيتل » (Geitel) فقد أدت بحوثهم الى معرفة ان الموصل تنبعث منه في الفراغ بتأثير الضوء ، ولا سيما الموجات القصيرة منه ، دقائق متكهربة بدل اتجاه انحرافها في المجال المغناطيسي على ان شحنتها سالبة وبدأ على هذه الصفة ظهور فرع من فروع الطبيعة الحديثة يعرف الان باسم « الكهرباء الضوئية » (Photo-Electricity)

﴿ ابتعاث الاجسام المتوهجة لدقائق متكهربة ﴾ وايضاً قد كان من المعروف بوجه عام منذ اوائل القرن الثامن عشر ، ان الاجسام المشحونة المعزولة تفقد شحنتها بتأثير اللهب والتسخين الشديد . فعاد البحث عن حقيقة هذه الظاهرة يلقي شيئاً من عناية بعض العلماء في منتصف القرن التاسع عشر وقد وجدت الظاهرة في مبدى الامر على جانب من التعقد . فلفظط الغاز ، ولدرجة الحرارة ، ولعوامل أخرى كنوع الغاز ونوع مادة الجسم وما الى ذلك ، تأثيرات مختلفة جعلت بعض النتائج الاولى متناقضة . ولكن تتبع البحث أدى في مبدى السنوات العشر الاخيرة من القرن ، الى التوصل الى معرفة شيء عن حقيقة الظاهرة ، ويكفي هنا ايضاً ان اذكر ممن بحثوا هذا الموضوع اثنين او ثلاثة هم « الستر » و « جيتل » و « فلمنج » (Fleming) . فقد دلت بحوثهم على انه اذا توهج سلك في اناء مفرغ من الهواء تفريقاً شديداً انبعثت منه دقائق وجدت هي ايضاً متحركة بشحنة سالبة . وبدأ على هذه الصفة ظهور فرع آخر من فروع الطبيعة الحديثة يعرف باسم « الايونية الحرارية » (Thermo-Ionics)

﴿ اشعة رنتجن والنشاط الراديوي ^(١) ﴾ وما كادت تتجمع المعلومات والكشوف السابقة حتى أعلن « رنتجن » (Rontgen) سنة ١٨٩٥ كشفه عن الاشعة المعروفة باسمه . ثم أعقبه كشف آخر لا يقل عنه خطورة اتيح « لبيكرل » (Becquerel) وهو خاصة ابتعاث بعض العناصر مثل

(١) تناول حديث الاستاذ الدكتور علي مصطفى مشرفة بك عميد كلية العلوم في اجتماع الجمعية موضوع « أشعة رنتجن » وتناول حديث الدكتور محمد محمود ظلي موضوع « النشاط الراديوي »

« الاورانوم » لاشعاع لم يكن للعلم الطبيعي علم سابق به . وكفينا أن نذكر هنا ان من بين هذا الاشعاع الصادر عن هذه المواد نوعاً يتكون من دقائق صغيرة متحملة بشحنات سالبة تسمى الدقائق « البائية » او الاشعة « البائية » (Beta Rays)

﴿ كيفية توصيل الغازات للكهرباء ﴾ تلك كانت حالة علم الطبيعة من الناحية التي نخصنا هنا ، عند بدء السنوات الخمس الاخيرة من القرن التاسع عشر . فقد جاءت الكشوف والبحوث المذكورة يتبع بعضها الآخر بسرعة ولكن لم يكن يترأى بادية الامر أن بين تلك الكشوف والبحوث رابطاً يربطها بعضها بالآخر أو سلكاً ينظمها على وتيرة مفهومة فظهر في الميدان « جوزف طمسون » (J. J. Thomson) خليفة « مكسول » في استاذية الطبيعة بمعمل « كلفندش » في « كمبردج » ومعه « رذرفورد » (Rutherford) الذي خلف « طمسون » بعد اعتزاله ، وفقد العلم في السنة الماضية . وكان قد تبين إن للدقائق السالبة التي أتينا على ذكرها آنفاً ، ولاشعة « رنتجن » وللأشعة التي تنبعث من المواد الراديومية ^(١) خاصة هي أنها تجعل الغاز الذي تنفذ فيه موصلاً للكهرباء . فبدأ « طمسون » و « رذرفورد » البحث عن كيفية توصيل الغازات للكهرباء . ويبدأ في بحوثهما ان توصيل الغازات للكهرباء يحدث من تولد دقائق بعضها موجب التكهرب وبعضها سالب التكهرب سميت قياساً على نظائرها في السوائل « ايونات » تتولد في الغازات بفعل العوامل المذكورة ، وان هذه الايونات اذا ما تركت وشأنها تتعادل من جراء التجاذب الموجب منها بالسالب ، فتزول عنها صفة الايونية . فاذا ما تولدت هذه الايونات بفعل أحد تلك العوامل ، في مقدار ما من الغاز ، يوجد بين قطبين ، وجعل بينهما فرق في الجهد اي مجال كهربائي ، اكتسح المجال بعض الايونات السالبة نحو القطب الموجب ، وبعض الايونات الموجبة نحو القطب السالب ، فمر التيار في الغاز من جراء انتقال الايونات على هذه الصفة . وفي الوقت نفسه تتعادل الايونات الاخرى وتزول عنها صفتها الايونية . واذا كان المجال مستمراً والعامل الذي يولد الايونات مستمراً باقياً ، مرَّ تيار مستمر بحيث اذا زادت شدة المجال او القوة الدافعة بين الموصلين ، عظمت نسبة ما يكتسحها المجال من الايونات وصغرت نسبة ما يتعادل منها ، وزادت تبعاً لذلك شدة التيار . حتى اذا بلغت شدة المجال حداً معيناً اكتسح جميع الايونات بمجرد تولدها وبلغ التيار حالة التشبع

ثم عقب « تونسن » (Townsend) أستاذ الطبيعة في اكسفورد على ذلك بأنه اذا تجاوز المجال الكهربائي الحد المذكور كثيراً ، اكتسح الايونات بشدة عظيمة ، فتزيد سرعتها كثيراً ،

(١) النسبة هنا الى الراديوم ونوتراستعمال « النشاط الراديوي » للدلالة على معنى « Radio - Activity »

وتقصر استعمال الاشعاع للدلالة على معنى « Radiation »

فيحدث من جراء تصادمها بجزيئات الغاز ايونات جديدة ، وهكذا ، فيزيد عدد الايونات زيادة عظيمة في وقت قصير فيحدث في الغاز ما يعرف بالتفريغ الفجائي المصحوب بالشرارة الكهربائية المألوفة . وسرعان ما انتشرت هذه النظرية واتسعت البحوث على هداها ، وارتبطت المعلومات السابقة شيئاً ما بعضها بالآخر . وأجريت بحوث عدة لا يسمح المجال بالخوض فيها قيست فيها سرعة الايونات ودرست فيها خواصها في الغازات المختلفة وفي الظروف العدة التي تتولد فيها بفعل تلك العوامل

الكشف عن الالكترون

وقد توج القرن التاسع عشر قبيل انصرامه بما هو من غير شك من اعظم الاكتشافات التي شهدتها علم الطبيعة في تاريخ نموه . فقد أجرى « جوزف طمسون » خلال الثلاث السنوات الاخيرة منه ، سلسلة بحوث عن حقيقة الاشعة الكاثودية ، وبعض الدقائق السالبة التي أشرنا اليها فيما قبل . ففي بعض هذه البحوث حرّف « طمسون » الاشعة الكاثودية بفعل المجال المغناطيسي ثم سلط عليها مجالاً كهربائياً حرفها في ضد الانجاء ، وهياً المجالين بحيث أبطأ أحدهما فعل الآخر ، واستنبط من معرفة شدة كل من المجالين مقدار نسبة شحنة الدقيقة الواحدة الى كتلتها ، بل واستطاع أيضاً قياس سرعتها . فقضت هذه البحوث بالحكم القاطع بصحة الرأي القائل بأن الاشعة الكاثودية هي دقائق كل واحدة منها ذات كتلة ومحملة بشحنة سالبة ودلت نتائج طمسون على ان نسبة الشحنة الى الكتلة لهذه الدقائق واحدة ، ليست تختلف تبعاً لاختلاف نوع فضالة الغاز المتخلف في الانابيب ولا تبعاً لاختلاف نوع مادة الكاثود ثم عقب « طمسون » على هذه البحوث بأخرى عيّن فيها نسبة الشحنة الى الكتلة للدقائق السالبة التي تنبعث بفعل الاشعة المافوق البنفسجية ، وبأخرى عيّن فيها تلك النسبة أيضاً للدقائق المنبعثة من الاجسام المتوهجة في الفراغ فكانت نتائج البحوث جميعاً ان تلك النسبة واحدة . ولكنها وجدت اضعافاً مضاعفة للنسبة النظرية لها لا يون الايدروجين . فقد بلغت تلك النسبة على حسب نتائج طمسون في ذلك العهد ثمانمائة مرة قيمة النسبة الثانية وهي بحسب النتائج الحديثة حوالي ثمانمائة واثلاث مائة مرة . وهنا تتجلى ناحية الالهام التي لا تخلو منها الاكتشاف العلمية الخظيرة . فطمسون فسّر هذه النتائج بأنها أزاء دقائق شحنتها سالبة ومقدارها هو الجوهر الفرد للكهرباء او الجزء الذي لا يتجزأ منها . اي ان مقدار شحنتها كمقدار شحنة ايون الايدروجين وان كانت تختلف عنها في النوع . واذن تكون كتلة الدقيقة الواحدة منها جزءاً صغيراً جداً من كتلة ذرة الايدروجين ، التي هي اصغر ذرة من ذرات المادة معروفة في الكيمياء ، فتكون كتلة الدقيقة الواحدة على حسب هذا التفسير هي

جزء من ثمانمائة والف جزء من كتلة ذرة الايدروجين . وقد كان لهذا التفسير ما يبرره ، فالنسبة واحدة لجميع تلك الدقائق التي يحصل عليها بالطرق المختلفة ، وليست تتوقف على نوع المادة ، والاشعة الكاثودية قد ثبتت كما في تجارب « هرتز » و « لورد » انها تنفذ من الصفائح الرقيقة ، فذلك كله في مجموعه يبرر القول ، بأنها دقائق صغيرة اصغر من ذرة المادة ، ومن مقومات الذرة المادية وما كاذ « طمسون » يعلن نتائج بحوثه هذه ، حتى قام « بكرل » وتبعه آخرون بتعيين النسبة نفسها للدقائق الباثية المنبعثة من بعض المواد الراديومية . ودلت النتائج على ان النسبة لهذه الدقائق ايضا تساوي النسبة النظرية لها التي توصل اليها « تومسون » في تجاربه المختلفة

وفي ابان الوقت الذي كان طمسون يجري فيه بحوثه المذكورة كشف « زيمان » (Zeeman) العالم الهولندي ظاهرة في الضوء تلمخص في ايسر حالاتها في ان كل خط من خطي طيف الصوديوم يمرض قليلاً بفعل المجال المغناطيسي فأرسل الى « لورنتز » ينبئه بالامر ويستفسره فيه واستطاع لورنتز ان يفسر هذه الظاهرة على اصول نظريته الالكترونية بل واستطاع ان يبين الاحوال التي ينتظر ان ينشئ فيها الخط الواحد من خطوط الطيف خطين ، والاحوال التي ينشئ فيها ثلاثة خطوط ، واستطاع ان يتنبأ عن حالة الاستقطاب في كل واحد من هذه الخطوط ، كل ذلك على اساس ان الضوء يحدث عن اهتزازة الالكترونات المفروضة في نظريته . بل واستطاع « لورنتز » ان يبين كيف يمكن التحقق من نوع الشحنة على تلك الالكترونات بل وأكثر من ذلك كيف يمكن بمعادلة توصل اليها ببرهان رياضي تعيين نسبة الشحنة الى الكتلة لتلك الالكترونات من قياس الفرق في التردد بين الخطوط المنشقة الحاصلة في الظاهرة

وكان ما ل ذلك ان استطاع « زيمان » تعيين نسبة الشحنة الى الكتلة للالكترونات التي توهمها « لورنتز » وبنى عليها نظريته الالكترونية ووجدت هذه النسبة ايضا مساوية النسبة التي توصل اليها طمسون في تجاربه . على هذه الصفة تبين ان الدقائق الكاثودية والدقائق التي تنبعث من الموصلات بفعل الاشعة الضوئية لا سيما المافوق البنفسجية ، والدقائق التي تنبعث من الاجسام المتوهجة والدقائق الباثية التي تنبعث من بعض المواد الراديومية ، بل والالكترونات المفروضة الموهومة في نظرية لورنتز هي جميعها دقائق كنهها واحد ، وطبيعتها واحدة ، وهي كلها بحسب تفسير « طمسون » متشكلة بشحنة سالبة هي الجوهر الفرد للكهرباء ، وكتلتها جزء صغير جداً من كتلة اصغر ذرة معروفة في الكيمياء

وان كان طمسون قد أطلق على الدقائق التي اختبرها في تجاربه اسم « ذرات » (Corpuscles) وحاول التمسك لها بهذا الاسم ، فقد غلب اطلاق اسم « الالكترونات » عليها هي ايضا ، وصار اسم « الالكترونون » يدل على جميع تلك الدقائق ويابسها جميعاً

نعمين شحنة الكترول

وقد أراد « طمسون » ان يتحقق بالتجربة من أن رأيه القائل بأن الشحنة السالبة الموجودة على كل دقيقة من تلك الدقائق ، او على الالكترن بحسب الاسم الشائع ، هي الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ للكهرباء ، أراد أن يتحقق من أن رأيه هذا لا تموزه الادلة العملية . ولما كانت الغازات توصل الكهرباء بفعل الايونات التي تتولد فيها ، فان امكن قياس شحنة الايونات التي تتولد في الغازات ، وان دلت النتائج العملية على أن لشحنتها قدراً معيناً لا يوجد اصغر منه ويساوي قدر شحنة ايون الايدروجين ، كان هذا دليلاً على صحة القول بأن للشحنة الكهربائية جوهرأ فرداً ، وان رأي طمسون في ان شحنة الالكترن هي الجوهر الفرد للكهرباء مقبول

مضى طمسون في معالجة هذا الموضوع ، واستطاع ان يتخذ المعلومات التي كانت معروفة في عصره مطية الى الغاية التي يريد بها . والقصة طويلة . ولكننا نوردها بإيجاز . فقد كان من المعلوم ان وجود دقائق من الهباء أو الغبار أو الدخان في الهواء يساعد على تكاثف بخار الماء المشبع أي يساعد على تكون الضباب ثم تبين ان وجود أيونات في الهواء يساعد هو ايضاً على هذا الامر . وكان قد تبين من تجارب اجراها « ويلسون » (C.T.R. Wilson) بمعمل « كفنشدش » في كمبردج سنة ١٨٩٧ انه اذا تمدد الهواء المشبع ببخار الماء فجأة ، تمدداً نسبيته ثابت الحرارة (Adiabatic) حتى صار حجمه ما بين ١٢٥ ، ٣٠ ١ من حجمه الأصلي ، تكاثف بخار الماء على الايونات السالبة دون الموجبة ، اما اذا تمدد حجمه بمقدار اعظم من ذلك ، تكاثف بخار الماء على النوعين السالب والموجب من الايونات

على هدى هذه المعلومات رسم طمسون بحوثه . فبدأ بحجم معلوم من الهواء التي مجرد من الهباء والغبار والدخان وما إلى ذلك ، فوق سطح قليل من الماء في اناء خاص بحيث كان الهواء مشبعاً ببخار الماء . وأحدث في الهواء ايونات بفعل اشعة رنتجن . ثم جعله يتمدد بالقدر الذي يجعل التكاثف على الايونات السالبة ، وكانت هي في بعض البحوث المقصودة ، دون الموجبة . فحدث في الاناء ضباب بالتكاثف على الايونات السالبة . فراقب الضباب وهو يرسب الى قرار الاناء ، وقاس سرعة رسوبه رأساً . ومن معرفة هذه السرعة امكنه من قانون كان قد اثبتته « ستوكس » (Stokes) بيرهان رياضي ، ان يقدر نصف قطر قطيرة الماء في ذلك الضباب ، واذن حساب حجم القطيرة ثم حساب كتلتها . ثم قدر بطريقة حسابية كثيراً ما ترد عليها اسئلة في امتحانات الطبيعة ، كتلة بخار الماء المشبع الموجود في الهواء قبل التكاثف ثم كتلة بخار الماء المشبع الموجود فيه بعد

التكاثف ، واذن كتلة ما تكاثف منه ضباباً ، أي كتلة الضباب الحادث في التجربة . فاذا ما عرفت على هذه الكيفية كتلة الضباب الحادث وكتلة كل قطيرة منه . عرف عدد القطيرات . فاذا فرض ان كل قطيرة تتكاثف حول ايون واحد . كان هذا العدد هو عدد الايونات السالبة الموجودة في الهواء . فاذا قيست الشحنة الكهربائية التي تحملها جميع الايونات ، امكن معرفة شحنة كل ايون منها على حدته

كانت هذه الطريقة اول طريقة قيست بها شحنة ايون الغاز . وقد اصلحت الطريقة فيما بعد ، اصلحها « ويلسون » H. A. Wilson ، فسلط على الايونات مجالاً كهربائياً يجذبها الى اعلى بحيث تبقى قطيرات الضباب معلقة . ثم اصلحها من بعده « ميلكان » (Millikan) استاذ الطبيعة في جامعة « شيكاغو » فاستبدل بقطيرات الضباب قطيرات من رذاذ من الزيت ، فلا تبخر بسرعة ، وأحدث الايونات . فاذا ما اتصل بعض القطيرات ببعض الايونات اصبحت مشحونة ، فسلط عليها مجالاً يجذب المشحونة بشحنة سالبة الى اعلى أو يجذب المشحونة بشحنة موجبة الى اعلى ، وبحيث يتعادل الجذب الكهربائي الى اعلى يجذب الارض لها الى اسفل فتبقى القطيرات معلقة ، لا تهوى ولا تعلق ، واستطاع ان يرقب منها واحدة ، نظر اليها بميكروسكوب ، فتيسر له ان يقيس قطرها ويستخرج وزنها ، ثم قدر بعد ذلك شحنتها ، دون ان يلتجئ الى مثل ما انطوت عليه طريقة طمسون الاولى من القوانين والحسابات المختلفة

وجاءت نتائج هذه البحوث معاضدة لرأي طمسون . فالشحنة الموجودة على ايونات الغاز سواء منها الموجب أو السالب توجد بمقدار له قيمة معينة محدودة بمعنى ان الايون قد تكون شحنته مساوية هذا المقدار ، أو ضعفه ، أو أضعافه ، ولكنها ليست تساوي في حال من الاحوال ، نصفه مثلاً أو جزءاً منه . وذلك المقدار وجد مساوياً مقدار شحنة ايون الايدروجين ، فهو اذن الجوهر الفرد للكهرباء ، وهو اذن مقدار الشحنة السالبة للالكترون

الصفات الزائفة للالكترون

وبعض نواحيه الخاصة

وقد اتجه الفكر منذ أول نشأة النظرية الالكترونية الى تكييف معنى كتلة الالكترون تكييفاً خاصاً . وكان « طمسون » يبحث رياضي ، يسن فيه أنه اذا فرضت كرة ، وكانت عليها شحنة وأريد تحريكها بسرعة معينة ، فظراً لان حركة الشحنة هي بمنزلة تيار كهربائي ، ولتيار الكهربائي مجال مغناطيسي يتطلب حدوته مقداراً معيناً من الشغل ، فان الشغل اللازم لتحريك الكرة وهي مشحونة يساوي طاقة حركتها بعنفة كونها كتلة متحركة بسرعة معينة والطاقة

اللازمة لاحداث المجال المغناطيسي المذكور . واذن الشغل اللازم لتحريك كرة معينة ذات كتلة معينة وهي مشحونة أكبر من الشغل اللازم لتحريك الكرة نفسها بالسرعة نفسها اذا كانت مجردة عن الشحنة . فكأن وجود الشحنة على الكرة يزيد من قصورها الذاتي ، أو هو يزيد من كتلتها . أي كأن للجسم المشحون كتلة تعرض عليه من جراء وجود الشحنة الكهربائية عليه . وأيضاً اذا فرضنا شحنة كهربائية معينة متكاثفة في حجم كروي صغير ، وموجودة مجردة عن وجود كرة مادية تشغل ذلك الحجم ، فإنه يلزم لتحريكها بسرعة معينة مقدار من الشغل يساوي الطاقة الموجودة في المجال المغناطيسي الذي يحدث من جراء حركتها ، ومن السهل حساب الكتلة التي يلزم لها المقدار نفسه من الطاقة لكي تتحرك بالسرعة نفسها . على هذا الاساس وبهذا المعنى يمكن ان تعد كتلة الالكترون ، كتلة عارضة من جراء حركة شحنة الالكترون بالسرعة التي يتحرك بها ، وليست كتلة مادية من جراء كونه دقيقة من المادة لها كتلة . وهذا هو المعنى المقصود من القول بأن ماهية كتلة الالكترون هي «مغناطيسية كهربائية» وينتظر على هذا الاعتبار ان تتغير كتلة الالكترون تبعاً لتغير سرعته ، فتزداد تبعاً لزيادة السرعة على وتيرة معينة تعين ببرهان رياضي . وقد دلت التجارب فعلاً على ذلك . بل يمكن أيضاً على أساس كون كتلة الالكترون «كتلة مغناطيسية كهربائية» تعيين نصف قطره . وبذلك يتم تعيين الصفات الذاتية للالكترون . فيكون الالكترون شيئاً له شحنة سالبة معينة معلومة وله كتلة معينة معلومة وله حجم معلوم . وبحسب التقديرات الحديثة

شحنة الالكترون $= 4.77 \times 10^{-10}$ من الوحدات الاستاتيكية الكهربائية

أو $= 1.59 \times 10^{-20}$ من الوحدات المغناطيسية الكهربائية

وكتلته $= 9 \times 10^{-28}$ من الجرام

ونصف قطره $= 1.9 \times 10^{-13}$ من السنتيمتر بالتقريب

في حين ان ذرة الايدروجين كتلتها تسعة وثلاثون وثمانمائة وألف مرة كتلة الالكترون ونصف قطرها حوالي خمسين الف مرة نصف قطر الالكترون

ولا يسمح المجال بالاسترسال في بيان ما يقال عن ان الكتلة بوجه عام وضماً كتلة الالكترون مظهر من مظاهر الطاقة ، بالمعنى المفهوم من نظرية «الاضافة»^(١) ولا في بيان ما يدور من الآراء الحديثة حول «هوية» الالكترون وكنهه طبيعته . هل هو

(١) استعمل الكاتب منذ زمن طويل لفظ «الاضافة» للدلالة على نظرية «اينشتين» في النسبية . وذلك احياء لاصطلاح استخدم قديماً في الفلسفة العربية في معنى قريب من الفكرة الاساسية التي بنى عليها اينشتين أول الامر نظريته

كتلة ذات شحنة ؟ ام هل هو مجموعة من الموجات ؟ ام هويته وكنهه وجوده ، ثنائية ، يبدو في ظروف معينة كدقيقة ذات كتلة وذات شحنة ، ويبدو في ظروف اخرى كمجموعة من الموجات ؟

ولا يسمح المجال بالاسترسال في بيان ما تم منذ خمس سنوات من الكشف عن شقيق الالكترون . ذلك الذي كتلته ككتلة الالكترون ، وشحنته كشحنة الالكترون في المقدار ولكنها تخالفها في النوع . ذلك الذي يسمونه (Positron) ويصح ان نسميه « الموجبرون » ونضع للالكترون اسماً مرادفاً ونسميه « السالبرون » فيختص كل منهما باسم يدل عليه يميزه عن الآخر . ولا يسمح المجال ايضاً بالتوسع في بيان الرأي القائل بأن « الكم الجيمي » ذا الطاقة الشديدة والتردد المرتفع اذا صدم ذرة من ذرات المادة ، انفجرتشقين ، احدهما « السالبرون » والآخر شقيقه « الموجبرون » . ولا يسمح المجال بتفصيل الكشف الذي اتبع خلال هذا العام عن « الكترون » ، ولا يزالون يسمونه الكتروناً ، كتلته ستون ومائة مرة او يزيد كتلة الالكترون الذي هو موضوعنا في هذا المقام . ولتكشف بذكر هذه الامور ونشر اشارة موجزة الى الدور الذي يؤديه الالكترون في العالم الطبيعي . هو لا شك ركن من اركان الذرة او بالاحرى هو كذلك على حسب المعلومات الحالية . وهو مصدر النور والحرارة وجميع الاشعاع (الاثيري) اذا جاز لنا الآن ان نستعير من علم الطبيعة القديم احد اصطلاحاته ، او فلنقل هو مصدر جميع الموجات المغناطيسية الكهربائية سواء منها ما طالت موجته فكانت اذرعها عشرات الكيلومترات ، او ما قصرت فكان ذرعها جزءاً من عشرة اص عشرة من السنتيمتر الواحد

هذا الالكترون الخطير الشأن في عالم الوجود استطاع الانسان ان يتسيطر عليه ويستخره في ما ربه . استطاع ان يستخدمه لاحداث موجات الاسلكي ولاستقبالها وما الى ذلك ^(١) واستطاع ايضاً ان يستخدمه لضبط الصوت ، ولحصر عدد الارغفة التي تخبز في الافران الكبيرة ، ولتوقيت الزمن سواء في حلبات السباق او في المراصد ، ولايقاف القطرات او تحويل مجراها بل ولقياس طمي النيل ولتقدير (عكارة) السوائل ومقادير الدخان والغبار المنتشر في اجواء المصانع والمعامل ^(٢)

ولكن ما علاقة هذا الالكترون بموضوع العلاج الاشعاعي عامة وموضوع السرطان خاصة

(١) الاشارة هنا الى الصمام الايوني الحراري وتطبيقه في الاسلكي وغيره

(٢) الاشارة هنا الى الخلية الضوئية (Photo-cell) وتطبيقها في الاغراض المذكورة ومنها ما نشر من نجارب للدكتور محمد محمود غالي في تقدير طمي النيل

بعض مميزات الالكترونون

بموضوع العلاج الاشعاعي

لندع جانباً القول بأن الالكترونونات هي الوسيلة العملية للحصول على أشعة رنتجن التي يعالج بها السرطان . ولندع جانباً القول بأن الالكترونونات ذات علاقة وثيقة بمحدثات الاشعة الجسيمية التي يعالج بها هي أيضاً هذا الداء ، وسواءً لدينا أكان انطلاق الالكترونونات من ذرات المادة هو الذي يسبب صدور الاشعة الجسيمية أم كان صدور الاشعة الجسيمية هو الذي يسبب انطلاق الالكترونونات . فالعلة والنتيجة من الالفاظ التي تغيرت معانيها في الوقت الحاضر ولنقل انه من الثابت المؤكد ان للالكترونونات تأثيراً حيوياً في الانساج وفي الخلايا . وان لم تكن الالكترونونات قد تم استخدامها كطريقة من طرق العلاج الاشعاعي فان دراسة تأثيرها الحيوي اخذت تسترعي في الوقت الحاضر انتباه فريق من العلماء لا سيما في اميركا وما يدرينا لعلماء أصلح فعلاً وامعن تأثيراً

ولربما تكون علاقة الالكترونونات بالعلاج الاشعاعي اشد صلة في الواقع مما يبدو في الظاهر فان كان التأثير الطبيعي لاشعة رنتجن مثلاً وهو تأيين الغاز ، انما هو بفعل الالكترونونات الثانوية التي تحدثها هذه الاشعة ، وبالمثل ان كان التأثير الطبيعي للاشعة المافوق البنفسجية كذلك ، ألا يصح التساؤل هل التأثير العلاجي لهذه الاشعة هو أيضاً بفعل الالكترونونات الثانوية التي تحدثها وهل معنى المثل القائل « ان الاسم لطوبه والفعل لامشير » ينطبق هنا ايضاً وايضاً ان كان « الكيمياء الجسيمية » كما اشرنا الى ذلك من قبل ، ينفجر عند تصادمه بذرة المادة شقين احدهما « السالبرون » والثاني « الموجبرون » ألا يصح التساؤل هل لهذا الموجبرون ايضاً علاقة بالفعل العلاجي للاشعة الجسيمية ، تلك خواطر اكتفي بذكرها مجردة عن التعليق عليها بالنفي او الاثبات

وعلاوة على كل هذا فقد تبين ان للالكترونونات علاقة بموضوع العلاج الاشعاعي من ناحية اخرى . في سنة ١٩٣٣ كشف عما يسمونه (Neutron) ويصح ان نسميه « المتعادلون » وهو دقيقة كتلتها كذرة الايدروجين ولكنها في حالة تعادل كهربائي ليست لها شحنة كهربائية وقد وجد ان النيوترونات خواص تميزها تجعلها شأناً خاصاً في موضوع العلاج الاشعاعي . فمثلاً من خواصها ان المواد الايدروجينية اى المركبات التي تحتوي على عنصر الايدروجين تمتصها بشدة دون غيرها . فهي من جراء ذلك تمتصها الانسجة الايدروجينية بشدة دون العظام وايضاً

فان الفعل التأييدي لهذه النيوترونات أشد كثيراً من نظيره لاشعة رنتجن او الاشعة الجيمية وتجارب «لورنس» (Lawrence) وزملائه في اميركا في الوقت الحاضر تدل على ان فعلها الحيوي ابصاراً أشد كثيراً من نظيره لاشعة رنتجن او الاشعة الجيمية بل وتدل علاوة على ذلك على ان فعلها الحيوي مميز^(١)، وهو من هذه الناحية أشد تمييزاً من نظيره لتلك الاشعة وهذه النيوترونات خاصة اخرى هي انها تثير في المواد التي ليست لها بطبيعتها خاصة «الراديومية» ، هذه الخاصة وتكسبها هذه الخاصة بشدة

والمواد التي تثار فيها هذه الخاصة بالطرق الصناعية نسميها «مواد راديومية صناعية» ومن المرجح كثيراً انه سيكون لها في القريب العاجل شأن عظيم ربما يتجاوز حد التصور في وقتنا الحاضر لا في علاج السرطان وغيره من الامراض فحسب ، بل في نواحي شتى كثيرة منها ما يتعلق بالطب بوجه عام ، ومنها ما يتعلق بالصناعة وغيرها

وللحصول على هذه النيوترونات في الوقت الحاضر طرق مختلفة . والذي يعنينا امره هنا ان من هذه الطرق طريقة تسدّد فيها اشعة رنتجن ذات طاقة عظيمة الى مادة «البريليوم» والوسيلة لتوليد هذه الاشعة الرنتجينية ذات الطاقة العظيمة ان تصوب الكترونات هي الاخرى ذات طاقة عظيمة تتجاوز مليوناً من الفولط الى هدف من مادة «الطنجستن» وبما يستعان به للحصول على هذه الالكترونات جهاز خاص اخترع حديثاً نسميه «المولد الدفعي»^(٢) يولد قوة دافعة كهربائية فجائية تبلغ مليوناً ومليونين أو يزيد من الفولط . ويكفي في هذا المقام ان اذكر ان من بين ما يُعدّ به الآن الاساذ «جوليو» (Joliot) ، معمله الحديث بباريس ، جهازاً من هذا القبيل من المنتظر ان تبلغ القوة الدافعة التي تتولد منه ثلاثة ملايين فولط او اكثر ، فيحدث الكترونات ذات طاقة عظيمة تقع على هدف من الطنجستن ، واذا احبط حوله بمادة البريليوم انتشرت خلال هذه المادة الاشعة الرنتجينية التي تتولد فتحدث النيوترونات ، حيث تستخدم هذه النيوترونات بعد ذلك للاغراض المطلوبة ، كاثارة الراديومية الصناعية في المواد التي يراد اختبارها او استعمالها ، وما الى ذلك

(١) نعي بعمير هنا انها تبديد أو تلف الخلايا أو الانسجة المريضة وتنشط السليمة

(٢) هو Impulse Generator ويسمى احياناً Surge Generator واول ما نشر عن توليد النيوترونات بهذه الطريقة خطاب في مجلة Nature في العدد الصادر في ٨ ديسمبر سنة ١٩٣٤ وكان مذيلاً بسبعة اسماء وكان من بينها اسم «عدنان والي» المدرس الآن بقسم الطبيعة بكلية الهندسة

الدولة والفرد

توطئة لبحث المذاهب السياسية
في هذا العصر

لعملي ادهم

مسألة سيادة الدولة ومدى علاقة الفرد بتلك السيادة في طبيعة المسائل التي يقوم حولها الجدل ويستفيض البحث في العصر الحديث ، وقد كانت فكرة سيادة الدولة على الدوام من الافكار التي يتناو لها قادة المفكرين ويعرض لها الباحثون في السياسة والاجتماع ، وقد تناوبت العصر الحاضر صروف سياسية واحداث حجة استوجبت اعادة النظر في هذه الفكرة وعرضها من جديد على محك البحث. وسيادة الدولة عند الفاشيين والنازيين ليست مثاراً للجدل والمناقشة وانما هي من الامور المفطوع بصحتها والمسلم بها ، وقد كان ذلك مما زاد العناية ببحثها والاقبال على تدبرها حتى اصبح الحديث عنها غير مقصور على رجال السياسة وعمداء القانون والفكرة القائلة بسيادة الدولة المطلقة تستمد قوتها من مصدرين مختلفين من مصادر التفكير اليوناني ، فقد كان في التفكير اليوناني نزعة ترمي الى اعتبار الدولة وحدة كلية قائمة بذاتها مكتفية بنفسها مستغرقة للمجتمع بأسره ، وافلاطون نفسه يأخذ بهذا المذهب ، وارسطو يعلن في بحوثه السياسية ان من طبيعة الدولة الاكتفاء بنفسها ، والعلاقة الوحيدة عندها بين الدولة والدول الاخرى هي علاقة العداء والمنافسة والكراهة المتأصلة، ولذا كانت علاقات الحكومات اليونانية بعضها ببعض قائمة على العداء المستمر والترقب الدائم ، وقد رد الفيلسوف هوبز ذلك حين قال « الدول بطبيعتها اعداء »

ونلمح من ثنايا ذلك ان ما يعتبره بعض المفكرين علاقتين متميزتين وهما علاقة الفرد بالدولة من ناحية ، وعلاقته بالنوع الانساني من ناحية أخرى ، لا وجود له في هذا النمط من التفكير لان الدولة مستوعبة لجميع الافراد وحقوقها مقدمة على حقوقهم ومكانتها هي المكانة السامية المرموقة فهي ملاذ الفرد وكهف رجائه

وتصور مفكري اليونان للطبيعة الانسانية هو المصدر الثاني الذي تستمد منه النظرية قوتها، وذلك لان الكثيرين ممن تحدثوا عن النظريات السياسية يستمسكون بالرأي الذي يذهب الى ان حقيقة الفرد هي تلك الشخصية المنفردة الحائرة التي يعرفها الفرد في تلك الحالة الافتراضية المسماة « حالة الطبيعة » وذلك قبل ان يدخل المجتمع ويخضع لاحكامه ويحمل اعباءه، والمجتمع في زعم اصحاب هذه النظرية بناء صناعي متكلف قائم على تعاقد محدود دخل بموجبه الفرد الى المجتمع ليضع حداً للحالة الطبيعية التي كان يرتع في مجبوحاتها وينعم في ظلها حيث لا ترهقه سلطة ولا يقيدته قانون، وهذه النظرية في تحليل نشوء المجتمع هي نظرية « العقد الاجتماعي »

ولكن افلاطون وارسطو يريان غير ذلك ويذهبان مذهباً آخر، فالانسان عندهما حيوان اجتماعي، وما دام الانسان مدنيًا بالطبع فمن الطبيعي له ان يعيش في المجتمع، وحياة الفرد في عزلة عن بني الانسان حياة غير طبيعية ولا مألوفة، وطبيعة الفرد لا يسترسل نموًاها ويترد تقدمها الا بين احضان المجتمع، والمجتمع يتيح للانسان الفرصة لاختبار طاقته وتحقيق مطالبه، والانسان في مخالطته لانداده وزملائه في المجتمع يحفز مواهبه وينمي قدراته ويستكمل شخصيته فهو فضلاً عما يشعر به من الامن والطمانينة في كنف المجتمع وحى الدولة مدين لها بواجب الشكر لانها تمنحه شخصية في ثرائها الجرم وقوتها الفياضة

وعلى أساس فكرة الدولة من حيث هي ضامنة لحقوق الفرد ومجيرة له من اخطار الفوضى ودياجير الحرية السلمية وخالقة لشخصيته أقام الفيلسوف الالماني هغل بناءً فلسفيًا محبوك الاطراف متسق المنطق، وعند هغل ان القوم في المجتمع يستمتعون بحرية اصدق أثراً وأعظم وفقاً من تلك الحرية الغارقة في الفوضى التي خلعوا ثوبها عند ما غادروا حالتهم الطبيعية الافتراضية الطليقة من القانون، والحرية الصادقة هي تلك الحرية التي يظفر بها الفرد في حدود المجتمع، فهي ثمرة من ثمراته مظهرها الخارجي القوانين المرعية ومظهرها الداخلي تلك الآداب التي يتلقاها الفرد من المجتمع، فالدولة تسطوع للفرد حرية لا يظفر بها في غيرها وهي اما تفعل ذلك لان لها شخصية حقيقية وارادة مستقلة، وتمثيلها لرغبات اعضائها يكسبها ارادة عامة فوق كل ارادة، وارادة الفرد تسمو وتزداد نبلاً باندماجها في تلك الارادة العامة، ويتبع ذلك ان اعمال الدولة المنبئة عن تلك الارادة العامة يلزم ان تكون على الدوام مسلحة من العيوب بريئة من الاخطاء لانها تمثل خير ما في ارادات الافراد وللدولة شخصية ولهذه الشخصية حقوقها التي تسمو فوق كل خلاف وتعلو على حقوق

الافراد المزعومة — وأقول المزعومة لان الفرد بموجب هذه النظرية لا يمكن ان تكون له حقوق حقيقية متعارضة مع حقوق الدولة ، وذلك لان حقوق الفرد الحقيقية ليست هي تلك الحقوق التي حملها معها عند دخوله المجتمع عقب انتهاء تلك الحالة الطبيعية الافتراضية الدائرة وأما هي حقوق في العمل لتحقيق تلك الغايات التي تنزع اليها طبيعته التي كونها المجتمع وصقلها وهذبها الدولة وسمت بها ، وهي طبيعة هو مدين بها للمجتمع ومن واجبه ان يقفها على خدمة الدولة ، وما دام الفرد يتلقى حقوقه وواجباته من الدولة فلا يمكن ان تكون له حقوق تتعارض مع حقوقها

ولجميع هذه الاعتبارات وبناءً على ما يمكن استنباطه من فكرة طبيعة « الارادة العامة » و« شخصية الدولة » يعتبر هجل الدولة مادة اخلاقية شاعرة بنفسها ويرى ان العلاقة التي تربط الفرد بالدولة في كليتها الشاملة هي نفسها جزء من شخصية الفرد ، فهو نبت يدها وثمره غرسها وهو من ثم لا يستطيع ان يعمل في عزلة عنها ولا يمكن ان تنبثق له ارادة او يتسقى له امل الا بجزء من ارادة الدولة ونصيب من آمالها ، ويرى بوزانكيه ان الفرد حتى في ثورته وانتفاضه على الدولة انما يثور بارادة مستمدة من ارادة الدولة فالدولة في حالة الثورة تعد منشقة على نفسها

وقوة الدولة المتسامية فوق الافراد وما تطلبه من ولاء متصل وتضحيات مستمرة توسع شخصيات الافراد وتنقيها من شوائب الاغراض الحفيرة والغايات المسغبة وتنقل محور حياة الفرد من دائرة الاثرة الضيقة الى ميدان الحياة العامة ، والدولة اكبر ممثل للآداب الاجتماعية وان كان ذلك لا يستلزم انها مقيدة في اعمالها باتباع شريعة الاخلاق ، والعلاقات الاخلاقية تقتضي وجود طرفين ولا يمكن ان يكون للدولة طرف آخر لانها جماع الاحزاب

وفي وسع الدولة ان تسيطر نظرياً في ايام السلم وعملياً في ابان الحرب على حياة الافراد وتوجههم الوجهة التي ريدها ، ولا سند من القانون لمصادمة احكامها لان الافراد الذين تبسط عليهم سلطانها لا يختطفون عن الافراد الذين يباشرون سير الاحوال ويتقلدون السلطة ، واوامر الحكومة موحاة من الرغبات الحقيقية لهؤلاء الذين يطيعونها ويلبون رغباتها حتى عندما يطيعونها رغم ارادتهم

والدولة هي التي تتصدى لحل المشكلات وتصمد للعلات ، ومن حقها ان تطلب الى الافراد ان يضمنوا حياتهم رهن تصرفها وطوع يدها . قال هجل . « حالة الحرب تكشف عن قوة الدولة

وتبين مدى سطوتها وعظيم بطشها والوطن حينذاك هو القوة التي تقضي بفناء استقلال الافراد» وقد اقنيت اثر هيجل في الاشادة بسيادة الدولة المطلقة بعض المفكرين الالمان وتطوح فربق منهم تطوحاً بعيداً وأسرف كل الاسراف ، وفي مقدمة المجلين في هذا الميدان المؤرخ الالمانى المشهور تريتشيكه والكاتب السياسى برناردي ، ومفكرو الانجلىز على وجه الاجمال لم يقبلوا نظرية سيادة الدولة المطلقة بالحماسة والتطرف والمغالاة التي قبلها بها الالمان ونظرية سيادة الدولة المطلقة على ما يبدو بها من مظاهر التباسك الفكرى والاتساق المنطقى نظرية غير سليمة ولا مطابقة للواقع ، بل هي نظرية خطيرة لانها تمنح الحكومة المسوغات التي من شأنها ان تجعلها تنهج في السياسة الخارجية منهجاً غير متردد لا يبالى سنن الاخلاق ولا اصول الاداب ، وقد تطرف بعض الغلاة من منكري سيادة الدولة المطلقة حتى قالوا بعدم ضرورة وجود الدولة

والعيب الواضح في نظرية سيادة الدولة هو ان الدولة تبعاً لتلك النظرية تعتبر نفسها ممثلة للنوع الانساني بأسره وهو افتراض منافر للحقيقة. واذا كان للدولة السلطة التامة والقدرة الكاملة من حيث علاقتها بافرادها فانه من الأمور المسلم بها ان هذا الحق لا يمكن ان ينهض الا على افتراض ان الدولة تمثل ارادات جميع الافراد الذين تتكون منهم الدولة وليس هناك ما يوحى الى الفكر ان الدولة تمثل ارادات افراد الدول الاخرى فهي من ثم غير قادرة على كل شيء، وليست ارادتها اذن فوق كل ارادة وما دام ادعاء القدرة على كل شيء والسمو فوق كل ارادة يتخذ وسيلة لتبرير حق الدولة في الانعقاد من الواجب الادبي فانه يتبع ذلك ان هذا الانعقاد لا يمتد الى العلاقات بين الدولة والدول الاخرى، فليس هناك اذن ما يبرر خروج الدولة عن الاداب في معاملتها للغير من الدول، واذا كانت قواعد الاداب مرعية في علاقات الافراد بعضهم ببعض فليس هناك ما يمنع العمل بمقتضاها في علاقات الدول بعضها ببعض

ومع تسليمنا بان الفرد في المجتمع يتمكن من انماء طبيعته واطهار قدراته وبظفر بحريته لان الرجل الشريد في جزيرة نائية يملك حرية ولكنها حرية مجردة سلبية لانه وان كان في وسعه ان يعمل كل شيء ولكنه في الحقيقة لا يستطيع ان يعمل شيئاً اقول ان تسليمنا بذلك لا يقتضي كون الحكومة قادرة على كل شيء ولا ينفي ان الدولة موجودة لاجل الفرد وان الفرد لم يوجد لاجل الدولة وسعادة المجتمع ، وليس للدولة معنى ان لم تعمل على اسعاد الفرد لان الدولة ليست

غرضاً من أجل ذاتها، وإذا سلمنا بذلك اتضح لنا ما ينطوي عليه مذهب سيادة الدولة المطلقة من مغالطة ووضع للأمر في غير نصابها.

ويرى بعض أنصار نظرية سيادة الدولة أنه غير ميسور للدولة أن تبني مجدها وعزها على أنقاض حياة الفرد أو أن تستبد به وتطغى عليه لأن مصلحة الدولة هي بذاتها مصلحة الفرد وإرادة الدولة حتى في حالة الاستبداد والطغيان هي إرادة الفرد ولكنه دفع غير مستقيم لأن الفصل في قضية من القضايا لا يعد فصلاً بمعرفه الفرد وانفاقه لمجرد أن القائمين بأمره أفراد في المجتمع الذي يشملهم، ونظرية السيادة المطلقة تناقض فكرة الحرية الشخصية لأنه عندما ينشأ أي خلاف بين الدولة والفرد فإنه يفترض مقدماً أن الدولة في جانب الصواب وأن الفرد حقيق باللوم ولا سبيل له لرفع صوته وإسماع كلمته.

وتقدم المواصلات السريع في العصر الحاضر قد أنمى العلاقات وزاد الروابط الاقتصادية والثقافية بين مختلف الأمم، وهذه العوامل الجديدة في الاجتماع الانساني قد أخذت ترسم الاتجاه الى تنظيم شؤون العالم على أساس اقتصادي ينسخ النظام الحاضر القائم على الحدود الجغرافية. وإذا سلمنا أنه من اللازم أن يعرف الفرد أن هناك مصلحة اسمى من مصلحته وهي مصلحة المجتمع فليس هناك ما يمنع من السير بذلك الى نهايته المنطقية والوقوف عند فكرة أن مصلحة النوع الانساني فوق مصلحة الدولة. وكما أن اخلاص الفرد لاسرته أو لقبيلته قد اتسعت آفاقه وترامت حدوده وأصبح اخلاصاً للدولة فإنه من المنظور أن يزداد اتساعاً وشمولاً ويصبح اخلاصاً وولاءً لبني الانسان، وليس هناك ما يثبت أن الدولة هي أقصى مرحلة من مراحل التدرج الاجتماعي، وتستمد الدولة قوتها من وجود عادات وتقاليد مشتركة وبقاؤها رهن الى حد كبير بالاحتفاظ بتلك العادات والتقاليد وسيكون لسهولة المواصلات ولتقوية الروابط بين الأمم اثره المحتوم في تغيير تلك العادات والتقاليد، ومع ضرورة الاحتفاظ بالدولة باعتبارها عاملاً أصيلاً في صيانة النظام واستتباب الامن فإن العالم سيتجه وزها الى تصور اسمى للدولية يضمن سلامة الدولة ووقايتها من الاخطار الطارئة والصدمات المباغتة كما ضمنت الحكومة سلامة الفرد واستنقذته من حالة الطبيعة غير المحتملة ولا المرضية. وأمل الانسانية في العصر الحاضر معقود بتلك الغريزة التي اوحى للمجتمع وساقى الفرد الى الاجتماع بالفرد لتكون القبيلة وقادت القبيلة الى الاجتماع بسائر القبائل لتكون الامة. وليس من المستنكر أن تسير سيرتها وتتابع خطواتها وتجمع بين الأمم في ساحة الاممية الشاملة حيث تبطل فكرة الدولة المطلقة من قبود الاخلاق والتي تجعل عصبة الأمم امراً عديم الجدوى ضعيف الاثر.

ثقافة الغرب

وثقافة الشرق الأدنى

للدكتور ستيوارت صرر.

استاذ العلوم الاجتماعية بجامعة بيروت الاميركية

نوطئة — الثقافة وحدودها —

الاستمرار الثقافي — التحول الثقافي

— ١ —

اذا رأيت جماعة تأكل الثريد وأخرى تأكل الضفادع ، ففعل الاكل أمر فسيولوجي شائع في كل البشر غير أن شيوع النوع الواحد من الطعام في جماعة خاصة والنوع الآخر في جماعة أخرى مظهر من مظاهر صفات الثقافة المختلفة في الجماعتين. وعلى هذا نقيس كثيراً من العادات والتقاليد السائدة في قوم دون سواهم كعادات اللبس والشرب والمأكل. فكل هذا يبين وجهاً من ثقافة الامة الواحدة المتعلقة بعاداتها

ثم ان الاختلاف في الالفاظ الانكليزية والالفاظ العربية اختلاف ثقافي فقط لان الالفاظ الصوتية وقابليتها للنطق بأصوات مختلفة هي واحدة في الشعوب التي تتكلم الانكليزية والشعوب التي تتكلم العربية. ونجد الثقافة ايضاً ظاهرة في نوع الحرفة التي يتبعها المرء. فوجود زيد معلماً وعمر طبيباً وخالد محامياً وبكر تاجراً يدل على مقدار ثقافة كل منهم بحسب الاستعداد الذي تهيأ له منذ حداثة بينما نجد في كل بشر غريزة تدفع به للعمل هرباً من الجوع والعري. فثقافة قوم هي مجموع طرقهم في التفكير والعمل وما ينتج عن التفكير والعمل مادياً كالآلات والبيوت او نفسياً ومعنوياً كالمعتقدات والافتقاعات

وكثيراً ما نعبّر بالقول «صفة ثقافية» عن جزء صغير من الثقافة العامة، وبالقول «المركب الثقافي» عن مجموع هذه الصفات الثقافية الصغيرة. وهذا ظاهر في لغة كل قوم وما اللغة سوى جزء من ثقافة القوم الذين يتكلمونها. فجميع المركبات الثقافية في أمة ما مجموعة معاً هي ثقافة الامة. وهذا التعبير يتناول مدنية الامة وطرق تفكيرها وأعمالها وما ينتج عنها من المظاهر المادية والمعنوية النفسية

والعلماء حتى الآن لا يمكنهم ان يعمينوا حدًّا للصفة التي يطلق عليها «الصفة الثقافية» ولم يتفقوا أيضاً على قاعدة يمكن اتباعها في تحديد عدد الصفات الثقافية لتكوين «مركب ثقافي». غير ان استعمال هذين الاصطلاحين في التعبير عن الثقافة مفيد جداً. وعليه قد اكسب الاصطلاح والاستعمال هذين التعبيرين معنى خاصاً بهما في بحوث الثقافة، وايضاحاً الامر نسرد ما يلي: —

اذا أردنا الوقوف على معرفة قوم بأسباب الملاريا مثلاً فلتطرح عليهم أسئلة لتعرف بأجوبتهم عنها هل يعرفون الملاريا او سمعوا بها، ثم اذا سألناهم عن سببها فالتنا نجد البيئة التي يكثر فيها المثقفون المتعلمون تقول بأن البعوض ينقل طفيليات الملاريا من المريض الى السليم وفي الجماعات الاخرى نجد الاجوبة تدور حول أحد الامور التالية على الغالب:

الاصابة بالعين او سرعة تغيير الهواء من بارد الى حار والعكس بالعكس ان ليلاً او نهراً او القضاء والقدر من الله او لا نعرف

﴿الاستمرار الثقافي﴾ يجب ان لا يعزب عن البال ان الثقافة من الامور المكتسبة ولا تدخل لها البتة في الامور الفطرية واذا عدنا الى الحد الذي أوردناه وجدنا الثقافة مجموع امور يتعلمها الفرد في حياته من اسلافه والمتقدمين منا في محيطه ولا علاقة للوراثة الحيوانية بها. هذا والتنا نجد من الوجهة الاخرى ان ثقافة المرء تتوقف كثيراً على ما يرثه في تركيب جسمه ووظيفة اعضاء جسمه. ونجد ايضاً ان الطبيعة والنطبع لها شأن كبير في ثقافة الافراد فمن هذه الوجهة يكمل الواحد منهما الآخر فلا يمكن انفصال احدهما عن الآخر ابدأً. ولكنهما غير هذا في الجماعات. فمن السهل فيها فصل احدهما عن الآخر. وهذا يتم بتغيير العامل الوراثي والنظر الى عامل البيئة مستمر التأثير، او ان تعكس الالية فننظر الى العامل الوراثي مستمر التأثير وتغيير عامل البيئة وهذا يكون في درس توأمين مماثلين في كل أمر فيمكن تغيير بيئتهما تغييراً كلياً عند تربيتهما. ويلجأ العلماء الى هذه الطريقة في تعيين ما هو ثقافي بحت وما هو فطري فسيولوجي. ولما كان درس ثقافة الشرق الأدنى وثقافة الغرب بهذه الطريقة قليلاً جداً فالاختلافات بين الثقافتين التي سأذكرها في هذا الصدد فروض فقط ولست اذكرها كحقائق راهنة. فالاختلافات التي سأذكرها على انها فروض قد تكون حقائق راهنة. وقد ينشعب حولها مباحثات ومجادلات. ولكن لا يحق لرجل العلم المدقق ان يقول كلمة فصل فيها بوجه من الوجوه. بل عليه ان يؤجل البت في الامر حتى يتسع نطاق علمه، بالحوادث المثبتة التي تؤيدها والوقوف على اختبارات اخرى. وعلى كل اذا كان الاختلاف الذي سأذكره حقيقة راهنة ام لم يكن فيجب ان لا يسهى عن باننا ان الثقافة كما حددناها سابقاً هي ما يتلقنه الفرد والمجموع من المعلومات في جيله وما يرثه من معلومات الجيل الذي سبقه. وعلى هذا نقول ان الثقافة بكليتها تعتمد في تكوينها على

البيئة والتدريب والتربية والتهديب في اوسع معانيها ولهذا يمكن تغيير الثقافة او ابقاؤها على حالها بالتهديب الواسع المذكور

﴿ التغيير الثقافي ﴾ فعلى ما تقدم في وسعنا القول بان الحقائق الثقافية قابلة للتغيير بسرعة اذا تغيرت بيئتها الاجتماعية تغييراً كلياً . هذا يتم حتى ولو كانت الحقائق الثقافية المتغيرة قد سادت الامة الواحدة زمناً طويلاً وظهرت فيها بمظهر لا يمكن تغييره . ولنا في حوادث روسيا بعد الحرب وفي اليابان عند فتح ابوابها لتأثير المدينة الغربية خير برهان على صحة هذا القول . فالثقافة في كل قطر ومكان حتى وفي الصين تتغير بتغيير العوامل المؤثرة فيها . غير ان المسألة هي معرفة مدى هذا التغيير وسرعته

ثم ان الاختراعات توجد عاملاً وسيطاً لهذا التغيير وندعو هذا العامل « تمييزاً » لانه يميز حالة عن اخرى واذا شئت فقل يميز طرق تفكير الامة وعملها وما ينتجُه هذان مادياً ونفسياً قبل الاختراعات عنها بعد الاختراعات . وانواع تمييز حالة الواحدة عن الاخرى عديدة ولكن ما همنا منها في هذا البحث هو التمييز الاقليمي نعني به الفرق بين الاقليمين الشرق والغرب . فالجماعة التي تقدر في اقليم واحد وتحصر نفسها في هذا الاقليم ولا ترتبط بغيرها من الجماعات في الاقاليم الاخرى تكتسب بما يظهر فيها من اختراعات وغيرها ثقافة تختص بها وتميزها عن ثقافات الجماعات في الاقاليم الاخرى . وهذا التباين يزداد بطول مدى انفراد هذه الجماعة عن غيرها . ولهذا كانت اوربا والعالم الجديد في القرون السالفة تسيران متقدمتين في جهة تختلف عن تقدم الشرق الأدنى بسرعة وثقافة ومن عوامل التغيير في ثقافة الاقوام تقدم طرق المواصلات ووسائل النقل وهذا مما يسهل انتقال ثقافة الجماعة المنفردة النائية الى غيرها من الجماعات وبعده تقرب الثقافات المختلفة بعضها من بعض وعندئذ يبتدىء عمل تفاعل الواحدة في الاخرى وهذا التفاعل يكون احد العوامل الثلاثة العامة التالية : اما عامل تناقض وصراع وإما عامل موافقة وتلاؤم وإما عامل تشبه واندماج . فثلثنا في العامل الاول مثل امرأة تركب الدراجة (بسكليت) وتسير في شوارع بعض مدن الشرق فعملها يثير استهجان القوم حتى لقد يندفعون الى رمي المرأة بالحجارة . هذا مظهر التناقض والصراع . ومثل العامل الثاني مثل دخول اللغة الارمنية الى الاقطار العربية فهي لم تعط اللغة العربية ولم تأخذ منها بل بقيت مظهر ثقافة مستقلة عن ثقافة القوم الذي تعيش في وسطه كل الاستقلال ومع هذا لم تثر شيئاً من الاستهجان او التناقض والصراع . فهذا مظهر الموافقة والتلاؤم . ومثل العامل الثالث مثل الالبسة الاوربية او ركوب السيارات او تحديد الاسعار في المتاجر او غيرها من بعض الصفات الغربية التي تزداد تطرقاً كل يوم الى عادات اهل الشرق ويزداد تأثيرها في ثقافتهم وهذا مظهر التشبه والاندماج

— ٢ —

تباين الثقافتين

لقد تقدم البحث عن الثقافة بوجه عام وبعده يجدر بنا ان نبحث في الاختلافات الواضحة التي تفرض وقوعها بين الثقافة في الشرق الأدنى والثقافة في الغرب . وهذا التباين بين الثقافتين ولابد القرون السالفة . غير اننا نرى الثقافتين في هذه الايام تزدادان اقتراباً الواحدة من الاخرى ويزداد تفاعلها الواحدة في الاخرى . ومن الخطأ الفادح ان نطبع هذا التباين بطابع الشرق والغرب . والاصح ان نقول ان الواحدة ثقافة الاجيال الوسطى وهذه عامة في الشرق الأدنى . والاخرى ثقافة العصر الحديث وهذه شائعة في اوربا وأميركا وأخيراً في بلاد اليابان . وفي درسنا التباين بين الثقافتين يجب ان نعتمد على معدل كل ثقافة منهما اذ لا يمكن ان تختلف ثقافة الامة الواحدة عن ثقافة الامة الاخرى اختلافاً مطلقاً . ففي الشرق الأدنى وفي الغرب صفات ثقافية مشتركة . ومن بواعث الاسف ان الناس عند ما يقابلون جماعة بأخرى ينطقون بألفاظ يستدل بها على البعد بين الجماعتين لان الالفاظ التي ينطقون بها متناقضة المعنى كقولهم ايض وأسود وما شابه . والحقيقة ان في الامتين صفات متشابهة وأشد اقتراباً الواحدة من الاخرى مما تعبر عنه المفردات الوصفية المتناقضة

١ — المميزات الزراعية مقابل المميزات الصناعية $\{$ الفرض الاول ان الزراعة اكثر ظهوراً في الشرق الأدنى منها في الغرب والصناعة اكثر شيوعاً في الغرب منها في الشرق الأدنى . فهذا التباين الاقتصادي قاعدة كل صورة من صور ثقافة الامتين . فالصفات الثقافية في البدوي ترتكز على بداوته وعمله كراع يسير وراء المواشي . وما يصحح على البدوي من هذا القبيل يصح على الفلاح والعامل والتاجر وصاحب كل مهنة حرة وصاحب المعمل الى ما هنالك من الحرف المعروفة واسباب الارترلق المألوفة . فثقافة كل صنف من اصناف البشر يجب ان تنفق وحالته الاقتصادية اي مع مهنته وما تدر عليه هذه المهنة من المال . وهذا التباين الثقافي بالقياس الى المهن جلي وواضح وما الحاجة في اثباته الا الى حوادث معينة تتخذ شاهداً معززاً . وللدلالة على الامر أقول ان مستر كيلي (كان قنصل الولايات المتحدة في بيروت) أحب ان يعرف النسبة بين قوة الاحصنة (من الحياد) وقوة الاحصنة الآلية المستخدمة في الامة الواحدة لمعرفة درجة شيوع الصناعة في تلك الامة . واتخذ لذلك فلسطين والولايات المتحدة اساساً للمقابلة . فأحصى عدد الحيوانات المستخدمة في هذين البلدين وقسم هذا العدد على مجموع قوة الاحصنة المستخدمة من البخار والكهرباء وما يتولد بواسطة الاحتراق . فوجد ان ٤٧ في المائة من الولايات المتحدة كان في سنة ١٩٢٥ تسوده الصناعة اي انهم استعاضوا في شؤونهم الاقتصادية عن الحيوانات بآلات الى الدرجة المذكورة بينما النسبة في فلسطين من هذه الوجة كانت اقل من ٤ في المائة . غير

ان نسبة الزيادة السنوية في هذين البلدين كانت اكثر في فلسطين منها في الولايات المتحدة وهذا يدل على ان التقدم الصناعي في فلسطين كان يزداد سنوياً اكثر منه في الولايات المتحدة اذا راعينا النسبة

نمو القرى وازدهارها بالسكان شيء وشيوع الصناعة والتحلي بمزايا الغرب شيء آخر فيجب ان لا يخلط هذا بذلك وما قسط وافر من الثقافة في مدن الشرق الادنى يتغير بنمو هذه المدن وازدياد سكانها . فالتاس ينزحون من الصحراء الى القرى ومنها الى المدن فيكثر الازدحام في هذه وتزيد العلاقات الثقافية في المدن تعقيداً وتزيد السرعة في الحياة وهلم جرّاً . وينسب الناس هذا التعقيد في الثقافة الى دخول الثقافة الغربية الى المدن المتعلق بها الامر فلا صحة لهذا الاعتقاد . فالامر مستقر في ذاته كل الاستقلال . وايضاحاً لهذا نقول : ان كثيرين يعتقدون ان سبب ضعف صفة الثقافة الشرقية المعروفة بحسن الضيافة دخول الثقافة الغربية الى هذه البلاد . اما انا فلا اعتقد بصحة هذا القول فلا دخل للمدينة الغربية بالامر . والسبب كل السبب هو نمو القرى والمدن وازدياد سكانها . واذا درسنا المسألة بالتدقيق وجدنا ان منشأ صفة حسن الضيافة في الصحراء كانت في بادىء امرها صفة لازمة للبقاء والوجود ولكنها تضعف في القرى ويزداد ضعفها في المدن . ومن الامور الجلية انه لا يمكن لسكان المدن ان يفتح بابها لكل طارق وكفيه لكل مستعطى والعدد في المدن الف او اكثر . ولكن اذا انتقل الشخص نفسه الى مكان منفرد وسكن الحيام في الصحراء ، زاء وقد انقلب في الامر كل الانقلاب فتوق نفسه الى غريب يجالسه ويقاسمه الحياة المملة في الصحراء . واذا راجعنا تاريخ الولايات المتحدة وجدنا ان صفة حسن الضيافة كانت شائعة كل الشيوخ بين النازحين الاولين اليها عند ما كانت العائلة الواحدة تبني لنفسها اكواخاً من جذوع الاشجار التي تقطعها من الحراج . وكان الكوخ الواحد يبعد عن الآخر اميالاً . فكان كل قادم جديد الى البلاد يجد بيوتاً مفتوحة لاستقباله وطعاماً لغذائه ، بل كان المضيف يشعر ان عليه من باب حسن الضيافة ان يساعد ضيفه في بناء كوخ له . ولكن لما تقلص ظل هذه الحالات بانشاء المدن ونمو القرى تقلصت معها هذه الصفة : ويظهر ان القدر كتب لهذه الصفة في الشرق عمراً اطول جداً من عمرها في الغرب وهي ستبقى في الشرق الى مستقبل بعيد جداً . ولذلك سبيان الاول ان الصحراء الحارة القريبة ستبقى صحراء . والثاني ان هذه الصفة تعمل عملها منذ اجيال وقررون فصارت بكثرة التكرار عادة وتقليداً وصار التقليد قوة محركة تدفع هذه الصفة لتستمر في عملها على الرغم من تقلب الاحوال

ب — الميزة التقليدية مقابل الميزة المبنية على الاختبار — التباين الصناعي في القطرين يعزى بالاكثري الى تباين في العلوم الصناعية او الى تباين في تطبيق المعارف العلمية . فالموارد الطبيعية في

بعض اقسام الشرق الأدنى تمتاز عنها في بعض اقسام الغرب . ولكن النقص في العلوم الصناعية حال دون استغلال هذه الموارد. ولنا في موضوع زيت النفط في العراق خير برهان. وهذا النقص في العلوم الصناعية يحول ايضاً دون شيوخ الصناعة في الشرق الأدنى. ولنتعمق في بحثنا في هذه الناحية من التباين بين القطرين متخذين طرق التفكير الفني الذي هو أساس العلوم الصناعية أساساً لبحثنا ولنضرب صفحاً عن عرض التباين في العلوم الصناعية بين الثقافتين بمقابلة عدد العامل التي في القطر الواحد بها في القطر الآخر . وطرق التفكير هذه مبنية ايضاً على طرق علمية والطرق العلمية تتناول عمليات عديدة منها دقة ملاحظة الحقائق ثم استقراء المبادئ ثم معرفة العلاقة بين الامرين لتكون هذه الحقائق نظاماً ينسج على منواله ثم تطبيق المبادئ بطريق الاستدلال حتى تثبت اما باختبار شخصي وإما باحصاء مشاهدات اخرى وملاحظة حقائق جديدة. المهم في الطرق العلمية الاستقراء والاختبار وهذا عكس القول بان الوصول الى الحقائق اما بطرق تقليدية أكسبها الزمن صفة العادة المتبعة وإما بالانجاء الى ثقات معروفين ان في الزمن الماضي او معاصرين لنا. وهاهم الكثيرون يستدلون على علاج الحالات الحاضرة بأقوال زعيم غابر نقلت الكتب المقدسة او غيرها قوله المتبع. فالانجاء الى الثقات لمعرفة الحقائق اكثر شيوعاً في الشرق الأدنى منه في الغرب . بينما الانجاء الى الاختبار الشخصي لمعرفة الحقائق أعم في الغرب منه في الشرق الأدنى . واكبر برهان على صحة هذا نظام الرئيس روزفلت النظام الاقتصادي . فان الرئيس عندما اذاعه قال انه تجربة وقد يظهر لنا الاختبار عدم صلاحه للبقاء

﴿ج — ميزة الاستقرار مقابل ميزة التغيير﴾ ان فرضنا السابق أن ميزة التقليد اكثر شيوعاً في الشرق منها في الغرب يقودنا حتماً الى فرض ان الثقافة في الشرق الأدنى اكثر استقراراً على حالة واحدة منها في الغرب لان الحالتين متحدتان معاً لا تنفك الواحدة منهما عن الاخرى . أجل ان الاستقرار على حالة واحدة اشد في الشرق الاقصى كبلاد الصين مثلاً منه في الشرق الأدنى. ولكن هذا لا يفي ان الشرق الأدنى في الاجيال الغابرة كان اكثر استقراراً على حالة واحدة في ثقافته من الغرب. هذا اذا قابلناه بسرعة التطور الثقافي في الغرب وبالاخص تلك السرعة الهائلة التي عمت اوربا بالانقلاب الصناعي الذي ظهر في السنوات الاخيرة . غير ان الحالة قد تغيرت حديثاً وصار الشرق الأدنى اسرع تغييراً منه في الماضي وهذا ظاهر في تركبها في عهد كمال اتاتورك وفي غيرها من بلدان الشرق الأدنى. غير ان هناك خلال هذا التطور الثقافي نزعة تعمل لابقاء القديم على قدمه . وايضاحاً للأمر نستعين بالمركب الثقافي الزراعي . الفلاح في بلدان الشرق الأدنى يحجم عن استعمال الطرق الحديثة في عمله . بينما الفلاح في بلاد الغرب لا يتأخر عن نبذ ماورثه من الاجيال الوسطى فيأخذ بالطرق الحديثة

سواء في ذلك، طرق تسميد الارض او ارواء غليلها او حرثها فستخر العلم لكل هذه وزاد بانه جعل العلم يغير اموراً طبيعية كتفقيس البيض واستخدام الكهرباء ليلاً لاغواء الدجاج بان الوقت نهار فيكثر بيضها. وقد جاءت الاخبار، وخرآ أنهم يحاولون في المانيا وأميركا استخدام سائل كيميائي يسمونه في احواض يزرعونها حبوباً وما شاكل عوض ان يغرسوها في الارض. وهم يؤملون ان يجنوا من هذه فوائد زراعية جمة منها ازدياد الخصب في المواسم وتحسين نوع الحبوب والعمل على تخليصها من الحُميات المضرّة. وزد على هذا أنهم يؤملون أن يمكنهم استخدام حرارة اصطناعية وضوء اصطناعي من ان يزرعوا الاوعية ويستغلون ما يزرعون في مدة لا تتجاوز العشرة ايام وبعد هذا يحق لنا ان نحلق بتصورنا في جو المستقبل فنجد ابناء ذلك الزمن ينشئون المعامل للزراعة وبعضون ضمن المعامل براميل ينسقونها على الرفوف صفوفاً صفوفاً كما تنسق الكتب هذه الايام في المكتبات العامة ويزرعون في البراميل الحبوب ويحصدون المواسم بسرعة كلفة وفي كل هذا يتمشى الفلاح بين هذه الصفوف وعمله منحصر في الاطلاع على حرارة كل برميل وتعديلها بقطع الجرى الكهربائي او غير هذا كما تقتضيه الحال. وسيترك ابناء الاحيال المقبلة الارض لتكون جنائن فيحاء للتنزه والتمتع بالملذات او دور للعب والقفز والعدو هذا اذا كان لهم رادع اجتماعي والا سينمون ويكثرون ويملاون الارض ويجعلونها مدينة واحدة لاحد لا طرافها

لا بل يحق لنا ان نقول ان زمن هذا النوع من الزراعة سيكون قصيراً لان علماء الكيمياء يزدادون اعتقاداً بان في مقدور الانسان ان يجمع المواد النشائية وغيرها من المواد الغذائية رأساً مما يحيط به من الهواء والماء ونور الشمس وغيرها من المواد الغذائية فالاحداث في الغرب يهللون لهذه الاخبار ويرحبون بها اشد ترحيب ويندفعون حباً بها وولها بنتائجها الى درس الكيمياء والفنون الزراعية آملين ان يتاح لاحدهم تحقيق هذا الحلم. وخلاصة القول في هذا التباين ووضع سكان الاقليمين نجاء هذه الحالات ان سكان الشرق الأدنى يفرحون بما لديهم وما اعتادوه الى أبعد مدى يمكنهم، بينما سكان الغرب يهللون لكل تغيير وحادث جديد

والذين يرغبون في التغيير والتبديل يقولون ان هذا تقدم ونجاح ويقولهم هذا يضعون قيمة معنوية ومادية للتغيير والتبديل المذكورين. والمجتمع يرغب في ان يكون للتغيير والتبديل قيمة اضافية لما فيها من معنى علمي. ونحن لم نحاول في كل ما قلناه من التباين والاختلاف ان نقاضل بين الثقافتين فنمدح الواحدة ونذم الاخرى لانا لانود ان نقيم للواحدة قيمة محرم الاخرى منها ولا نرغب في ان نسمي الواحدة تقدماً والاخرى تأخراً او رجعية. ونحن نأمل ان نفسح بتجردنا هذا مجالاً لقارئ مقالتنا هذه لكي يبحثوا فيما بينهم الفروض التي قدمناها وان يتأملوا بها

ليكونوا هم لانفسهم رأياً يتعلق بقيمة التباين في الثقافتين الغربية والشرقية ويدون آراءهم في
المرغوب فيه منهما وأيهما يرفضون

واذا نظرنا الى هذا التباين في حالتي الاستقرار والتبدل من وجهة أخرى وجدنا النتائج ذاتها
فالشرق الأدنى كان حتى السنوات الاخيرة أكثر تسليماً للقضاء والقدر من الغرب بينما هذا كان
أكثر نشاطاً واضطراباً من ذلك. ولايضاح الامر نستعمل القواعد الجبرية فنقول ان في كل قوم
رغبة شديدة في الحصول على الاشياء التي قيمها كبيرة ونشير اليها برمز

ثم ان جميع الرغائب لا تتال كلها بل يُنال منها قدر كافٍ لاشباع الميول اليها فنسبة الرغبة
الكاملة الى ما يمكن الحصول عليه منها يتخذ قياساً للقوى السيكلوجية التي تدفع القوم
الى العمل والقيام بمفاخر الاعمال. وهذه النسبة ندعوها «الشد» او «عدم الاكتفاء» فمن هذا يتم
معنا المعادلة الجبرية التالية $\frac{V}{S} =$ ش اي بقسمة الرغبة على مفاخر الاعمال يحصل لنا نسبة الشد
وتقاس هذه الصور بعض الاحيان بوحدات كنظام العرض والطلب في الرغبات الاقتصادية او
في موقف القوم المتعلق به الامر تجاه رغبات اخرى. فنسبة الشد هذه ما هي الا دليل الى
العوامل التي تدفع كل حي للعمل في تحقيق رغباته وتخفيض الشد والمد في اعماله. فالسعادة مثلاً
زيادة في تحقيق الرغبات وتخفيض في الشد والمد في حياة الفرد هذا بصرف النظر عن كون
الرغبات مادية او روحية. وفي العالم فلسفتان في كيفية الحصول على السعادة البشرية وهما طرفا
نقيض. الاولى واضحة في تعاليم بوذا عن نيرفانا. والثانية جلية في العقلية الاميركية القائلة جد
وحصل. فبوذا يقول ان على من اراد ان يخلص وينقص الشد والمد في حياته ان يتحرر من
كل رغباته وذلك بتحويل صورة المعادلة اعلاه له الى الصفر حتى متى حم انتقله الى نيرفانا
يحصل على غبطة تامة لانه تخلص من كل رغباته تخلصاً كاملاً. اما الاميركي فيقول عكس هذا
تماماً فهو ينادي بان يندفع المرء في العالم عاملاً مجدداً وتلاً لرغباته الارض من اقصاها الى اقصاها
فكلمة «لا استطيع» لوجودها في قواميس الشبان الذين يريدون كل شيء مبهجاً مفرحاً وفي هذا
تتحول قوى الامة جميعاً الى زيادة الانتاج تأسيس معامل ومؤسسات اكثر تعقداً من التي سبقها.
فهذه الفلسفة فاسفة ازدياد الرغبات والجد في طلبها تخفيض الشد وتزيد الحصول على الغبطة والسعادة
وهذا يكون بتحويل صورة المعادلة أعلاه الى حد لا يحصى ولا يدرك. وبالنتيجة تنخفض نسبة
الشد والمد الى الصفر والعدم. ومن الامور المؤكدة ان الوصول الى هذه النتيجة بما يصفه الفريقدان
مستحيل لسببين الاول ان للبشر رغبات فيسيولوجية ما زالوا احياء. والثاني ان رغبات البشر

تزداد بسرعة تفوق السرعة التي يتاح بها للمرء ان يتغلب على الحواجز الطبيعية التي تحول دون تحقيق رغباته وأشباع مطامحه

أما اذا عملنا على تطبيق المعادلة المارذكرها على حياة الافراد فتاثر الشرق والغرب مع تحدين متحالفين رغم هذا التباين بين الحد الأقصى في الشرق الأدنى والحد الأقصى في الغرب . والزعة اليوم في الشرق الأدنى الى زيادة مخرج المعادلة اي الزيادة في الاعمال عوض عن الاهتمام بتخفيض صورة المعادلة اي الرغبات . ولكننا اذا قابلنا حياة كل من الامتين مجموعة بالمعادلة المارذكرها بحيث تشمل المعادلة كل السكان في القطر الواحد وجدنا قضية القضاء والقدر تلعب في الشرق الأدنى دوراً مهماً في وضع سكان هذه البلاد تجاه الحالات التي ليس بمقدورهم تغييرها . وقد يكون السبب في هذا الزمن الطويل الذي قضاه الشرق الأدنى تحت الحكم التركي مما ساعد على رسوخ قدم هذه العقيدة في هذه البلاد . ولا يزال القرويون في هذه البلاد يعملون على انقاص رغباتهم وتسليم كل ارادتهم لله معتمدين بان لا فائدة من انتظار تقدم ونجاح عظيمين

واذا نظرنا الى الفلسفة الاميركية القائلة بالجد وتعداد الرغبات للفوز بالسعادة بحسب ما تقدم معنا في المعادلة المذكورة وجدنا الإخفاق بادياً في كل محاولات الاميركيين لزيادة مخرج المعادلة حتى يتم لهم تخفيض الشد والمد والتوتر في حياتهم . فالنتيجة جاءت معكوسة . فالمدنية الاميركية اكثر مدنات العالم في شدة توترها واضطراب اعصابها وهيج نشاطها فالنازحون الاولون الى اميركا قد استفزوا كل رغباتهم ودخلوا البلاد باحلام وآمال عديدة ولكنهم اضطروا في بادى الامر ان يعيشوا بكل بساطة في اكواخ من جذوع الشجر وهذا ما جعل الفرق بين صورة المعادلة ومخرجها عظيماً جداً . وبالنتيجة كثرت الشد والمد في حياتهم وهذا كان يدفعهم الى بذل جهود جبارة ونشاط مضطرب حتى يتغلبوا على حياة الفقر والوحدة . اما رغباتهم وطموحهم التي جاءوا بها من اوربا فتحررت بنزوحهم الى الولايات المتحدة من القوانين التي جعلت فرقا بين صف من صفوف البشر وصف آخر . وهذه الحرية جعلت رغائبهم تتوسع تدريجاً وتوسعها ازداد الميل في الناس الى الاعمال الكبيرة وتعميم الصناعة وهذا الامر قد ساعد على بقاء الشد والمد طالين . ثم هذا عامل نفسي سيكولوجي يدفع الى ما نراه اليوم في مدينة الولايات المتحدة من الانقلاب والنشاط والتهيج وتوتر الاعصاب (وعلى كل هنالك عوامل أخرى كالمناخ الذي يزيد في نشاط الامة ومواد البلاد الطبيعية وتزاوج الامم المختلفة التي تنزح الى الولايات المتحدة فكل هذه تحمل على زيادة النشاط في الامة)

[للبحث تمة]

تحويل العناصر

اسلوب المختبرات العلمية

في صنع ذرات هبريرة

تحويل العناصر في شكله الحديث قريب العهد ، وهو يختلف عن تحويل العناصر في شكله القديم ، في أنه قائم على فهم تركيب الذرة ، ومعرفة الاساليب التي يمكن التوصل بها الى احداث تغيير في هذا التركيب حذفاً وإضافة ، فتتحوّل ذرة عنصر ما الى ذرة عنصر آخر . واذا كان علماء العصر الحديث قد قاموا بتحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ، ففي وسعهم الآن ان يحولوا الفسفور مثلاً الى ألومنيوم مُشعّ ، والنروجين الى بورون . واهم من التحويل نفسه في نطاقه الضيق المحصور الآن ، ما تسفر عنه المباحث الدائرة حول موضوع التحويل في شتى المعاهد العلمية ، من توسيع نطاق المعرفة بتركيب المادة على صحتيه . وهذا قد يكون في آخر الامر سبيلنا — في حياتنا او بعدها — الى تناول جسيمات المادة الاساسية وصنع ما نريد منها

وتحويل العناصر يقوم في اسلوب العلم الحديث على احداث تحويل في نواة الذرة . فكل ذرة على ما تعلم ، قوامها نواة مركزية موجبة الشحنة ، تحيط بها كهبريات (الكثرونات) سالبتها ومجموع شحنات الكهبريات مساوية لشحنات النواة فتبطل هذه فعل تلك فتعادل كهربائية الذرة . ولا يخفى ان الجانب الاكبر من كتلة الذرة مركّز في النواة والنسبة بين كتلة الكهبر وكتلة البروتون (وهو نواة اخف الذرات) كنسبة ١ الى ١٨٠٠ . فتحويل ذرة عنصر من شكل الى آخر يقتضي احداث تغيير في نواة الذرة . وليس هذا بالعمل الهين . وذلك اولاً لان النواة صغيرة الحجم جداً فيصعب ان تصيدها بقذيفة ما . ثم ان الجسيمات التي تتكون منها النواة مترابطة ترابطاً وثيقاً جداً بقوى كهربائية عظيمة حتى لتجد ان فصلها بعضها عن بعض من اشقّ الامور . فاذا كان قطر نواة الذرة جزءاً من عشرة آلاف جزء من قطر الذرة نفسها ، فمساحة مقطوع النواة لا تزيد على جزء من مائة مليون جزء من مساحة الذرة ، فاذا اطلقنا على الذرة قذيفة ما بغية ان تصيب النواة كان احتمال النجاح واحداً على مائة مليون . ولذلك نُضِيع سدى الجانب الاكبر من القذائف التي نطلقها بغية أن نصيب بها النواة .

ولنفرض اننا اطلقنا قذيفة وهي نواة الايدروجين (اى بروتون) — على هدف من مادة معينة بقوة مليون فولط ، فانها تقبل على هذا الهدف بقوتها هذه فتخترق الطبقة الاولى من كهيرباتها فاذا اتفق واصابت في هذه الطبقة نواة، فيها ، والا فانها تخترق هذه الطبقة الى مايليها وقد خسرت من قوة اندفاعها ، بما اخذته منها الكهيرات التي اخترقت منطقتها ، وهكذا ، حتى اذا اصابت نواة في الطبقة العاشرة فانها تصيبها وقد فقدت جانباً كبيراً من قوتها فلا تكون الاصابة فعالة . فاذا لم تصبها ومضت في سبيلها على هذا المنوال تبقى سائرة حتى تفقد قوتها وتستقر . وما زال العلماء عاجزين عن ابتداء وسيلة تمكنهم من تسديد القذائف حتى تكثر النوى التي يصيبونها بها وعلى ذلك فعظم الطاقة التي تستنفذ في اطلاق القذائف بقوة عظيمة لاحداث التحويل ، يضععب هباء . ولذلك يعتمد علماء الطبيعة ان هذه الطريقة لن تقضي الى مصدر جديد من مصادر الطاقة مع ان الطاقة الكامنة في الذرات عظيمة جداً. الا ان هذا لا يعني ان بحث طبيعة النواة لا يفيد فالواد الجديدة التي تولد بهذا الاسلوب تستعمل كثيراً في البحث الطبي والبيولوجي

فلننظر الآن ما يحدث في النواة عند ما تصيبها القذيفة ، لعلمنا نستطيع ان نبين السر في اقبال طوائف من العلماء على هذا النوع من البحث . ولكي نستوضح ما يحدث يجب ان نتذكر ان النواة قوامها نوتان من الدقائق او الجسيمات هما البروتونات والنوترونات. فالبروتون موجب الشحنة والنوترون متعادلا او هو محايد من الناحية الكهربائية . وقدر الشحنة الموجبة على البروتون مساوٍ لقدر الشحنة السالبة على الالكترتون مع ان كتلة الاول تفوق كتلة الثاني نحو ١٨٠٠ ضعف . واذن فالشحنة الكهربائية العامة للنواة ، موجبة وهي مجموعة شحنات البروتونات التي فيها . اما كتلة النواة فهي مجموع كتل البروتونات والنوترونات التي تتألف منها

هذا في ما يتعلق بالذرة . اما القذيفة فعلى انواع. منها الاشعة الجمية Gamma او الاشعة السينية العالية التردد القصيرة الامواج ، ثم البروتونات التي تكتسب زخماً عظيماً وطاقة كبيرة بواسطة احد الاجهزة الخاصة بذلك . ثم الدوتونات وهي نوى ذرات الايدروجين الثقيل ويمكن الحصول عليها واكسابها الطاقة والزخم بالطريقة المتقدمة . ومثلها جسيمات الفا . اما النوترونات فيحصل عليها الباحثون في التفاعلات التي تطلق فيها احدى القذائف المتقدمة على اهداف من مواد معينة فتؤثر فيها تأثيراً من شأنه اطلاق نوترونات فيزداد زخمها وتستعمل بدورها قذائف في هذا النوع من البحث . اما الكهيرات (الالكترونات) فيظهر انها لا تصلح قذائف من هذا القبيل الاشعة الجمية اقل هذه القذائف فعلاً في احداث التغير المبغى . ويصدق هذا القول بوجه خاص لان مصادر الاشعة الجمية القوية نادرة . الا ان تأثيرها شبيه بتأثير الضوء عند وقوعه على بصاصة (مخلية ضوئية كهربائية) أي ان الاشعة الجمية تفقد من النواة التي تمتصها

او تتأثر بها نوترونات أعلى نحو ما يقذف الضوء الكهرونات من البوتاسيوم الذي في البصاصة . فاستعمال الاشعة الجمية ذو شأن نظري من حيث دراسة النواة ، ولكنها لن تكون ذات شأن في صنع

المواد المتصفة بالنشاط الاشعاعي الصناعي Artificial-radio-activity

وأما النوترونات فمن القذائف التي تسترعي العناية لانها لا تحمل شحنة كهربائية ولذلك فلا تدفعها النواة الموجبة الشحنة عندما تقترب منها واذن فلا يلزم النوترونات ان تصيب المادة التي تسدد بها بقوة عظيمة نسبياً حتى تخترق طبقات الالكترونات الى النواة . فالنوترون المطلق بقوة يسيرة — نسبياً — يستطيع ان يسير الى النواة فتعتمقه وينشأ عن ذلك تفاعل يفضي الى تغيير النواة اما وقد ارتقت الاجهزة لتوليد النوترونات وقذفها ، فمن المحتمل ان تغدو هذه الطريقة لتوليد المواد المشعة اشعاعاً صناعياً ذات شأن عظيم في المستقبل . والسهولة التي يمكن بها اجتذاب النوترون الى النواة ولو كانت سائراً سيراً بطيئاً ، يفسر انتفاء وجودها حرة في الطبيعة . فاذا اطلقت النوترونات حرة بوسيلة من الوسائل ، فإنها تخترق المادة ولا تلبث حتى تجذبها نواة

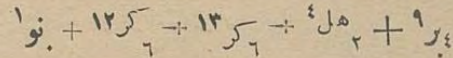
والفضل في فهم ما يحدث في النواة عند ما تصيبها احدى هذه القذائف يعود الى العالم الدنماركي نيلز بور Bohr صاحب الفضل ايضاً في فهم بناء المنطقة الخارجية في الذرة وهي المنطقة التي قوامها الكهكروبات (الالكترونات) . فهو يذهب الى أن الدقائق التي تتألف منها النواة تجذب بعضها بعضاً بقوة حتى اذا دخلت قذيفة ما النواة ، تقسمت هذه الدقائق طاقة القذيفة ، فتؤسر القذيفة ، لانه لا يوجد في هذه الحالة دقيقة واحدة تفوق طاقتها طاقة زميلاتها فلا تستطيع أن تفلت من الأسر . وينشأ عن ذلك نواة قوامها جميع الدقائق التي كانت فيها وكذلك القذيفة . ولكنها تختلف عن النواة العادية ، في انها تحتوي على مقدار من الطاقة اكثر مما تحتوي عليه النواة المستقرة البناء . وهذه الطاقة هي طاقة حركة موزعة على دقائق النواة . ثم بعد قليل ، (وبسلسلة من الحوادث لا يمكن حسابها الآن) تفوز احدى هذه الدقائق بمقدار من الطاقة يفوق مقدار اخواتها ، فتفلت من جذبها وتقذف الى الخارج

فاذا كانت الذرة التي اصيبت ، والقذيفة ، والدقيقة التي تنطلق ، مما يجعل الذرة المتبقية مستقرة البناء ، فالتغير ينتهي عند هذا الحد أي ان الذرة تحولت الى ذرة اخرى . ولكن اذا كانت النواة المتبقية غير مستقرة البناء ، فإنها لا تلبث بعد ايام او بعد ساعات ، حتى تحاول الوصول الى الاستقرار ، فتطلق كهربياً سالباً او كهربياً موجباً (بوزيترون)

وقد تقدم البحث في هذه الناحية تقدماً سريعاً في بضع السنوات الاخيرة ، حتى لقد غدا في وسع العلماء ان يذكروا مئات من الحوادث تتغير فيها ذرات مادة واحدة تغيراً يقابن يقابن القذائف التي تسدد اليها . والعناية الآن متجهة خاصة الى دراسة تفصيلات الافعال التي تقع عند حدوث التحول

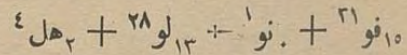
والآن نضرب للقارىء امثلة على التفاعلات التي تدلُّ على تحويل ذرة الى اخرى مفرغة في قالب المعادلات الرمزية المعتمدة بين العلماء. فالطريقة المتبعة هي ان يستعمل الرمز الكيميائي للعنصر ويوضع قبله من اسفل رقم يدلُّ على عدد البروتونات في نواة ذرة ذلك العنصر ثم بعد رمز الذرة من فوق رقم يدلُّ على مجموع عدد البروتونات والنوترونات في النواة

فالبريليوم يرمز اليه بالحرفين (بر). فيظهر في هذه المعادلات الخاصة بتحويل العناصر بر^٩ فالرمز (بر) هنا يراد به نواة ذرة البريليوم . والرقم ٤ يدل على عدد البروتونات في هذه النواة . والرقم ٩ يدل على مجموع عدد البروتونات والنوترونات اي ان النوترونات ٥ وعلى ذلك يمكن ا فراغ التحويلات في نوى الذرات في قوالب معادلات . خذ مثلاً على ذلك المثل التالي : —



ما معنى هذه المعادلة ؟ نواة البريليوم يطلق عليها نوى الهليوم بعد اسراعها (والهليوم مدلول عليه هنا بالرمز «هل» قبله ٢ أي في نواته بروتونان وبعده ٤ اي في نواته بروتونان ونوترونان) فيقع التحويل فينشأ عنه ذرة كربون ، بروتونات نواتها ٦ ومجموع بروتونات ونوتروناتها ١٣ ثم تتحول ذرة الكربون هذه — وهي غير مستقرة في الطبيعة — الى ذرة نوع آخر من الكربون في نواتها ٦ بروتونات و ٦ نوترونات وذلك باطلاق نوترون واحد

والمعادلة التالية تبين كيف تتحول مادة غير مشعة الى مادة مشعة



فهنا نواة ذرة فوسفور أطلق عليها نوترون فتحولت الى نواة ذرة ألومنيوم ونواة هليوم . هذا الضرب من الألومنيوم مشع لانه غير مستقر (الألومنيوم العادي رمزه ١٣ لو^{٢٧}) فتتحلُّ نواته فيتحول احد نوتروناته الى بروتون وكهرب ينطلق منها . والتحول من الألومنيوم المشع الى الألومنيوم العادي سريع الحدوث بحيث لا يكون مدى حياة الألومنيوم المشع اكثر من ١٢٧ ثانية هذا النوع من الألومنيوم المشع يمكن الفوز به بأسلوب آخر وذلك باطلاق النوترونات على الألومنيوم العادي فتكون معادلة التحول كما يلي $\text{لو}^{٢٧} + \text{نو}^١ \rightarrow \text{لو}^{٢٨}$ فالألومنيوم المشع المولد بهذه الطريقة ينحل كما ينحل الألومنيوم المشع المتولد من اطلاق النوترون على الفسفور

خليل مطران

شاعر العربيت الأبدية

البحث الاول

للكنور اسماعيل اصمحرارهم

عضو اكلادمية العلوم الروسية ووكيل المعهد
الروسي للدراسات الاسلامية

النقر الليلي والشعر والشعراء

﴿توطئة﴾ الشاعر هو ذلك الانسان الذي يستوعب الحياة في الاشياء ملء نفسه ويفيض بها من شعوره ووجدانه فتخرج نابضة بأسرار الحياة الروحية. ورسالة الشاعر — ان كان ثمة رسالة له — لا تخرج عن التعبير عن الحياة في سرها الروحي ، ومن هنا لا يختلف الشاعر في رسالته عن رسالة الفنان مصوراً كان او نحاتاً او موسيقياً ولذا — نرى عن حق — ان الشعر غاية في ذاته ، لانه يتضمن اغراضه في نفسه ، من حيث هو شعور يخالط الحياة فيجيء منها ولما كان الشعر تجربة الدنيا تلي على الشاعر صوراً من الحياة ، فهذه الصور من حيث تخالط شعور الشاعر وتجيء من وجدانه ، فانها تجعل اغراض الشعر متنبهة عند حد التعبير عما في الوجدان من معاني الحياة وصورها التي خالطته

هذا ... ولما كانت الحياة تأخذ صوراً مختلفة في نفوس الشعراء ، متكافئة وأمزجتهم الخاصة ، فان الشعر يبدو للوهلة الاولى وكأنه خاضع لاغراض خارجة عنه ، والواقع ان هذه الاغراض مسبعة على الاتجاه الشعري من مزاج الشاعر الخاص ، لذا كانت مخالطة وجدان الشاعر للحياة تسبغ على الحياة صوراً فتظهر نظام الاشياء الروحي في متناقضات مظاهرها الخارجية ، غير أن هذه الصور باتجاهاتها لا تحد من الشعر من حيث هو فيض الوجدان ، وأما تلون الموضوع الذي يخالطه الوجدان بلون خاص ، نتيجة للتكافؤ القائم بين مزاج الشاعر والحياة التي تبدو في طيات ذاته من هنا لنا ان نحدد وجهة نظرنا الى موضوع الشعر والشعراء . فالشاعر انسان لا يعنى بالجمال الا قدر ما هو منبث في تضاعيف الحياة التي تبدو معكوسة في اطار ذاته ، وهو الى هذا لا يعنى ببراز الذة والالم في شعره الا بالمقدار الذي يخالط شعوره منها . وهو لا يعالج مشكلة ولا

موضوعاً ، ولا يتقيد بشيء غير الحياة نفسها كما جاءت مخالطة وجدانه . وعمق استيعاب الشاعر للحياة ومنحى إبراز وعرضه لشاعره واحساساته تحدّد معنا قيمة شعر الشاعر من الشاعرية الصحيحة ولما كان الشاعر يقيم كل ما له من الشاعرية على شيئين : الاول عمق مخالطة وجدانه للحياة والثاني منحى عرضه للاحاساسات والمشاعر التي يخلص بها من هذه المخالطة فان شاعريته تتأثر بأوضاع المحيط الطبيعي والبيئة الاجتماعية من حيث تؤثر في مزاجه وبالتالي في مخالطته فتأتي شاعريته ذات نمط يكافئ ما في المحيط الطبيعي من عوامل وما يكتشفه في بيئته الاجتماعية من مؤثرات تندجو بعقليته وتأثره بالاشياء منحى خاصاً

ولما كان الشاعر يستوعب الحياة عن طريق وجدانه ، فانسحاب ذاتية الشاعر على الحياة ، وبجيء شعره من مخالطة وجدانه لها ، تستمد خطوطها من نفس الشاعر وطبيعته ، وبلغة أخرى لما كان الشعر — من حيث الموضوع — قطعة من الحياة يعرضها لنا الشاعر من خلال مزاجه الخاص ، وهو بما أوتي من مقدرة على الإبراز والعرض يقدر على إثارة احساساتنا ومشاعرنا وينقلنا الى الجو الذي خلقه في شعره فنشعر وكأننا نحيا فيه ونتحرك . فالعرض عنده يستمد خطوطه من طبيعة مزاجه وذاتيته التي تأثرت بأوضاع المحيط الطبيعي والبيئة الاجتماعية . فن هنا لنا ان نعتبر الشعر مظهراً نفسياً يدل على وجه تفهم الحياة والاحساس بها

وطبيعة الشاعر أظهر ما تكون في تأثرها بأحكام البيئة الاجتماعية والمحيط الطبيعي في منحى انسحابها على صفحة الحياة ووجه عرضها من خلال مزاجها الخاص قطعاً من الحياة . بيان ذلك ان الأوضاع التي تقيد الانسان في نظره للعالم تقيد انسحابه على الحياة بأشكال وأنماط . فالذهن الانساني في غراراته الاولى كان مدفوعاً بعجزه عن الانفصاح عن تفهم المظاهر الطبيعية وصور الحياة الى خلع احساساته البشرية على الطبيعة وتضمينها فيها وتشخيصها . مثال ذلك شعراء اغريقية الاقدمين ، ولهذا جاء شعرهم اسطورياً . فلما كدّ الذهن مستنبطاً أوضاع الحياة ، شغل الانسان بالعوالم المحسوسة وصارت خلجات النفس تصدر مصوغة في قوالب فكانت (كلاسيكية) الادب والفن . ومن هنا لنا ان نعرف المذهب « الاتباعي » في الشعر بأنه صوغ خلجات الشعور والنفس في قوالب من فعل العقل المحض وعمل الذهن الصرف ^(١) . غير ان الاغراق في استنباط أوضاع العالم المحسوس ووضع صيغه واستخراج قيمه اقام ثورة ضد المذهب (الاتباعي) تميّزت في الحركة (الرومانسية) التي عملت على تحطيم القوالب والصيغ (الكلاسيكية)

ولما كانت الحركة (الرومانسية) ردّ فعل للاتجاه (الكلاسيكي) ، فقد قامت على تغليب ما وراء

(١) ابن خلدون في المقدمة فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه حيث يقول الشعر صناعة وسبيل هذه الصناعة كثرة مطالعة دواوين الشعراء فيحصل مع كثرة القراءة والمراعاة على اساليب صوغ الشعر قالب من التركيب يتركز في ذهن الشاعر فيفرغ فيه صور ما ينظم من الشعر وهذا القالب كالنوال الذي ينسج عليه

المحسوس على المحسوس ، ومن هنا جاء ارسال الخلجات النفسية المترعة من القلب في النزعة (الرومانسية) ومن هنا كانت الرومانسية حركة « ابداعية » في تاريخ الفن والأدب غير انه نتيجة للاغراق في تغليب المشاعر وما وراء الحس على العقل والعالم المحسوس من جهة ولا كمال الدعوة العقلية في الغرب من جهة أخرى ، استتبطن الفكر متأثراً بالعقل (واقعية) الأدب . فكان النقل المجرد عن الطبيعة في المحسوس والمدى الظاهر من الاشياء . غير ان طغيان عالم الحس على عالم ما وراء الحس لم يقض عليها ، فكانت لها يقظة في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر تمثلت في الحركة (الرمزية) التي هي مظهر مكتمل من الحالة الاسطورية . فكان الاتجاهات الأدبية في الشعر مقيدة بالاوضاع التي اخذتها الحياة الانسانية في اطوارها المختلفة اما الشعر نفسه فيعلو عن التقييد بالاوضاع من حيث هو فيفيض الوجدان والشعور . وان كانت الاوضاع تبدو مع الشعر فائضة من وجدان الشاعر

—١—

لما كان الشعر من حيث هو فيفيض الشعور والوجدان نتيجة اهتزاز اوتار النفس البشرية أمام الحياة الكامنة في الاشياء ، فانه على قدر الاهتزاز وقوته يكون مقدار عمق الشاعرية في الشعر ، ذلك ان الهزة التي تستولي على نفس الشاعر كلما كانت قوية تكشف اسرار الحياة ومعانيها لوجدان الشاعر في حقيقتها . فتجعل الشاعر قادراً على النفوذ ، عن طريق وجدانه الى ما وراء المظاهر الخارجية للأشياء ، ومن هنا يمكن ان يقال ان الطبيعة تلتقي جانباً من معانيها الخالدة لنفس الشاعر في اهتزازات اوتار نفسه أمامها . فالشاعر أشبه بألة موسيقية أمام الطبيعة . والطبيعة كالانامل التي توقع عليها ، والألغام التي تخرجها الآلة أشبه ما تكون بالشعر الذي يفيض به وجدان الشاعر غير انه من المهم ان نضع موضع النظر حقيقة كون الحياة في الاشياء مرتبطة بالنسبة البنا مع العمل . ولما كان العمل يتعلق بالجانب الكمي من الحياة ، فالتايجد ان حياتنا العملية تتعلق بالشكل الخارجية للحياة . اما الحياة نفسها في حقيقتها فتعلو عن تناول تجاربنا اليومية^(١) والشاعر من حيث هو صاحب فن هو ذلك الانسان الذي ينفذ بوجدانه وبصيرته الى ما وراء الاشكال الخارجية للحياة مصروفاً عن العمل بالتعلق ملء نفسه بالحياة في اعماق الاشياء . غير ان الحياة لا تؤاتي الشاعر باكثر من هزات تصله بجانب من جوانب الحياة الداخلية للأشياء رافعة جانباً من الوشاح الذي بين الشاعر وبين الحياة الداخلية للأشياء فيفيض الشاعر من وجدانه

(١) هنري برجسون في كتابه رسالة الشواهد المباشرة للشعور . باريس ١٨٨٩ . وفيها يقول ان ما اعرفه من نفسي ليس الا ما يتجلى للنظر أي ما يشترك في العمل . واذاً فان حواسي ووجداني لا تتكشف لي الا عن ناحية موجزة من نواحي الحقيقة العملية للأشياء



خليل مطران بك

[تصوير الدكتور أحمد موسى]

بخلجات طالما ترددت في اعماق نفسه القصبة كلحن موسيقي . غير ان هذه الخلجات في خروجها من العالم المضمر في نفس الشاعر الى العالم الخارجي ، تستعير الانغام لتبدو لحناً كلامياً ملحوظاً من هنا لنا ان نعتبر الوزن والقافية في الشعر اشياء ان لم تتصل بروح الشعر فانها هي كل مظهرها الخارجي ، ومن هنا يصح قولنا ان التعبير عن الشاعرية هو كل اغراض الشاعر . ذلك ان الشاعرية تستعين بالاوزان او القوافي او ما يقوم مقامها لتخرج الى العالم الظاهر متميزة بنبات يتميز بها الشعر عن بقية ضروب الكلام . فالشاعر حين يستعير الاوزان او القوافي او ما يقوم مقامها فهو يستعين بها ليؤلف وحدة موسيقية يتمكن ان يصب فيها الخلجات التي تتردد في وجدانه ، وهو حين يصب هذه الخلجات في الالفاظ فانها تتصاعد فتكون وحدة لا يمكن ان تفصل الالفاظ فيها عن الشعور ، والشاعر في ذلك كالموسيقي ، « وكما أنه لا يوجد في الموسيقى انغام في جانب ومعانٍ يعبر عنها بهذه الانغام في جانب آخر ، بل يوجد هناك فقط صوت تعبيري » (١)

كذلك في الشعر لا يوجد ألفاظ وحدها ومعانٍ وحدها ، انما يوجد ألفاظ تعبيرية عما في وجدان الشاعر ، هي مظهر الشاعرية والشعر نفسه

ولما كان الشعر يفيض من وجدان الشاعر متخذاً لنفسه القالب اللفظي الدال عليه ، فان الجو الذي في نفس الشاعر يتخذ الالفاظ التي تخلق بذاتها في عالم الشعر نفس الجو الذي يحس به الشاعر في عالمه الداخلي مجرداً . وعن طريق هذا الجو الذي يخلقه الشاعر من الالفاظ في شعره تنتقل الى الجو الذي كان هو فيه ، فنشعر وكأننا نحيا فيه معه ونتحرك

والشاعر حين يستعين بأصوات الكلام ليؤلف الوحدة الموسيقية الدالة على المعنى ، انما يعتمد على انتظام اصوات الالفاظ وتلازم نبراتها ، وانشاد الشاعر لشعره وطريقة انشاده تظهر لك حقيقة هذه الموسيقية التي تخلق الجو الشعري فنشعر بروح الشعر في القصيد

— ٢ —

تفيض شاعرية الشاعر من وجدانه متخذة من الكلام شكلاً تظهر فيه من العالم المضمر الى عالم الاشكال ، والاتساق في الشاعرية يحمل الشكل اتساقاً يوحى بالجو الذي اضطربت فيه الشاعرية ، من هنا يمكننا ان نتكلم في الشعر : عن الشاعرية التي تجتاح الوجدان وتضطرب في نفس الشاعر حتى تفيضها ، وعن الشكل الذي اتخذته الشاعرية لتظهر ، وعن الجو الذي تخلقه الشاعرية باتساقها في الشكل . على اعتبار ان جميع هذه الاشياء تنصهر في بوتقة واحدة لينبث منها شيء واحد — ذلك الذي نسميه شعراً

(١) برادلي في محاضراته « الشعر للشعر » ، ألفت في الخامس من يونيو سنة ١٩٠١ بجامعة اكسفورد وينظر تلخيص عربي لها من قلم الدكتور احمد زكي ابوشادي في كتابه « قطرة من براف في الادب والالجام » القاهرة ١٩٢٧ ج ٢ ص ١٠—٣٣ وعلى وجه خاص ص ٢٠—٢١

ومن المهم ان نقول ان هذه الاشياء ان كانت تنصهر في بوتقة واحدة لتخلق ذلك الشيء الذي نسميه الشعر، فانها ككل تقابل الموضوع الذي تدور حول الشاعرية، وتستنزل منه أختلتها الشعرية ومجازاتها التعبيرية. إذاً فيجب ألا نبحث عن موضوع الشعر في نفس قطعة الشعر، ذلك ان الموضوع خارج عن الشعر. غير أنه من جهة أخرى يقابله، ذلك من حيث كون الشعر شعوراً اتخذ شكلاً وجوّاً تعبيرياً خاصاً ليظهر فيه. فمثلاً موضوع «المات» الذي أخذته حامد شاعر الترك الاعظم موضوعاً يستنزل منه أختيلته ويستمد منه تأملاته الشعرية في رثائه لزوجته الشابة فاطمة شيء والمقبرة التي شيدها حامد شعراً من العواطف والمشاعر والتأملات شيء آخر، ذلك ان الشعر شيء يتصل بنفس الشاعر وفيض وجدانه ومنحى تعبيراته، والموضوع شيء يتصل بنفس الشاعر من حيث تعشاه الشاعرية وتنسحب عليه مستنزلة أختيلتها ومجازاتها التعبيرية. وإذا تكون الصلة بين موضوع الشعر والشعر نفسه مرتبطة باستنزال الشاعرية من الموضوع مادة الشعر

ويجب ان نضع موضع النظر هنا هذه المسألة: المادة والشكل من جهة والموضوع من جهة أخرى. ولا يمكن ان يتخذ الموضوع قاعدة للبحث في الشاعرية وطاقتها إلا من ناحية واحدة تتصل بالمدى الذي تسمح به للتواردات الشعرية. فمثلاً موضوع «المات» يحمل الذهن الى عالم ما وراء المنظور رابطاً به العالم المنظور ويسمح بتواردات شعرية تنقل الذهن الى عوالم الشهادة والغيب. اما موضوع «الكروان» مثلاً فان توارداته الشعرية وان كانت تحسب شيئاً غير قليل إلا انها في مداها لا تقاس بالمدى الذي يعطيه لنفس الشاعر موضوع «الحياة» او «المات». فنحن ان امكن لنا ان ندخل في مقارنة حياته (١٧٤٩ — ١٨٣٢) شاعر الالمان الفيلسوف الذي اتخذ الحياة موضوعاً لدراماته الشعرية وبين عبد الحق حامد (١٨٥١ — ١٩٣٧) شاعر الترك الفيلسوف الذي اتخذ المات موضوعاً، فان الموضوع من حيث هو متكافئ مع الآخر في مداها الشعري، ومن حيث يحتوي على الآخر يسمح بمثل هذه المقارنة

ومع هذا يجب ألا تنسى ان الشاعرية من حيث تتصل بسر الاشياء الروحي ومنها تتخذ لنفسها الموضوع الذي تستنزل منه أختيلتها الشعرية وتعبراتها المجازية، يمكنها ان تلج من الموضوعات المحدودة ظاهرياً الحياة كلها عن طريق رفعها الستر القائم بين الموضوع المحدود في عالم الاشكال وبين الحياة نفسها. مثال ذلك ان طائر الكروان موضوع محدود ظاهرياً، لكن الشاعرية النافذة حين تنسحب عليه يمكنها ان تنفذ من عنصر الحياة القائم فيه الى الحياة العامة. ذلك من حيث تتخذ الحياة الكروان شكلاً من الاشكال تبدو فيها

من هنا يجب ان نكون على شيء غير يسير من الحيلة في اتخاذ موضوع الشعر اساساً للنظر في الشاعرية ومداها وقيمتها، ذلك ان الشاعرية تبدو بكل معانيها في القطعة الشعرية، من حيث

تصب الشعرية فيها معانيها المستنزلة من الموضوع الذي تنسحب عليه . وهكذا يتبين معنا معنى كون الشعرية تبدو في منحى انسحاب الشاعر على الحياة

وهناك بضعة نماذج فردية قوية في تاريخ الشعر العربي تتميز بمنحى خاص في انسحاب شاعريتها على مواضيع الحياة ، وهذه النماذج يمكن ان تردّها الى ثلاثة نماذج تعود لطبائع الشعوب وعقليتها وامزجتها من حيث تفاعلت فكانت من تفاعلها عقلية المدنية الاسلامية ومزاجها . هذه النماذج الثلاثة هي : النموذج المصري والنموذج العربي والنموذج اليوناني . ولكل من هذه النماذج أثر في تكوين اتجاه الشعر العربي في مصر في هذا الجيل

اما النموذج العربي فتبدو منه الحياة — كما يقول الراجعي — « كأنها قطع مبتورة من الكون داخلية في الحدود لا بسمة الثياب . ومن ذلك تجد الشاعر العربي يقع بعيداً عن المعنى الشامل المنصل بالجهول ويسقط بشعره على صور فردية ضيقة الحدود . فلا تجدد في طبعه قوة الاحاطة والتبسط والشمول والتدقيق ولا تواتيه طبيعته ان يستوعب كل صورة شعرية بخصائصها فاذا هو على الحاضر العارض يأخذ من عفوه ولا يحسن أن يوغل فيه واذا هو على نزوات ضعيفة من التفكير لا يطول لها بحثه ولا يتقدم فيها نظره واذا نفسه تمر على السكون مرّاً سريعاً واذا شعره مقطّع قطعاً واذا آلامه وافراحه اوصاف لا شعور وكلمات لا حقائق وظل طامس ماتي على الارض اذا قابلته بنفاصيل الجسم الحي السائر على الأرض ^(١) » وسر هذا كما يقول برجسون ^(٢) « اتصال نفس العربي بتبسطها الظاهر . فهو لا يدرك من مشاعره غير مظهرها الغريب عنه ، والذي حدد اللفظ معناه كلياً لانه يكاد يكون متشابهاً دائماً ، وظروفه تكاد تكون واحدة عند جميع الناس وهكذا فان الفردية تغيب عن العربي حتى في شخصه ^(٣) »

أما النموذج المصري ، فالحياة تبدو — كما يقول توفيق الحكيم — ^(٤) عند الفنان المصري « فكرة مجردة » مستقلة عن شكلها ، وهي من هنا تتميز بأنها من أغصن النماذج الفنية التي عرفها تاريخ الفن الانساني . وهي تقاطب النموذج العربي الذي يقف عند حد الشكل من حيث تقف عند حد القوانين المستمرة التي تسيطر على الاشكال . من هنا تجد الشاعر المصري يقع على

(١) المقتطف م ٨١ ج ٤ (نوفمبر) ١٩٣٢ ص ٣٨٥ — ٣٩٧ وعلى وجه خاص ص ٣٨٩ ، ويمكنك ان تقابل هذا الكلام بما جاء في كتاب « تحت شمس الفكر » لتوفيق الحكيم ص ٦٤ حيث يقول : « الادب أثر وشعر عند العرب ، لا يقوم على البناء فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل ، انما هو وثني مرصع جميل يلد الحسن فيفساء اللفظ والمعنى ، و « آرابسك » العبارات والجل ، كل مقامة للحريري كأنها باب للجوامع المؤيد ، تقطيع هندي بديع وتطعيم بالذهب والفضة لا يكاد الانسان يقف عليه حتى يترنمخ مأخوذاً بالبهرج الحلاب

(٢) هنري برجسون في الفن ومذاهبه عند الامم ، باريس ١٩٣٣ ص ٣٣ — ٣٤

(٣) الفردية التي يتكلم عنها برجسون هنا تعني فردية الاشياء التي تعود لصنف واحد او نوع واحد

(٤) تحت شمس الفكر ، ص ٥٥ — ٧٦

المعاني المستترة للأشياء، لكن طبيعته الخفية لا تؤاياه القدرة على ربط هذه المعاني المستترة بما تتخذ من أشكال لها في العالم الظاهر. ذلك أن الطبيعة المصرية تدور مع الحياة في تبسطها الداخلي، ومن هنا لا يدرك المصري من مشاعره إلا معانيها الخفية، وهذا الاغراق في معاني الأشياء الخفية وقوانينها المستترة أبعدت بين المصري والحياة في أشكالها الخارجية، وظهر ما تكون هذه الحقيقة في الفن الفرعوني القديم^(١)

أما النموذج اليوناني فتبدو الحياة — كما يقول فردريك نيتشه^(٢) — من مزاجه مرتبطة «هندستها المنظورة بقوانينها المستترة». من هنا تجدد الشاعر الاغريقي يعتمد الى المعنى المحدود فيحطم حدوده ويصله بتيار المعاني في عالم المشاعر والاحساسات، وهكذا ينتهي الى العالم المضمر وهو في هذا أشمل نظرًا من العربي الذي يقف عند أشكال الأشياء. ومن المصري الذي يقف عند المضمر من الأشياء فالشاعر اليوناني لا يقف عند الظاهر لأنه ينسحب على الباطن

— ٣ —

الباطن في جانب مصر والظاهر في جانب العرب، والاثنان يدور حولها المزاج اليوناني ليخلص بالتناسق الذي يربط هندسة الأشياء المنظورة بقوانينها المستترة. وهذه الامزجة الثلاث تجدها قائمة في عالم الشعر العربي، وخليل مطران يمثل ثالثها. وبعد ذلك فعندنا المادة والتعبير والحواس الشعرية في الشعر مما يتأثر بالمزاج الشخصي للشاعر

أما المادة في الشعر فهي الاخيلة والمعاني والتأملات والصور والعواطف والاحساسات والمشاعر، مما تعتمد الشعاعية الى استنزائها من الموضوع عن طريق غشيانها والانسحاب عليها. ومن هنا نجد أن مادة الشعر ملك خاص للشاعر بمنحها الذي يتصل بوجه استنزائها^(٣). بيان ذلك أن التأملات والمعاني والاختلاجات التي تجدها في «المقبرة»^(٤) التي شيدتها من الشعر الخالص شاعر الترك الاعظم عبد الحق حامد ملك شخصي له، لا ينازع فيها أحد لأن مزاجه الشعري وحده هو الذي استنزأها^(٥) كذلك مادة القصيدة القصصية «الجنين الشهيد»^(٦) لخليل مطران شاعر العربية الابداعي من الاخيلة والتأملات والمعاني الشعرية ملكه الشخصي

(١) فون بيسنج Von Bissing في Denkmaler Agyptien sculptien في مجلد ٦، ص ١٢٧ وما بعد وخاصة المخلص الأخير (٢) مولد المأساة من روح الموسيقى، ١٨٨٢ ص ١٣ وما بعده (٣) Addison في نقده للفرديوس المفقود (٤) المقبرة ديوان من الشعر الرثائي تبلغ أبياتها نحو ألف ومائتي بيت كتبها عبد الحق حامد أعظم شعراء الترك في رثاء زوجته، وتعتبر من أروع الشعر الرثائي الذي عرفه تاريخ الأمم، وهذا الديوان لا يخرج عن كونه مقبرة شيدتها الشاعر لزوجته المتوفاة، ولكنها مشيدة من التأملات والاختلاجات والعواطف الشعرية (٥) أنظر لنا دراسة وتحليل عن عبد الحق حامد الشاعر الاعظم، حلب ١٩٣٧ ص ٢٢-٢٣ وكذا ص ٣٥-٣٩ (٦) أنظر ديوان الخليل ص ١٩٩ وما بعده

لأنه وحده الذي استنزلها من الموضوع لصحة وجدانه ثم فاض بها شعراً من الوجدان . فإذا كان هذا هو مادة الشعر في الشعر فالشكل من حيث يتصل بالتعبير كله يقابل المادة من جهة ، ويتصل به عن طريق إبرازه له من جهة أخرى

ومن المهم ان نقول ان مادة الشعر خاضعة لمزاج الشاعر فان من الامزجة ما تعلق بالالوان والاشكال ، ونظراً لكونها تحب الالوان لمجرد الالوان والاشكال لمجرد الاشكال ، فانها تستنزل لصفحة وجدانها أشكال الاشياء وألوانها اطيافاً وظلالاً ونوراً . ومن الامزجة ما تحب ان تتطوي على نفسها وتقف جهدها على التعلق بالخلاجات المتفرعة من الشعور فلا تعرف غير عوالم النفس والاحساس ولهذا نجد مادة شعرها خلاجات مرسله من الشعور والوجدان . كما ان هنالك من الامزجة ما يعلق بمعاني الاشياء وروحها الداخلية ، فترى الحياة الداخلية للاشياء تضطرب من خلال تعبيراتها في شعرها . وهكذا اختلفت مواد الشعر من شاعر لاخر باختلاف أمزجة الشعراء ولما كانت مادة الشعر لا يمكن ان توجد منفصلة عن شكل خارجي لأنه لا يوجد مادة بلا شكل مصور ، فان مادة الشعر حتماً يتبعها تعبيرها الخاص الدال عليها المستنزل من مقدرة الشاعر التعبيرية . الا أنه من الممكن الى حد ، النظر في مادة الشعر مجردة عن التعبير الذي تأخذه ذلك من وجهة التجربة الشعرية ، أعني من وجه استنزال الشاعرية مادة الشعر الى صفحة الوجدان من الموضوع الذي تشهد الشعارية وتنسحب عليه . فمثلاً موضوع «زهرة الفول» الذي نظم فيه الراجعي قطعة من الشعر ، الاخيلة والصور الشعرية التي استنزلها الى صفحة وجدانه عن طريق غشيان شاعريته موضوع زهرة الفول يمكن دراستها مجردة الى حد ما عن الشكل التعبيري الذي اتخذته الاخيلة والصور الشعرية . ومن هنا يمكن النظر في القيمة الشعرية لمادة الشعر ^(١)

غير اننا في مثل هذه الدراسة يجب ان نكون محتاطين في ملاحظة أثر التعبير في منحى الاخيلة والتأملات الشعرية ، فان القليل من الشعر في آداب الامم ، تتميز مادته عن الشكل او تبقى مادته وشكله متمايزين . والشاعر بعد محتاج الى الكثير من الفقرات البيانية لا جل ان يحرك نسج قطعته الشعرية ويوطئ بين المعاني والاخيلة والتأملات الشعرية حتى تنتهي الى وحدة متسلسلة الحلقات في القصيد اذاً ففي الشعر الكثير من الفقرات المتميزة بتعبيرها وشكلها ، وهي من هنا ليست من فيض الوجدان . وانما هي أثر من آثار زخرفة الشاعر البيانية . وشكسبير نفسه المحدود من أعظم شعراء الارض قاطبة لم يخل شعره من مثل هذه الفقرات المتميزة بتعبيرها والتي لم تخرج عن كونها زخرفة بيانية ^(٢) . وبعد ذلك تبقى كمية لا يستهان بها من الفقرات في شعر شكسبير

(١) Coleridge في Lectures on Shakespeare و Hazlitt في Shakespeare's Characters

ورضاً توفيق في عبد الحق حامد وملاحظات فلسفية ، وسيد قطب في غزل العقاد بمجلة الرسالة ، السنة السادسة

(٢) انظر Lamb في Tales from Shakespeare طبعة Dent

وهي وحي شاعريته، والتي جعلت له مقامه في عالم الفن

هذه الفقرات وان تميزت بمادتها او تميز تعبيرها ومادتها كل على حدة بخصائص ذاتية، فان الحيلة توحى لنا بالحذر - ولو مع مثل هذه الحالات - اذا اردنا ان ندرس مادة شعر مجردة عن شكلها التعبيري، لانه لا يمكن القطع بان المادة يمكن ان توجد مجردة عن شكلها فاذا عدنا الى الشكل في الشعر، فالواقع انه ليس هناك شكل محض، ذلك ان الشكل من حيث هو التعبير، يحتوي ضمناً على ما يعبر عنه^(٢). واذاً كل ما يمكن الكلام عنه، انه يوجد في الشعر فقرات تميز بتعبيرها أعني شكلها دون مادتها، او تتميز بتعبيرها بجانب تميزها من ناحية المادة. غير ان هذا التميز من جهة الشكل لا يخرج عن حد الزخرفة البيانية

من هنا في الامكان دراسة الأسلوب في الشعر من حيث هو مظهر التعبير من ناحية دلاليته على ما يعبر عنه من جهة، كما انه في الامكان ان يدرس الأسلوب لذاته من جهة أخرى. على ان دراسة الأسلوب لذاته لكونها تقوم على أساس تجريد الأسلوب مما يحمله من المعاني والتأملات والأخيلة، فسوف يكون قصراً على النظر في تلاؤم نبرات الكلام ونسق الالفاظ وسهولة العبارات ووضوح التعبير، الى جانب تميز الأسلوب بالدقة والحركة والوحدة. غير ان مثل هذه الدراسة تظل قاصرة حتى يلاحظ المعنى الذي يحمله الأسلوب، لأن المعنى احياناً يحمل الأسلوب شكلاً خاصاً يتفق وجوه الخاص، وهذا اكثر ما يرى في الشعر. ذلك ان الشاعرية حين تفيض من الوجدان بمعاني وتأملات وأخيلة وخلجات، فان هذه التأملات والصور والمعاني تأخذ قواها بما يتفق وجوه الشاعرية، وكم من قالب افسد على المعنى جلاله وعلى الجو الشعري علويته من حيث تنافره مع المعنى وجوه الشعري. ومن هنا نرى ان الشعر الصحيح هو ذلك الشعر الذي يتفق قلبه الخارجي مع الجو الذي يحمله المعنى معه، والذي تهاسك فيه المادة مع الشكل

هاتمة

اذا كان الشعر الصحيح، هو ذلك الشعر الذي يتفق قلبه أعني شكله مع المعنى من جهة والجو الشعري الذي يحمله المعنى مع القالب من جهة أخرى، فان في الشعر الصحيح يظهر المعنى مع القالب والقالب مع الجو الشعري في بوتقة واحدة تهاسك فيها اللبنة في بناء واحد ليمتدح عن الشعر. ومن الصعوبة بمكان ان نتكلم في الشعر الصحيح عن معنى مجرد لذاته وعن قالب مجرد لذاته وعن جو شعري مجرد لذاته، ان كل ما يمكن ان نتكلم عنه كيان حي اتخذ

فيه الشعرية من القالب شكلاً . لان الشعرية لما كانت فيضاً من الوجدان مما احتشد في صفحته من الاخيلة والتأملات والمعاني والصور الشعرية التي استنزها الوجدان في غشيانه الموضوع الذي دارت حوله الشعرية او انسجبت عليه، فان هذا الحشد يفيض مع الشعور الدافق من الوجدان متخذاً قالبه الاسلوبي تاماً وشكله التعبيري كاملاً مبدعاً جواً شعرياً يتفق مع الجو الذي كان عليه الحشد في الوجدان . غير ان انخاذ الشعور الدافق من الوجدان القالب لا يكون دفعة واحدة ، لان الحشد الذي يفيض معه أشبه ما يكون بروح بدائية ، تبحث عن جسمها البدائي لتحل فيه اذا جاز مثل هذا التعبير ، اما نموها حتى قوامها الكامل وهيئتها التامة فذلك يكون عن طريق التداعي عادة حيث يستنزل من صفحة الوجدان ما تبقى فيها من حشد الاخيلة والتأملات والمعاني الشعرية ، ويتدرج مع الغالب حتى يبلغ به الى التمام ^(١)

من هنا نرى ان الشعر الخالص يبدو لنا ذا تأثير ساحر من حيث انه يظهر وكأنه فيض الالهام ، والواقع انه لا يخرج عن كونه فيضاً للوجدان من حيث المصدر الا ان الصناعة من حيث تتبعه — نظراً لانها تابعة وليست أصلاً — تلاشي في الفيض العام ، ومن هنا يبدو وكأنه فيض الالهام . هذا وانت تجد الشاعر الذي يتخذ شكلاً من الاشكال موضوعاً لشعره ويتصوره في ذهنه ويتصرف بما فيه من الزخرف مأخوذاً بهندسته المنظورة ، فتجده يلبس اخيلته التي يستنزلها الى صفحة وجدانه من هذا الموضوع لغة ايقاعية تراقص فيها الاطراف والالوان والاضواء . من هنا لا يمكن ان نخدع في حقيقة هذا الشعر . غير انه كثيراً ما يحتوي على جديد اصيل في شاعريته من حيث يتفقد وجدان الشاعر الى ما وراء الاشكال ويتصل بروحها التي تتظاهر في قوانين مستترة تتحكم في هندسة الأشكال المنظورة

وبعد ما الشعر ؟ وما الشاعر ؟ وما هي القواعد التي ترجع اليها في دراسة الشعر والشعراء ؟ أما ان الشعر يمكن تحديده فهذا ما لا نعتقده لانه نفحة علوية تلو عن التحديد . وأما أنه يمكن تعريفه فهذا ما لا نراه ، لانه أوسع من أن يشمله تعريف . فلذلك نفهم الشعر بتحليل ماهيته كما فعلنا . ولنقل أنها نفحة علوية وكفى ! . . . أما الشاعر فهو الذي يفيض بالشعر وينظم الشعر ويقول الشعر ، وهكذا نعود للشعر ! والشعر نفحة علوية ! . . .

أما القواعد التي يرجع اليها في دراسة الشعر والشعراء فهي تستمد خطوطها من تحليل الشعر وهي دراسة ذاتية اكثر منها موضوعية ، وفنية اكثر منها علمية

(١) Bradley في Poetry for Poetry و W. Pater في Studies in Art & Poetry

و Hegel G.W.F. في Philosophy of Fine Art م ٣ ص ٢١٧

العودة

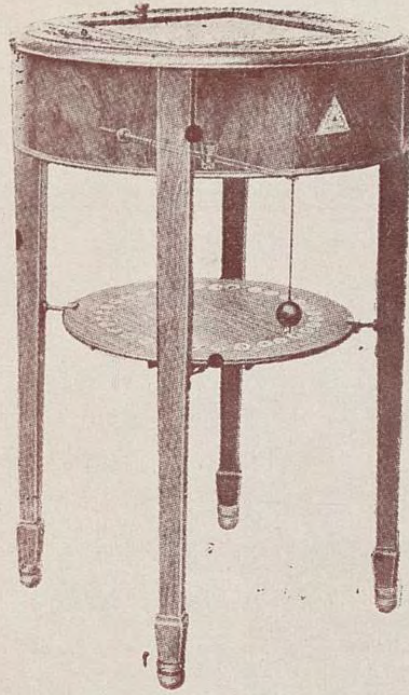
الايات التالية مختارة من قصيدة العودة ، وهي في ستين بيتا
يصور فيها الشاعر ريفياً جذبتة المدينة وأغرته فلما عاد الى قريته
ومعاني طفولته وجدها قد صوحت أشجارها ورحل عنها أهلها

رجعت اليك اليوم من بعد غربي
رجعت وعقلي تائه الفكر شارد
فيا ارض احلامي ! ألتقي طفولتي
تسفت فيك الليل .. والريح صرصر
أتيت لألتقي في ظلالك راحة
أموت قرير العين فيك منعماً
ويلحفي هذا البنفسج ... ولتكن
وآخر ما أصغى اليه من الصدى
ولكن بلا جدوى .. أتيت فلم أجد
وقد نصبت أيدي الشتاء سياجها
وقد خيم الصمت الهتوف مع البلى
وقد هاجم الغاب الكشيف غياضها
وهب نسيم بارد من كهوفها
وقد رفرف الخفاش فيها وحومت
وداوية لليوم من فوق سرحة
ترتل لحن الموت في معبد الدجى
كأنك في سفر الليالي ملاحم !

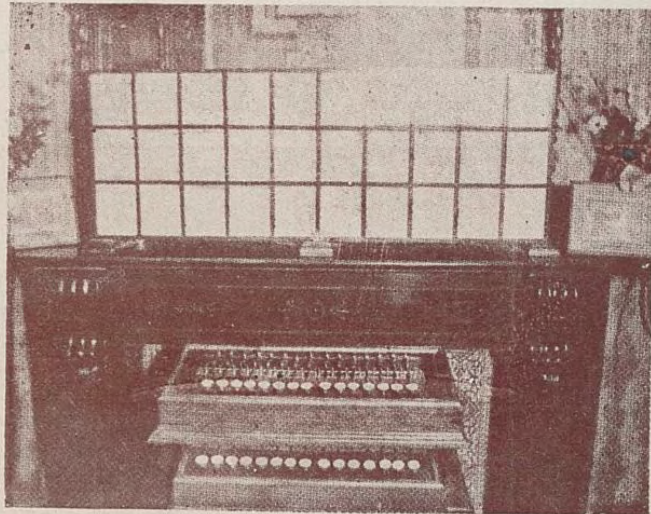
وفي النفس آلام تفيض ثوائر
وأبت وقلبي واهن الخفق خائر
ويسعدني يوم من العمر آخر ؟
وخضت اليك الموج .. والنهر نائر
فيهدأ قلبي وهو لهفان حائر
يخدرني نفح من المرج طائر
مسارح عيني الربا والمخاضر
خربرك يفتي وهو في الموت سائر
* * *
سوى قفرة أشباحها تنكاثر
عليها ! وأسوار الظلام تخاصر
عليك ، وأرواح الدجى تقتافر
ليغزوها ، والموج يزبد هادر
تجاوبه في الريح هذا المغاور
على الشط غربان الفناء الكواسر
قضى فوقها من قارس البرد طائر
وتروى أساطيراً روتها الدياجر
يرتلها في جانب الموت شاعر

وخاتمها

لقد خف نسيم الصبح يهمس ناعياً
لذا نسقس النحل الزهور فجعلت
الى السهل ... أن قد فارق الكون شاعر
ونابت عن الاجراس هذي الازاهر

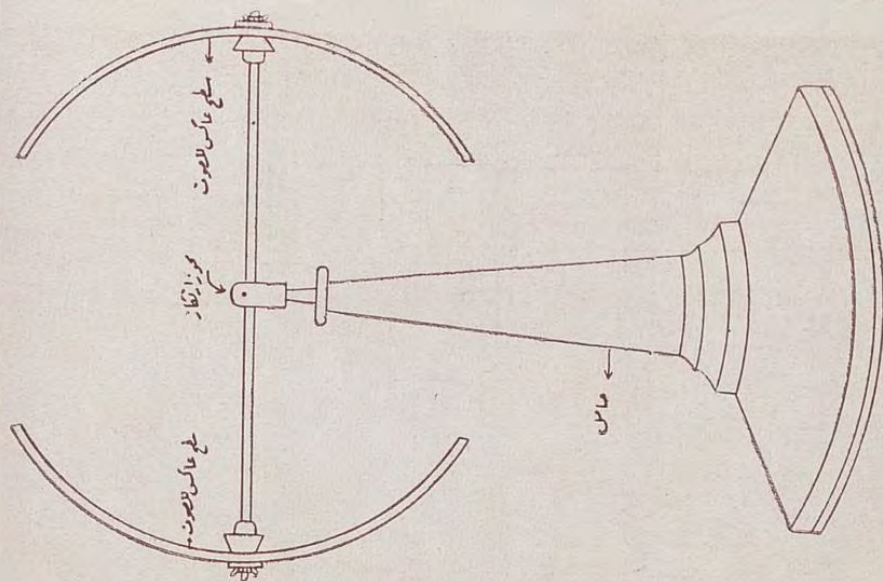


جهاز الكوميونوغراف

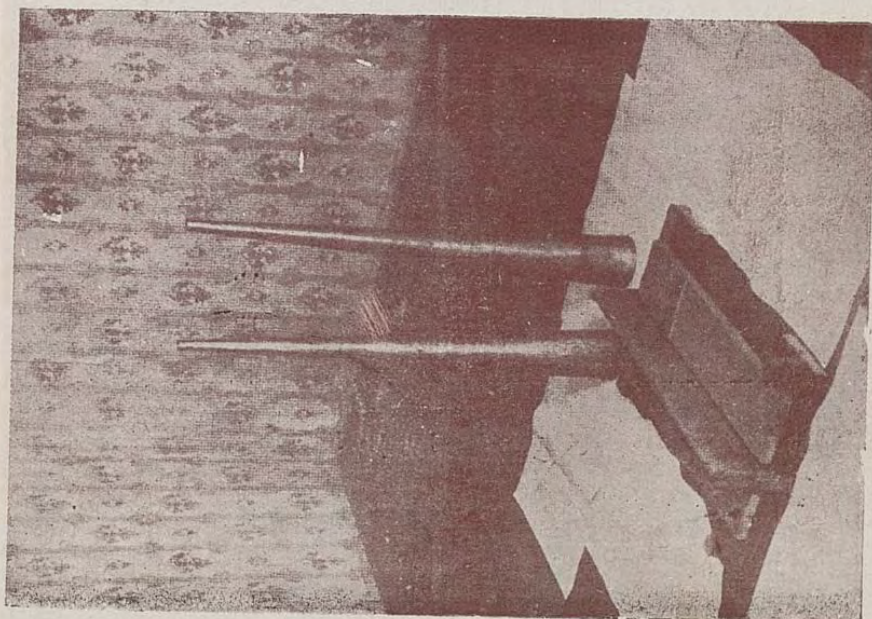


جهاز الرقبة وكونغراف

جهاز النفوس



جهاز البوقين

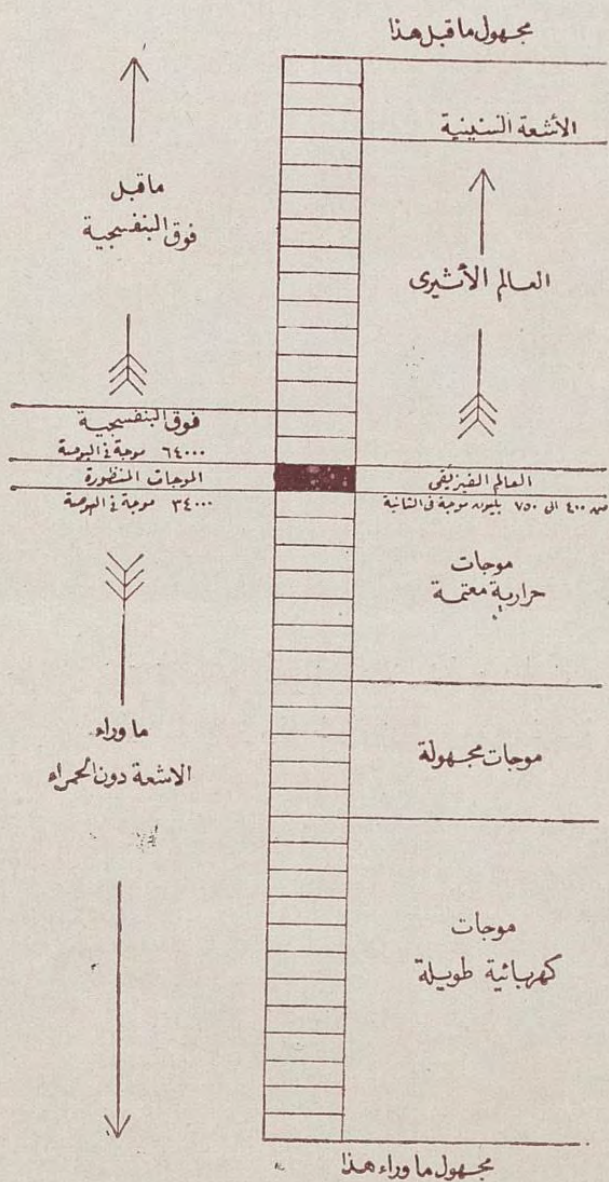




صورتان فوتوغرافيتان مأخوذتان بالاشعة تحت الحمراء
ويظهر فيهما الوسيط ايفانز وقد طار في الجو وهو في غيبوبة



صورتان للوسيط ايفانز وقد انبثق الاكثوبلازم منه



عالم الروح

والعلم الحديث

لدكتور فهد بن عبد الله

عالم الروح موجود ، لا ينكره إلا ملحد أو متعنت ، وهو قديم منذ الازل . واتصال طامنا به قديم ايضاً ، ولكن قدم الانسان . ولقد كان هذا الاتصال سبباً في حدوث مآسي كثيرة استشهد فيها كثيرون . نعم لقد استشهد رسل وانبياؤه وقديسون وشهداء . وما حرق من سموهم السحرة والساحرات في القرون الوسطى إلا مثل من امثلة هذه المآسي المفجعة . وما كان هؤلاء جميعهم إلا قوماً كشف الحجاب عن اسماعهم وأبصارهم فسمعوا غير المسموع ورأوا غير المنظور وهم الذين بسميهم العلم الروحي الحديث «وسطاء» . وظل الحجاب بين العالمين منسدلاً ، يزايد كثافة من حين الى حين . ولم تكن الكشوف العلمية تقدمت ، بل حتى حين تقدمت الكشوف لم تتجه العلوم صوب هذه الناحية وبحيث إلا في النصف الثاني من القرن الماضي او قبل ذلك بقليل وكان المعول الأول في نثر هذا الحجاب كشف غاليليو المنظار (التلسكوب) فقد رأى به دنأ جديدة لم تكن ظاهرة للعين ، ووسع به مجال المنظور أمام عين الانسان — ولقد اضطره الرجل وسجن لانه جهر بأرائه ، ومنها ان الكواكب السيارة اكثر من سبعة . وقد عارضه معارضوه محتجين بأن في رأس الانسان سبع فتحات ، وبأن في الاسبوع سبعة ايام ، وعلى ذلك فلا يوجد إلا سبعة كواكب سيارة . بل ذهبوا في التدليل الى اغرب من هذا فقالوا ان تلك الكواكب السيارة التي يقول بها غاليليو لاتراها العين العارية ، فلا تأثير لها إذن في الارض وما دام لا يرحى منها نفع فهي إذن غير موجودة . بل ذهب المتعنتون الى اكثر من هذا رافضين أن يروها خلال المنظار . فلما ان وافى احد اولئك المعارضين اجله قال غاليليو « انه لم يشأ ان يرى وهو على هذه الارض تلك الاجرام السماوية الضئيلة فلعله يراها الآن وقد صعد الى السماء » وتلا كشف المنظار كشف المجهر (الميكروسكوب) وبه اتسع مجال الابصار لدى الانسان فرأى به علماً آخر من مخلوقات صغيرة لاتراها العين العارية رغم وجودها

(١) المقتطف : ننشر هذا البحث النفيس على انه بسط لوجهة نظر اصبح لها انصار كثير بقل عالم بحثة له في علوم الطبيعة وتدريسها مكانة . الا انه لا يعني أكثر من ان المقتطف محايد حيال الرأي الذي يتطوي عليه

ثم جاء نيوتن بعد ذلك وحلّل ضوء الشمس الأبيض الى ألوانه السبعة التي رآها في قوس قزح . وتالت البحوث في هذا الصدد فكشفوا اشعاعات أخرى غير منظورة فوق أحد اللونين المتطرفين وهو اللون البنفسجي ، وتحت اللون الآخر وهو الأحمر ، واطلقوا عليهما الاشعاعات فوق البنفسجية وتحت الحمراء . ولم تقف كشوف الاشعاع عند هذا الحد ، فكشفوا في المنطقة التي تعلو فوق البنفسجية الاشعاع السيني (اشعة أكس) ، وفي المنطقة التي تسبق في سلم الاشعاعات الاشعة الحرارية المعنمة ، والاشعة اللاسلكية

وكان العلماء من جهة أخرى يبحثون في المادة ، فكشفوا العناصر الاثني والتسعين بعد ان كانت العناصر في رأيهم اربعة : الهواء والماء والنار والتراب . ثم وصلوا في تقسيم المادة الى اصغر اجزائها مما سموه ذرة وجزيئاً

وعندئذ اتجهت عقول العلماء الى غزو الذرة التي كانت اذ ذاك لا يمكن أن تغزى ولا تحطم فاستعانوا بالاشعاعات الكهربائية ذات الضغط المرتفع جداً وسلطوها على الذرة فتحطمت الى مكوناتها ، وانتهوا الى أن الذرة متألقة من كهارب ، الموجب منها هي البروتونات (جمع بروتون) وهي كائنة في نواة الذرة وتعين وزنها ، والسالب منها هي الالكترونات (جمع إلكترون) وهذه تدور حول النواة في افلاك بسرعة هائلة ، وهي التي تسبب اللون وتعين النوع . وانتهى الامر عند بعضهم الى أن الذرة نموذج مصغر للمجموعة الشمسية

على ان بحوث العلماء لم تقف عند هذا الحد فراحوا يبحثون في حقيقة هذه الكهارب ، وأدى بحثهم الى كشف جسيمات أخرى لا داعي لذكرها ، ثم انتقلوا الى أن هذه الكهارب عقد في الاثير ، وهو ذلك الخضم الذي يشغل الكون كله ، والذي لولاه ما رأينا ضوء الشمس ولا أحسنا بحرارتها ، بل لولاه ما وجدت حياة في أي ركن من اركان الكون — لا مادية ولا روحية وزاد واضعو العلم الروحي الحديث على ذلك ، أن الاثير في اهتزازاته المختلفة يعطينا اشعاعات مختلفة ويعطينا مواد مختلفة . وأنه مادة لا تستجيب مشاعرنا لاهتزازها فلا ندرکها . وان المادة التي تدرکها حواسنا المحدودة المدى ما هي إلاّ أثر في حالة اهتزاز خاصة . فللمادة بجميع انواعها وصيغها ، حية كانت أو غير حية ، ترجع الى أصل واحد وهو الاثير . واذا كان اصلها واحداً فهي اذن قابلة للتحويل . ولقد استطاع العلماء أخيراً أن يحولوا بعض العناصر الى غيرها وإلى أن يستحدثوا عناصر مشعة جديدة . فلقد استطاعوا تحويل الازوت الى أكسجين ، وكلاً من البورون والبريليوم الى هليوم ، ولقد استحدثوا من الالومنيوم عنصراً مشعاً هو نظير للفصفور ومن المغنسيوم عنصراً مشعاً آخر هو نظير للسلكون ، واستطاعوا ان يستحدثوا أيضاً العنصر الذي ترتيبه الثالث والتسعون في الجدول الدوري ، فاذا به نظير للارانيوم أثقل العناصر جميعها

وكل هذا بأجهزة كهربائية تحدث ضغوطاً كهربائية تزيد على خمسة ملايين فولط في بعض الحالات ونجد كل هذا مشروحا مع الأجهزة في مؤلفات الدكتور أندريد استاذ الفيزيكا في جامعة لندن حالا ، فاذا لم تكن المادة رجع في جملتها الى اصل واحد أكان يمكن نحول بعض العناصر الى عناصر أخرى ؟ وإطالما خدعنا ظواهر عالمنا المادي فأخفت عنا حقيقتها . وخير مثل قريب أقدمه هو شمسنا . أليست هي المتحركة ظاهرياً ؟ ألم يخدعنا هذا المظهر فظن آباؤنا ان الشمس تدور حول الارض على حين ان الارض هي التي تدور حول الشمس ؟ هذا مثل من جملة امثلة من مثل الخداع . والمادة مثل آخر . فثلك التي تبدو لنا جامدة صلبة ليست في الواقع شيئاً من هذا القليل فلا هي جامدة ولا صلبة ، بل هي كما مر بنا ، وكما يقول العلم الحديث يسرة كل اليسر . أليست هي كهارب كلها كما قلنا ؟ فخشب المنضدة ، وجدران هذا المكان ، وجسومنا كلها بخلاياها الحية — كل هذا كهربائية ، او بعبارة أدق اثير في حالة اهتزاز خاصة تدركها المشاعر . ولو كانت اعضاء الحس عند الانسان من رتبة اعلى درجة اهتزاز ، من رتبها الحالية لاستجابت لما لا تدركه حواسه الحالية ، ولتكشف أمامها عالم غير منظور فيه الحياة وفيه الجمال وفيه السكالم

فلنفكر اذن بدلالة الاهتزازات ، ولندرب عقولنا على فهم هذه الاهتزازات ، فاذا تم هذا استقام كل شيء وفهمنا عالم الروح ، وعينا موقعه في خريطة الكون . وكما أنه توجد أضواء لا تراها العين اذا انعكست من أمثال الضوء فوق البنفسجي والاشعة السينية ، والاشعة الحرارية واللاسلكية ، كذلك توجد أصوات لا تدركها الاذن لارتفاع درجتها . وقد استطاع الاستاذ وود Wood الاميركي استحداث موجات صوتية صامتة ، وهي موجات قصيرة جداً لا تستطيع الاذن ادراكها قوية التضغط والتخلخل بحيث اذا أطلقت في الماء رفعت درجة حرارته وقتلت صدمتها الاسماك الصغيرة . ولا يمكن الاذن ان تدركها إلا اذا تداخلت موجتان منها مختلفتا الدرجة والروح من هذا الطراز . هي مادة اثيرية مرتفعة درجة الاهتزاز ، فلا تراها ولا نسمعها ولا نحس بها إلا بتوافر شروط خاصة . هي كالموجة اللاسلكية ، لا تعترف بمادية الجسوم الصلبة تنفذ منها وتتحرك بسرعة تفوق سرعة الضوء ، او اللاسلكي بمراحل ، تهتك أمامها حجب الزمان والمكان وتعيش في رحاب الخالق جل شأنه خالدة ما اراد الله لها الخلود

فعالم الروح اذن يحيط بنا ، ويتخلل عالمنا ، يرانا سكانه . حتى ارادوا ، ويحاولون مخاطبتنا وكثيراً ما يهزون الواحد منا من كتفيه أو من يده وليكننا لا نحس بهم ، وهل نحس بموجة الراديو وهي تخترق جسومنا ؟ هل نحس بالاشعاعات الاخرى التي تغمرنا من جميع الجهات ليلاً ونهاراً ؟ على أن الذين رزقوا منا الشفافية الروحية ، اولئك الذين عيونهم وآذانهم ومشاعرهم أعلى درجة اهتزاز من عيوننا وأذاننا ومشاعرنا العادية اولئك الذين رزقوا الجلاء في العين وفي الاذن وفي المشاعر

يحسون بهم ويخاطبونهم واولاء هم الوسطاء الذين لولاهم لظلمنا نجهل هذا العالم مادامنا في عالمنا المادي ، وسيظل الكثيرون منا بمعزل عن هذا العالم الى ان يدركهم ذلك التغيير المسمى الموت وما هو في الواقع الا ولادة حياة أخرى أرق وأرقى كما سيمجيء . وما لم يبحث في الروح بدلالة الاهتزازات فاننا لا نستطيع فهمها ، ولا فهم طبيعة العالم الذي تعيش فيه

قال القس ج . موريس اليوت في كتابه « حياة المسيح الروحية » بصدد الاهتزازات ما يأتي : —
« كل شيء في السكون يهتز ، وكل شيء له طول موجي خاص به . كل شيء في الدنيا المنظورة والدنيا غير المنظورة يهتز . وعلى مقتضى السرعة التي يهتز بها الشيء يكون هذا الشيء مرئياً أو غير مرئي ، جامداً أو ليناً ، صلباً أو سائلاً أو غازاً

« اننا نجعل قطعة الثلج تذوب — أو تجمد — وذلك فقط باحاطتها بما يزيد في سرعة اهتزازها . وحينما يستحيل الثلج ماء أو بخاراً أو ضباباً أو غازاً فنحن لا نقول : انظروا ! تلك معجزة ! لاننا نعلم ان ذلك راجع الى قانون يسري ويعمل

« وليسمح لي قرائي ، وقد تناولت موضوع الاهتزاز هذا ، أن أذكرهم بأن الكهربية اهتزاز وان للالوان والروائح ايضاً اهتزازاتها

« والموسيقى اهتزاز . والمرض (انعدام الراحة) معناه ان اهتزازات الجسم ليست متآلفة ولا متناسقة . وما المرض العقلي الا اختلال اهتزازات العقل واضطرابها . وها نحن زداد ، يوماً بعد يوم ، علماً بالاثـر المبريء الشافي لكل من اللون والعطر والموسيقى في الاجسام والعقول المريضة . ان الاهتزاز هو سر الظواهر الروحية جميعها »

﴿ كيف نتصل بعالم الروح ﴾ ليس لهذا الاتصال الا طريق من ثلاث : الاول ان ننقل الى عالم الروح ، وهذا ما لا يرغب فيه أحد منا ، اذ ان معناه انقطاع هذه الحياة المادية فنحن على الرغم من ايماننا بأن الحياة الاخرى خير وأبقى من هذه الحياة الدنيا الا اننا نفزع من الموت وزجهبه . فهذا الاتصال الكلبي بعالم الروح مكروه منا جميعاً ، او هو على الاقل غير مرغوب فيه . والثاني ان نرفع من درجة اهتزازتنا لكي تنسجم مع اهتزازات العالم الروحي ، وهذا غير ميسور — وسنعلم فيما بعد ان الذين ارتقوا الى المستويات العليا يستطيعون الانخفاض الى المستويات الدنيا . أما العكس فغير ممكن . والثالث ان يخفض سكان العالم الروحي درجة اهتزازاتهم بحيث تصبح في مستوى درجة اهتزازات عالمنا فنراهم ونسمع اصواتهم . وفي جهاز الراديو والتلفزة ما يقرب هذه العملية الى الذهن . فالمستقبل يجب ان يكون متوافقاً مع المرسل والا تعجز المستقبل عن التقاط الرسالة . وفي الموسيقى ايضاً ما يقرب ذلك الى الذهن . فلو أنك شددت على السكّان وترّاً يعطي نغمة تتحد في الدرجة مع أحد أوتار البيانو مثلاً ، ثم أمسكت

بالكمان ودق أحد صجبتك على وتر البيانو اهتز وتر الكمان واهتزت الكمان كلها واعطتك صوتاً يستجيب لصوت البيانو . فكيف اذن يخفض سكان العالم الروحي درجة اهتزازهم ؟ انهم من مادة أرق من مادة جسمونا وأعلى درجة اهتزاز منها . واذن لا بد من مادة تساعد على تكثيف مادتهم ، او بعبارة أصح على جعلها تظامن من حدة اهتزازها فتبثاطاً حتى تصير في منسوب درجة اهتزاز عالما ، ومن ثم تستجيب لها مشاعرنا اي نراها ونسمعها ونحس بها

وهذه المادة هي الاكتروبلازم الذي يعرفه الفسيولوجيون من تكوين الخلية ، وهي الجزء الخارجي من البروتوبلازم . فهذا الاكتروبلازم هو العامل المساعد على التواصل لأنه يجسد الى حد ما أعضاء الجسم الروحي او الاثيري، وذلك بتخفيضه اهتزازات هذه الاعضاء فتستجيب لها مشاعرنا . ويستعير الروح الراغب في التواصل هذا الاكتروبلازم من الجالسين جميعهم، فإذا ما انتهت الجلسة رد الاكتروبلازم الى الجالسين . وعند الكلام على حجرة التحضير الحديثة سنعلم ان اوزان الجالسين تقص عند حدوث التواصل ، ثم تعود في نهاية الجلسة كما كانت والتجارب في هذا الصدد كمية أيضاً لا وصفية فقط

والوسيط شخص كثرت في جسمه مادة الاكتروبلازم تلك . وقد يسأل سائل ولماذا يمتاز الوسيط بهذه الميزة ؟ وجوابنا على ذلك ولماذا يكون شخص أحد بصراً او أرهف سمعاً من غيره بل لماذا يولد بعض الناس ولهم في اليد ست أصابع لا خمس ؟ بل لماذا يتفاوت الناس في قوة الجسم والعقل ، وفي الفهم والحزم والعزم ؟ بل لماذا يتفاوت الاشقاء في كثير ؟

لقد دلت الصور الفوتوغرافية على انبثاق هذه المادة بوفرة في جسم الوسيط ، ووجد بالتجربة أنها في جسمه اكثر منها في جسم غيره . ولذلك فالظواهر الروحية تكون في وجوده أشد وضوحاً منها في غيابها . ويتم الاتصال بعدة طرق : المائدة - الاجهزة الكهربائية - الصوت المباشر - التجسد . فأما المائدة فعلى ثلاثة أوجه : الاول المائدة وحدها - الثاني المائدة والكوب - الثالث المائدة وجهاز البسايكوجراف

وفي كل من هذه الحالات يجلس الحضور ليلاً ذكوراً واناثاً على التناوب وقد وضعوا اكفهم مبسوطة فوق المائدة ، ثم يضاء ضوء احمر خفيف ، وبار فونوغراف ينصت الحضور الى موسيقاه انصتاً تاماً . فاذا تحركت المائدة الى أعلى او اهتزت من تلقاء نفسها كان ذلك بمثابة اعلان بأن روحاً قد حضر . وليقم أحد الجالسين نفسه رئيساً للدائرة وناثياً عنهم في الكلام مبدئياً الى الروح غير المنظور الرغبة في الاتفاق على قانون للتخاطب ، كأن تهتز المائدة او يحدث فوقها نقر مسموع عند النطق بكل حرف من الحروف الهجائية التي منها تتألف الكلمة التي يريد الروح تهجئتها ... وهكذا . وهذه الطريقة مضجرة متعبة قد ينجم عنها خطأ في التواصل

اما في حالة المائدة والكوب فان التواصل يكون أبسر وأسهل . وفي هذه الحالة يؤتى بالمائدة وتكتب الحروف الابجدية على شكل دائرة ، وكذلك تكتب الارقام ، ويكتب اللفظان « نعم » « ولا » فبعد انتهاء الموسيقى كما مر بنا قديمتن الكوب الذي يكون موضوعاً في مركز الدائرة فاذا اهتز يضع شخصان او ثلاثة السبابة على حافة الكوب بحيث يكاد يلمس الكوب ، ويلاحظ ألا يكون ضغط او اندفاع بالاصابع لحركة ارادية . ويحسن عصب أعين واضعي الاصابع لكي تكون الحركة بريئة بعيدة عن الشبهات العلمية . عندئذ يسأل الروح من هو . فيتحرك الكوب نحو الحروف التي يتكوّن منها اسم الروح ، فاذا كان الاسم « علي » مثلاً ذهب الكوب الى الحرف ع اولاً ثم عاد الى مركز الدائرة ، ثم الى الحرف ل ثم الى الحرف ي وهكذا . ثم يلقى السؤال ويتلقى الجواب على هذا النمط . وفي الوقت نفسه يدون بعض الحاضرين على الورق الحروف المختلفة فتتكوّن كلمات تكون جملاً مفهومة . ويستمر الحديث وهذه الطريقة أبسر من سابقتها وأكثر استعمالاً

اما المائدة وجهاز البسايكوجراف او البلاشتا الى آخر ما هنالك ، فالغرض من هذه الاجهزة التي توضع فوق المائدة تسهيل الحركة على الروح . الحروف موجودة كما مضى ، والاجهزة في مجموعها تحتوي على مؤشر يتحرك على هذه الحرف ، والمؤشر اما ان يكون فوق كرات في اغلفة لتسهيل الحركة ، او فوق عجالات . وكلما كانت المائدة ملساء كانت الظواهر اتم وفي هذه الاحوال كلها لا يحتاج الى وسيط قوي

وأما الاجهزة الكهربائية فتوعان : نوع يحتاج الى وسيط قوي ونوع لا يحتاج الى وسيط وجهاز الرفلكتوجراف من النوع الاول ، وهو أشبه شيء بالآلة الكاتبة وانما المفاتيح متصلة بمصابيح تضاء اذا تحركت هذه المفاتيح كما تضاء المصابيح الكهربائية العادية . وكل مصباح مسلط على حرف من الحروف الابجدية ، فاذا اضيء المصباح ظهر الحرف واضحاً فوق لوحة معدة لذلك ولا استعمال هذا الجهاز يجلس الوسيط فوق كرسي بعيداً عن هذا الجهاز ، ثم يشد وثاقه شداً محكمًا ، فعند انتهاء الموسيقى يقع الوسيط في غيبوبة ، ويحسن أن يبدأ بالتجربة في الظلام ثم بضياء بعد ضوء أحر خفيف . وبعد وقوع الوسيط في الغيبوبة يرى الحاضرون الاكتبون بلازم وقد انبثق من جسم الوسيط ثم امتد حتى جاور الرفلكتوجراف . ويتكاثف حتى يكون على شكل قضيب مضيء . وسرعان ما يصبح هذا القضيب يد انسان كاملة يستطيع الحاضرون امساكها والتسلم عليها . فهي يد الروح الذي يريد الكلام وقد تجسدت إذ وضعت في غلاف أو قفاز من الاكتبون بلازم واحياناً تتجسد اليدين والوجه والجسم فاذا بالروح بشر سوي . ويكون جهاز الرفلكتوجراف قد وصل بالتيار الكهربائي ، أي وصل بأسلاك التيار الموجودة في المنزل .

وبعدئذ يبدأ الروح حديثه فيحرك المفاتيح ، وتظهر الحروف وعلامات الترقيم فوق اللوحة . وعند البدء في الحديث يحرك الروح مفتاحاً فيدق جرس ينبه الحضور الى أن الحديث قد بدأ ، وعند الانتهاء يدق الروح هذا الجرس الكهربائي معلناً نهاية الحديث

ومن النوع الثاني الذي لا يحتاج الى وسيط جهاز الكوميوغراف ، وهو مائدة من سطحين علوي وسفلي . العلوي لوحة شفافة ، والسفلي سطح به جملة نقوب مستديرة موزعة على محيطه . وبين السطحين قب ميزان يتدلى من أحد طرفيه خيط يحمل كرة ، والميزان دقيق جداً وسهل الحركة جداً ، فاذا مال هذا الطرف سقطت الكرة في احد الثقوب ، فحدثت تماساً كهربائياً يكسفي لضاءة مصباح كهربائي مسلط على حرف من الحروف الابجدية ، فتظهر لهذا الحرف صورة فوق اللوحة . وكما هو الحال في الرفلكتوجراف توجد علامات الترقيم وجرس التنبيه

وبهذا الجهاز الاخير كتب روح سير فنست كيلارد الكتاب المسمى « رأي جديد عن الحب » وكان سير فنست هذا مهندساً كبيراً من رجال الاعمال في انكلترا

والغريب ان تصميم هذا الجهاز جاء من عالم الروح . أملاه بالصوت المباشر روح ذلك المخترع الانكليزي الشهير المسمى جيسون Jobson ، ثم أشرف من عالم الروح على بنائه . وذلك لكي يقطع على المعارضين العلميين كل سبيل للشك ، نائياً كل ما يمكن ان يقام من الشبهات

واما الصوت المباشر فهو من احسن صيغ التواصل وأناها للشبهات . فالروح بعد وقوع الوسيط في الغيبوبة تصوغ من الاكثوبلازم قناعاً يخفف من اهتزازات اعضاء الصوت عندها حتى تستطيع هز جوتاً واحداث الصوت فيه . فنسمع الصوت . وقد سهل المخترعون الروحيون هذا السبيل باختراعهم البوق المنفصر لكي يرى في الظلام وهو يسبح في جو الحجرة ، ثم جهاز التلفوكس الذي يجمع الموجات الصوتية ويعكسها الى بؤرة . وهو يفوق البوق بمراحل

وأما التجسد الكامل فهو بلا نزاع أبلغ صيغ التواصل كلها . فالروح يستطيع أن يتجسد كله ، ثم يجلس اليك وتجلس اليه ، ويحدثك وتحدثه كأنما هو بشر سوي ، بل يقبل تحتك وبشرب الشاي او القهوة التي تقدمها اليه . فاذا ما ضعفت القوة تلاشى جسمه شيئاً فشيئاً حتى يختفي . ويختفي معه ما أكل وما شرب . ولا يحدث هذا الا اذا كان الوسيط — ذكر أ كان أم أنثى — قوي القدرة الروحية وبهذه المناسبة نقول ان الروح الحارس للوسيلة الشهيرة اسئل روبرتس ، وهو المسمى نفسه Red Cloud أي السحاب الاحمر ، قد تجسد في جلسة عقدت في أوائل نوفمبر ١٩٣٨ أمام خمسة وستين شخصاً بعد ان أتى بالصوت المباشر حديثاً طويلاً نشرته له مجلة بسايكك نيوز في العدد رقم ٣٣٧ الصادر في يوم ٥ نوفمبر الماضي . وقد أعلن هذا الروح انه سيتجسد عند بدء كل حديث بالصوت المباشر

السكون بعد النغم

أخف الشجوة مقول النغم العذ ب فأمسى هذا السكون المهيأ
 مثلما تفجهم الشجون خطيباً صار في صمته قوولاً خطيباً
 كسكوت العشاق في نشوة الحب تناجي فيه القلوب القلوب
 أو سكوت اللهيف فوجيء بالبشرى ويخشى من حسنها أن تخيأ
 أو سكوت الشباب في حلم الآ مال من قبل أن تعاني المشيأ
 أو سكوت الخشوع في صلوات القلب صار البعيد منه قريباً
 أو سكوت الأم الرزوم حناناً وابنها نائم حمسة الخطوباً
 حلت حلمها بما سوف يسعى في مساعيه جيئة وذهوباً
 من ثمار الحياة تختار أحلامها له نعمة وسعداً وطيباً

نغمة خلفت بواطن الحن * * * دق عن أن بصيب سمعاً طروباً
 وكان لم تزل بسمع مسحور من اللحن أمل أن تؤوباً
 فهو يصغي لعودة الصوت منها وهي في نفسه تدب ديباً
 سحر القلب شدوها ام سكون خلفته فكان سحراً حبيباً
 عجباً يسحر السكوت ام اللحن وائي الحالين بصبي القلوباً
 وكان المسحور من اثر اللحن يناجي في ذا السكون الغيوباً
 وكان الاصداء من بعدها في النفس تشدو وتستثير الوجيباً
 هامسات في النفس همس مسرر بانح بالهوى ويخشى الرقيباً
 في سكون كأنما هدا الكون من خشوعاً لها وسحراً عجباً
 هداة الكون في المساء وقد يخشع راء والشمس تحدى غروباً
 فكان الحياة عادت سكوناً كسكون الردى رهيباً مهيباً
 تحسب الدهر ساعة دقها قد منع الصمت صوته أن يجوباً
 ساعة توهم الورى ان هذا الكون قلب ما إن يحس وجيباً
 تحسب الدهر مسقط الماء غال السماء فيه جموده أن يصوباً
 فدوي بالذكر في النفس منه وسكوت في الاذن يسي القلوباً

ضباط امير كيون في الجيش المصري

لليوم زباجشى عبر الرصحن زكي

كتب القاضي الامير كي بير كرايتس أثناء الاغوام الاخيرة سلسلة من المؤلفات التي تبحث في التاريخ المصري خلال القرن الماضي ، نذكر من بينها « البطل ابراهيم » و « جوردون والسودان والرقب » و « الحديو اسماعيل المفترى عليه » و « استرداد السودان »
وأخيراً أخرج كتاباً عنوانه « ضباط أمير كيون في الجيش المصري »^(١) فروى فيه قصة ضباط البعثة العسكرية الاميركية التي استدعاها المغفور له الحديو اسماعيل عام ١٨٦٩ لتنظيم الجيش المصري ولتدريب هيئة اركان حربه بوجه خاص^(٢)

ولليوم الذي نشر فيه القاضي كرايتس كتابه الذي نحن بصددده ، كانت معلوماتنا عن أعمال البعثة العسكرية المذكورة مبعثرة بين أوراق المحفوظات الرسمية ومجلدات نشرة الجمعية الجغرافية الملكية وأعداد جريدة اركان حرب الجيش المصري التي كانت تصدر في عصر المغفور له الحديو اسماعيل ، او في المؤلفات التي كتبها بعض أفراد البعثة المذكورة كالضابط داي (Dye)^(٣) وزميله لورنج^(٤) ومنذ أعوام نشط القاضي كرايتس للبحث في المحفوظات التاريخية بقصر عابدين ومحفوظات وزارة الحربية والمفوضية الاميركية بمصر ، فكشف لنا الستار عما كان لا يزال مجهولاً من أعمال البعثة الاميركية . ونظم أخبارها . وسرد ما خفي من أعمالها الفنية التي امتدت من البحر

(١) Pierre Crabitès — Americans in the Egyptian Army. George Routledge

London وعدد صفحاته ٢٧٧

(٢) راجع أعداد المقتطف يوليو ١٩٣٧ مقال « صفحة من تاريخ الجيش المصري » . وعدد ابريل ومايو ١٩٣٨ مقال « الجيش المصري والاستكشاف في افريقية » . للملازم الاول عبد الرحمن زكي

(٣) Col. William Mee Dye - Moslem Egypt and Christian Egypt

(٤) Gen. Loring—A. Confederate Soldier in Egypt

المتوسط الى منابع النيل. وليس هناك أدنى شك في ان القاضي كرايبتس قد ألف كتابه وهو معتبط بما كتبه عن مواطنيه الاميركيين . على انه لم يسرد بايضاح ذلك الاثر العظيم الذي اشترك فيه هؤلاء مع زملائهم من الضباط المصريين ، وقد تكاتفوا جميعاً على العمل الرائع كما سئري كئنا نعلم الى عهد قريب ان أول ضابط أميركي طلب اليه الخدمة في الجيش المصري أثناء حكم اسماعيل العظيم هو المايجور جنرال موط Thaddeus P. Mott ، الى ان قرأنا في صدر الفصل الثاني من كتاب القاضي كرايبتس ان منصب قيادة الجيش المصري عرض في بادئ الامر على الجنرال الاميركي جوستاف بوريجارد Gustave Beauregard وقد عثر القاضي في أوراق المحفوظات التاريخية الملكية على خطاب كتبه الجنرال المذكور بالفرنسية الى موظف مصري كبيراً وضح فيه رغبته في الحضور الى مصر لكي يشغل المنصب الذي عرض عليه . وقد بين استعداداه ليجعل الجيش المصري قوة دفاعية يتحدى بها اي جيش اوروبي لدولة ثانوية (الدرجة الثانية) وان يجعل موانئ القطر المصري في حالة منيعة لتقاوم بنجاح تام كل الهجمات التي تقوم بها ضدها اقوى الاساطيل العالمية (١)

لكننا لا نعلم ماتم عليه الامر مع هذا القائد . لائنا نقرأ فيما بعد عن وصول المايجور جنرال موط الى القاهرة وصدور مرسوم بالانعام عليه برتبة الفريق في ٢٤ سبتمبر ١٨٦٩ وبمنحه مرتب بمبلغ مائة جنيه في الشهر . ولم يلبث الجنرال موط طويلاً حتى غادر مصر الى الولايات المتحدة للبحث عن نخبة من الضباط الاميركيين يضطلعون معه بالمهمة التي كاف القيام بها . ومن حسن الحظ ان كانت الحرب الاهلية الاميركية قد انتهت فسهلت المهمة أمامه . واختار من اراد من الضباط ، ومن رشحتهم الحكومة الاميركية

وقبل قدوم هؤلاء الضباط الى مصر وقعوا عقوداً مع الحكومة المصرية التي كان يمثلها « موط » . وجاء في الشروط ان يشهروا الحرب على العدو الفريق الاول (مصر) ، كائناً من كان وان يواصلوا تلك الحرب بكل شدة ، على ان يعفوا من حمل السلاح في وجه الولايات المتحدة كان في مقدمة الذين رشحهم الجنرال شيرمان Sherman القائد المشهور الاميركي ، ضابط ممتاز هو البريجادير جنرال ستون Charles Pomery Stone . ومن زملائه في الجزالية ثلاثة ضباط كبار وهم : البريجادير جنرال ويليام لورنج William Loring من فلوريدا — والبريجادير جنرال سينلي Henry Sibley — والبريجادير جنرال كارول نفيس Carrol Tevis

(١) المحفوظات التاريخية الملكية بقصر عابدين وقد ورد في هذا التقرير ما يلي :

“comme officier de Génie je pourrais mettre tout les forts de Son Altesse en condition de combattre avec succès les attaques des flottes les plus puissantes du monde etc...”

ولنقف هنا لحظة لكي نعرف كيف انتهى الامر بالجنرال موط . فقد كان أقدم الضباط الاميركيين في خدمة الحكومة المصرية . لكنه كان يتحاشى الاندماج مع زملائه لانه لم يكن من هيئة اركان الحرب . فضلاً عن انه لم يكن « ضابط ميدان » . وقد اطلع القاضي كرايبتس على عدة خطابات كتبها موط الى بعض اصدقائه يشتم منها عدم توفيقه مع زملائه . ففضّل اخيراً الاستقالة بعد وصول افراد البعثة بأشهر قلائل . وقد أهدى إليه الحديو اسماعيل قطعتين نفيستين من الماس . أهداها الجنرال فيما بعد الى شقيقته « المسز إيزاك بل » وكان عدد الضباط الذين برتبة كولونيل عشرين وهم :

شايه لونج — وويليام ماك داي — وسبارو بوردي — وهـ . براوت — وهـ . ريد — وروبرت روجرز — وفندربلت آلين — والمهندس العسكري كولستون — ودريك — وشارلز فيلد — واـ . جيفر — ويفرلي كينون — وصمويل لو كيت — والكسندر ماسون الكسندر — ورينلدز وربت — وجون سافدج — وهـ . وارد — والكولونيل ما كيفور

وكان عدد الضباط من رتبة الليفتمنت كولونيل ثلاثة وهم : جيمس باسيل — وجريشز — ودنلوب وكان المايجورات كامبل وهنت وهول وهوايت وجيمس مورجان وديسون وشارلز لوش وروبرت شورل لامسون والمايجور باركينز . وكان بين افراد البعثة أربعة ضباط برتبة كابتن وهم : ايرجين ، وايسكس بورتر ، وفريمان ، وكو بنجر

وهناك أيضاً ثلاثة من الجراحين : جونسون وويلسون ووارين . كما ألحق المهندس لينز ميتشيل للعمل في الابحاث العلمية الخاصة بهيئة اركان الحرب برتبة تعادل ليفتمنت كولونيل . وانتخب أيضاً بعض الموظفين للقيام بالاعمال العلمية والفنية . وهؤلاء هم برنارد (السكرتير الخاص للجنرال ستون) وميدلتون وكيللي . وقد بلغ عدد افراد البعثة الاميركية ثمانية وأربعين أوصى بانتخاب عشرين منهم الجنرال موط

وفي الفصل الرابع سرد القاضي كرايبتس الظروف التي وصلت فيها النخبة الأولى من رجال البعثة . فقد وصل هؤلاء في خامس ابريل عام ١٨٧٠ على السفينة التي أقلت اللورد نابيير الى الهند ليتسلم قيادة الجيوش البريطانية فيها

وكان الجنرال موط في انتظار مواطنيه الجدد على الميناء . ثم صحبهم الى « اوتيل دوريان » Hotel d'Orient حيث اقاموا فيها . وفي اليوم التالي قدّمهم الى شاهين باشا ناظر الحربية فدعاهم الى مرافقته في عرسته الخصوصية الى القاهرة . فلما وصلوا الى العاصمة ومضت بضعة أيام استقبلهم الحديو اسماعيل في ١٥ ابريل ١٨٧٠ . وقد قدمهم الى سموه ذو الفقار باشا كبير الأمناء وكان بحلي صدره بمجموعة نفيسة من النيشان والميداليات ^(١)

(١) والد صاحب المعالي سعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء الحالي لحضرة صاحب الجلالة الملك فروع الاول

وقد وصف المؤلف كيف أدخلوا قاعة الاستقبالات العظيمة وكيف قابلهم عاهل مصر
اذ ذاك فيسأهم تحية طيبة بدون ان يتكلم . وحيوا النخبة العسكرية ثم امرهم بالجلوس على يمينه
وظلّ الصمت سائداً لحظة الى ان نظر الخديو نحوهم ثم تكلم باللغة الفرنسية قائلاً : —
اني وبلادي ارحب بكم أيها السادة . وأود ان اعبر لكم عن اغتباطي لا جابتكم السريعة
لدعوتي . وقد استطع ان اقول لكم وبثقة كاملة انه من المنتظر ان تدعوا للخدمة في الميدان بأسرع
ما يمكن . وان تجاربكم في الحرب الاميركية الاخيرة ، وعدم وجود مصالح خاصة لدولتكم في
مصر هما اللذان اوحيا اليّ ان استدعيكم لتلك الخدمة . وسيحسدكم بعض الضباط المصريين على
الحالة التي ستجدون انفسكم فيها . لذلك أسألكم ان تتحملوا هذه المظاهر بالصبر والتسامح . فاذا
وصل الامر ولم تتحملوا فلا تترددوا في الحضور اليّ لانصافكم . واني اعتمد على حيككم واخلاصكم
ومراعاتكم لشروط الكتمان لتعينوني على تحقيق استقلال مصر . ومتى تم ذلك وسيم باذن الله
فسأ كافئكم اعظم مكافأة^(٢)

لكنهم لم يستلوا سيوفهم لمحاربة السلطان تحقيقاً لمطامع الخديو . لان اوربا ارادت ذلك على
نحو ما وقفت امام محمد علي ... وكانت فرنسا وانجلترا يقطنين لجميع مشروعات اسماعيل
ولعل اهم يوم في تاريخ خدمة الضباط الاميركيين في الجيش المصري هو يوم ٣٠ مارس
سنة ١٨٧٠ ففي ذلك اليوم عين الجنرال ستون رئيساً لاركان حرب الجيش المصري . وكان
هذا التعيين نذيراً بانتهاء السيادة الفرنسية في الجيش بعد ان كانت هيئة اركان حربيه معظمها
ان لم يكن كلها في ايدي الضباط الفرنسيين

فأتنا نعلم جيداً ان عقب حرب القرم (١٨٥٣ — ١٨٥٥) وبوفاة الجنرال سليمان باشا الفرنسي
رئيس هيئة اركان حرب الجيش المصري في أيام محمد علي الكبير والبطل ابراهيم وعباس الاول
وسعيد باشا ، اندثرت هذه الهيئة الى ان حاول اسماعيل بعثها

بدأ الجنرال ستون عمله في ربيع عام ١٨٧٠ . وقصد نظارة الحربية ليديره ويكتب تقاريره
فقسم هيئة اركان الحرب الى سبعة أقسام أو ادارات لكل منها رئيس أميركي . وأوصى
بانشاء مدرسة لاركان الحرب . ففتحت أبوابها وانتخب لها عشرون طالباً من ناهي طلبة
المدارس العالية وكان لتلك المدرسة الفضل الاول في اخراج طائفة مختارة من شبان الضباط
المتعلمين بين الاعوام ١٨٧٣ و ١٨٧٨ . فوزعهم على الاقسام العسكرية لهيئة اركان الحرب

[للبحث تنمة]

والاسلحة المختلفة

السرطان والمرأة

أعراضه وتشخيصه

للكنور فيليب الأسقر

﴿اعراض السرطان﴾ أعراض السرطان الرحمي سواء أفي جسم الرحم كان أم في عنقه متشابهة ولهذا سنذكرها هنا تاركين التفريق عند الكلام عن تشخيص الداء. وهذه الاعراض تختلف حدة باختلاف درجة السرطان فان اجتمعت كلها كان الداء في درجاته الاخيرة فعلى كل امرأة عندما تلاحظ شيئاً غير طبيعي في وظائف اعضائها الجنسية ان تراجع طبيبها وعلى الطبيب ان يجتهد في معرفة سبب هذه الاعراض هل هي سرطانية او لا. العارض الاول والمهم سيل الدم من المهبل. كل امرأة يمر على انقطاع طمثها فترة من الزمن ثم تعود ترى دمًا يسيل من المهبل يجب ان تشبه في وجود ورم سرطاني في رحمها. وليكن تستوثق من ذلك يجب ان تراجع طبيبها في الحال. اما في النساء اللواتي لم يزلن في سن التوالد فللنزيف المهبلي عدة اسباب غير السرطان فعليها ان تراجع الطبيب حالا وعلى الطبيب ان يجد سبب هذا النزيف. وللنزيف الناتج عن وجود السرطان خصائص يجب معرفتها منها أنه يحدث على اثر استعمال حقنة مهبليّة او مباشرة جنسية او رضّ ما والنزيف في الابتداء لا يكون متواصلًا بل يظهر مدة ثم ينقطع ومن خصائصه ايضا ان يكون شديداً عند الحيض دون ان يكون هنالك سبب آخر لهذه الزيادة

﴿العارض الثاني السيلان المهبلي المخاطي﴾ السيلان المهبلي المخاطي كثير الحدوث في النساء واسبابه عديدة وكل امرأة تعودت ان تراه، فوجوده بمقدار لا يدل على شيء مهم إلا اذا تغيرت طبيعة هذا السيلان فازداد مقداره او اصبح ذارائحاً كريهة أو غداً مصحوباً بألم شديد او مزوجاً بخيوط دموية فالسيلان المهبلي بمقدار ذاته كاف لحمل المصابة به على استشارة طبيبها فكيف بها اذا لاحظت ان طبيعتها قد تغيرت عما تعودته

﴿العارض الثالث: الألم﴾ وهذا العارض لا يظهر إلا متأخراً عندما يمتد الورم السرطاني الى النسيج المجاور للرحم وهذا النسيج تكثف فيه الاعصاب فعدم وجود الألم لا يدل على عدم وجود الداء ووجوده دليل على ان الداء اصبح في ادواره الاخيرة

﴿الاعراض المتأخرة﴾ تظهر الاعراض عندما يصيب السرطان الاعضاء المجاورة كالثانة والمستقيم ومجرى البول من الكليتين الى المثانة او الاعضاء البعيدة كالكبِد والرئتين والسلسلة الفقرية وما شاكل
﴿اعراض عمومية﴾ وظهور هذه الاعراض يدل على قرب اجل المصاب وهي اصفرار شديد يقرب من لون الليمون الحامض وهزال ونقص في الوزن وفقر دم شديد واعياء عام وضمف الشبهة للاكل ثم الانغماء والاسهال عند قرب النهاية

﴿تشخيص داء السرطان الرحمي﴾ سرطان الجسم او قعر الرحم — سبق وقلنا ان سرطان قعر الرحم اقل وقوعاً من سرطان العنق واكثر ما يصيب المرأة في العقد الرابع من عمرها وما فوق غير ان وجوده داخل الرحم لا يمكن لمسه عند الكشف الطبي ولا رؤيته بالعين المجردة فعند ما يشتبه في وجود السرطان يجب على الطبيب ان يجري على المريضة عملية القحط^(١) وان يفحص المادة التي تأتي بها القاحطة فحسباً مكروسكوبياً وعملية القحط لاجل التشخيص ضرورية جداً في كل امرأة في سن الاربعين وما فوق تشكو زيفاً مهليلاً غير طبيعي وبالاخص اذا كان هذا الترتيف بعد انقطاع الطمث بمدة . ورغبة في زيادة الاستيثاق يجب تصوير داخل الرحم بعد حقنه بمادة لا تخرقها الاشعة المجهولة فأدنى تغير في شكل الرحم المعروف يدل على وجود ورم طبيعي يجب ان يحقق نوعه . والسيلان المائي الدموي في سرطان قعر الرحم لا يكون مستديماً كما هي الحال في سرطان العنق بل متقطعاً فقد يأتي في فترات بين الواحدة والاخرى عشرة ايام او خمسة عشر يوماً ولربما كان ذلك ناشئاً عن تضيق في عنق الرحم

وبما يجب الانتباه له في هذا العمر هو وجود الاورام الليفية في الرحم فهذه الاورام لا تسبب زيفاً بعد انقطاع الطمث فان أصيبت امرأة بزيف دموي بعد انقطاع طمثها وكان في رحمها أورام ليفية يجب ان لا تعالج هذه الاورام بالكهرباء ما لم يستوثق الطبيب من عدم وجود ورم سرطاني في قعر الرحم وذلك عند اجراء عملية القحط وفحص المادة التي تأتي بها القاحطة ومن خصائص سرطان القعر الرحمي انه بطيء الانتشار وهذا ما يجعل معالجته اكثر نجاحاً من سرطان العنق

﴿تشخيص سرطان عنق الرحم﴾ يمكن ان نقسم سرطان عنق الرحم من الوجهة التشخيصية الى ثلاثة اقسام الورم الظاهر بجميع أعراضه والورم الذي يمكن ان يشخصه الطبيب عند الكشف البسيط والورم في ابتدائه الذي لا يمكن تشخيصه الا بعد الفحص الدقيق واستعمال جميع الوسائل الفنية لمعرفة

﴿النوع الاول﴾ امرأة في العقد الثالث فما فوق تشكو زيفاً مهليلاً متواصلاً ذارائحاً

(١) بمعنى الجرف وهي عامية في لبنان وتقابل لفظ Curettage

كريمة. قد يكون هذا النزيف مصحوباً بألم في أسفل البطن وأسفل الظهر أو بدون ألم. يلمس الطبيب عند الكشف المهبل ورماً يملأ المهبل سريع التفتت يدعى بسهولة ولا يجد أثراً للعنق بل يجد مكان العنق قروحاً وأوراماً لحمية مغطاة بأغشية النهائية صديدية وكل من يفحص هذه المرأة يعرف أنها مصابة بالسرطان

﴿ النوع الثاني ﴾ امرأة في الثلاثين من عمرها صحيحة الجسم لا تشكو إلا من سيلان مهبل مصحوب بقليل من الدم وهذا النزيف لا يظهر إلا عند المباشرة أو عند استعمال الحقن المهبلية بالفحص المهبل يلمس الطبيب بأصبعه تضخماً في عنق الرحم وهذا التضخم نوعان حلمي أو ليفي صلب ففي النوع الحلمي يظهر عند فوهة الرحم حلقات متعددة بعضها متعرج وهذه تنتشر الى الانسجة العميقة والى الغشاء المجاور

وفي النوع الليفي يكون عنق الرحم متضخماً على الشفة الواحدة تنوء قاص كقطعة الخشب وهذا النوع فلما يتقرح وهو كالتنوع الاول يمتد الى الانسجة العميقة والى فوهة الرحم الداخلية ونمو هذا الورم يؤدي الى تآكل العنق وقد يكون العنق كله ورماً سرطانياً

﴿ النوع الثالث ﴾ ومن الصعب جداً معرفته بالفحص المنظاري أو الكشف الطبي فهو بمظهره الخارجي لا يختلف عن التهابات العادية وهو احمرار موضعي أو بقع منتشرة حول الفوهة وهذا النوع يستدعي دقة في الفحص الكلينيكي والفحص الميكرو سكوبي

﴿ الفحص ﴾ الكشف اليدوي — علامات السرطان باللمس اليدوي هي القساوة وتفتت الانسجة والتضخم وتزف الدم من هذا اللمس ويستحسن في الحوادث المشبوهة ان يجري الفحص بدون قفاز لينتمكن الطبيب من الشعور بالتصلب والقساوة. والفحص اليدوي ضروري ليس لتشخيص الداء فقط بل لمعرفة مقدار انتشاره الى الانسجة المجاورة للرحم ففي كل حادثة سرطان رحي يجب اجراء فحص المستقيم والمثانة وعلى مقدار انتشار الداء يتوقف امر المعالجة ونوعها والمنفعة التي يمكن ان رجي من هذا الفحص

﴿ الفحص المنظاري ﴾ وهذا يكون بواسطة العين المجردة وبواسطة المكبر المعروف باسم Colposcope. الآلات التي تنظرها العين هي القروح، والاورام والتتوات واللطخ البيض Leukoplakia وتآكل رحي ومن هذه الآلات ينزف مقدار من الدم يتفاوت بين النزف الشديد وبعض قطرات وهذا يتوقف على نوع الآفة وعلى مقدار انتشارها

ما تقدم ذكره يصدق على السرطان المتقدم اما السرطان في دوره الاول فيظهر كقرحة عادية أو التهاب موضعي في شفة العنق أو تنوء مرتفع قليلاً عن مستوى النسيج المجاور ففي هذه الحوادث يجب الاستعانة بالمكبر وبالتعامل الكيميائي. المكبر يكبر الصورة اربعين مرة فقطظهر

القروح واللطف البيض ومقدار انتشارها. والتعامل الكيميائي هو ان يوضع على العنق قليل من محلول (Lugal) يود ١ يودور البوتاس ٢ ماء ٣٠٠ فالنسيج السليم يصطبغ بهذا المحلول اصطباًغاً كستنائياً قائماً. اما النسيج السرطاني فيبقى بلونه الاصلي اصفر وهذا الاصطباًغ هو نتيجة للتعامل الكيميائي الذي يحدث بين مادة اليود والمادة الكلوكوجينية فالحلايا السرطانية تقدر ان تحول المادة الكلوكوجينية اكثر من سواها فلا تصطبغ بمحلول اليود.

﴿الفحص المبكر وسكوبي﴾ كل طبيب يشبهه في وجود ورم سرطاني في الرحم او في عنقه ولا يأخذ قطعة صغيرة للفحص المبكر وسكوبي يكون مقصراً في ما يجب عليه من الناحية الفنية نحو المريضة وأخذ القطعة عملية في غاية البساطة لا تحتاج الى اختبار جراحي ولكن المهم — وذلك في الادوار الاولى — ان تؤخذ القطعة من النسيج السليم قبل ان يكون الداء قد وصل اليها فاذا لم يتمكن الفاحص من معرفة المكان المشبوه بالفحص العادي فعليه ان يستعين اما بالمكبر وإما بالتعامل الكيميائي بمحلول Luzol

﴿فحص داخل العنق﴾ يبدأ السرطان في بعض الحوادث في مجرى العنق بين الفوهة الداخلية والفوهة الخارجية فلا يمكن لمسه في بدايته او رؤيته ولكي يكون الفحص كاملاً يجب ان يشمل هذا المجرى حتى ولو ادى الى شق العنق شقاً مستطيلاً واظهار المجرى وخصه فمخماً دبقاً ﴿سير داء السرطان﴾ كثيراً ما تكون المرأة مصابة بورم سرطاني في رحمها وهي جاهلة وجوده فالاعراض في اولها مما لا تنبه له فليس هنالك عارض خاص بالداء فالسيلان الملوث بقليل من الدم او للازدياد اليسير في مقدار الحيض اسباب عديدة غير السرطان فان لم تراجع المرأة الطبيب في فترات معينة لمشاهدة سير العلة التي تسبب هذه الاعراض قالت السرطان ينمو نمواً مضطرباً الى أن يصل الى النسيج المجاور للرحم فعلى مقدار هذا الانتشار يتوقف نوع المعالجة والامل بنجاحها وقد قسمت لجنة درس السرطان في جامعة الامم سرطان العنق من جهة انتشاره الى النسيج المجاور الى اربع درجات

١ — الدرجة الاولى السرطان لا يتعدى عنق الرحم وعند الفحص يمكن ان يتحرك جيم الرحم بسهولة ولا أثر لتصلب في النسيج المجاور

٢ — الدرجة الثانية حيث يكون السرطان قد وصل بنموه الى الجدار المهبل غير ان الرحم والانسجة المجاورة لم تزل سليمة

٣ — الدرجة الثالثة حيث يكون السرطان قد لحق بالنسيج المجاور للرحم فيكون الرحم ملتصقاً ولا يمكن معالجة هذا النوع معالجة جراحية. ٤ — الدرجة الرابعة حيث يكون السرطان قد دخل بالاعضاء المجاورة كالمستقيم والمثانة والحالب او قد يكون قد انتقل الى عضو بعيد

العوامل الفعالة

في

الادب العربي الحديث

بهذا الفصل النفيس — في ما كان لكفاح القومية المصرية ، والثورتين العراقية والسورية ، والمشكلة الفلسطينية من تأثير في الادب العربي الحديث ولا سيما الشعر — يختتم العلامة الاستاذ أنيس المقدسي ، أستاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية ، الحلقة الاولى من دراسته الممتعة في «العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث» . وقد كان الموضوع الخاص بهذه الحلقة « بحث العوامل السياسية في المواطن الرئيسية للنهضة أي مصر والعراق والاقطار السورية من منتصف القرن الماضي الى الوقت الحاضر » . أما العوامل الاجتماعية والفكرية فلها فصول أخرى

ومن بواعث اغتباط المقتطف ان أتيح له نشر هذه الفصول النفيسة الممتازة بالانصاف والتحليل العلمي التاريخي ووصف تقلب الحالة النفسية في الشعوب العربية خلال الفترة التي تناوّلها والتقصي الدقيق . ولا يخفى على القارئ المتبصر ما تكبده الاستاذ المقدسي من مشقة في مراجعة الصحف والمجلات لاستخراج ما نشر فيها من انباء النهضة القومية العربية في شتى مراحلها وما قيل فيها من الشعر ثم في مراجعة الدواوين العربية التي طبعت ونشرت في سوريا ولبنان والعراق والمهاجر الاميركية فجاءت هذه الفصول «ديوان النهضة العربية» او هي مهدت الطريق لوضع هذا الديوان ، لان الاستاذ المقدسي اضطر في معظم الاحيان الى الاكتفاء بمختارات من القصائد او حتى بقطاعاتها او أبيات منها فقط مراعاة لمقتضى الحال ويسرنا ان نذيع ان هذه الفصول ستظهر قريباً مجموعة في كتاب على حدة يسهل اقتناؤه على جمهور المعجبين بها

[المقتطف]

المشادة

بين الانتداب والاستقلال

لـ **لؤي نعيم** المقيمي

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

وضعت الحرب الكبرى أوزارها وللوطنيين في البلدان العربية ، ولا سيما مصر وسوريا والعراق ، آمال قومية واسعة . على ان عصبة الامم لم تلبث ان قررت ان هذه البلدان لا تزال في حاجة الى وصاية او ارشاد بعض الدول الكبرى . وهكذا وضع نظام الانتداب او الحماية (سميه ما شئت) . فاعترى الشرق العربي شعور عام بالخيبة واستفز ذلك العناصر الوطنية فهبت تسعى لنيل أمانها . وهذه المساعي هي أساس العوامل التي كان لها أعظم أثر سياسي في شعر الحقبة الاخيرة . وهي تظهر في أربع ظواهر رئيسية : —

١ — كفاح القومية المصرية

٢ — الثورة العراقية

٣ — الثورة السورية

٤ — المشكلة الفلسطينية

ولنلق نظرة محلي على كل منها

﴿ كفاح القومية المصرية ﴾ وهو قديم يرجع عهده الى بدء الاحتلال البريطاني ، على ان أول من نظمهُ وأول من وحد الاتجاهات الوطنية مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطني . وقد صدق أمين الرافعي إذ قال ^(١) — « تبددت بمصطفى كامل كلّ الأباطيل التي كان خصوم مصر يذيعونها عن الروح الوطنية في البلاد ، وكان احتفال الامة بجنائزه أروع مظهر اثبتت به مصر أنها أمة حية لا تستطيع ان تعيش إلا أمة مستقلة »

وقد ألهب مصطفى كامل الشعر العربي في مصر وجرأ الشعراء على مهاجمة المحتلين ومطالبة
بالجلاء ، كما دفعهم إلى التغي بالحرية والكرامة القومية
فلا بدع ان يرى في الشعر العربي عند موته اتقاداً تتأجج فيه العواطف القومية كقول
حافظ ابراهيم من يائته المشهورة في ذلك الزعيم (١) : —

هنيئاً لهم فليأمنوا كل صائح فقد أسكت الصوت الذي كان عالياً
ومات الذي أحيا الشعور وساقه إلى المجد فاستحيا النفوس البواليا
شاهد العلى لا زال صوتك بيننا برن كما قد كان بالامس عالياً
يناشدنا بالله ان لا تفرقوا وكونوا رجالاً لا تسروا الاعاديا

وأشد من ذلك قصيدته في حفلة تأبينه ومطلعها (٢) : —

نثروا عليك نوادي الازهار وأتيت انثر بينهم أشعاري
زين الشباب وزين طلاب العلى هل أنت بالمهج الحزينة داري
غادرتنا والحادثات بمرصد والعيش عيش مذلة وإسار
ما كان أحوجنا اليك اذا عدا عاد وصاح الصائحون بدار
قم وامح ما خطت يمين كرومي جهلاً بدين الواحد القهار
حزع الهلال عليك يوم تركته ما بين حر أسي وحر أوار
متلفئاً متحيراً متخيراً رجلاً يناضل عنه يوم نخار

وقصيدته الذكرى ومطلعها : (٣)

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا واقضوا هنالك ما تقضي به الذم
هنا الكمي الذي شادت عزائمها لطالب الحق ركناً ليس ينهدم
ليك نحن الألى حررت أنفسهم لما سكنت ولما غالك العدم
قيل اسكتوا فسكنتنا ثم أنطقنا عسف الجفاة وأعلى صوتنا الأثم
ليك إنا على ما كنت تمهده حتى نسود وحتى تشهد الامم
فيعلم النيل أنا خير من وردوا ويستطيل اختيالاً ذلك الهرم
يا أيها النشء سيروا في طريقته وثابروا رضي الاعداه أم نقموا
فكلكم مصطفى لو سار سيرته وكلكم كامل لو جازه السأم

(١) ديوانه (١٩٢٢) ٣ — ١٠٧ (٢) ديوانه (١٩٢٢) ٣ — ١١٠

(٣) ديوانه (١٩٢٢) ٣ — ١١٧

ولشوقي في رثاء مصطفى كامل قصيدة مشهورة مطلعها —

المشرقان عليك ينتحبان في مآتم قاصيهما والداني

وهي من عيون الشعر ويدور أكثرها على مآثر الفقيد وشخصيته ومنزلته في قلوب الناس. ومثلها قصيدة لحليل المطران تجدها في ذيل ديوانه (مطلعها «أعلى مكاتك الإله وشرقاً») وهي أكثر من تسعين بيتاً عامراً وتصور الفقيد زعيماً وطنياً ضحى بحياته في سبيل بلاده كقوله

مصر التي كلفت أمد عُداتها متصدراً لرُماتها مستهدفاً

مصر التي سقت الجيوش مناقباً ومُنَى لتكفيها المغير الجحفافاً

عرّفت أهلها حقيقة قدرهم وكفاهم من قدرهم أن يعرفوا

ومن المرآئي التي تذكر قصيدة أحمد نسيم — ما بال دمك لا هام ولا جارٍ (١) —

وبمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة مصطفى كامل نرى لشوقي قصيدة تنضح بالوطنية

كقوله يخاطب الفقيد (٢)

لك الحُطْبُ التي غصّ الأعادي بسورها وساعت للنداء

فكانت في مراتها زئيراً وكانت في حلاوتها بغاماً

بك الوطنية اعتدلت وكانت حديثاً من خرافة أو مناماً

بنيت قضية الاوطان فيها وصيرت الجلاء لها دعاماً

وفي هذه القصيدة يستعرض أحوال البلاد السياسية ثم يستطرد إلى البحث فيما تحتاج إليه

من وسائل الإصلاح

ومن أراد أن يعرف شيئاً عن الحركة الأدبية التي أحدثها موت مصطفى كامل فليرجع

إلى الصحف العربية سنة ١٩٠٨. وإلى ما نشر من الشعر في ذلك العهد

وينقل لواء الجهاد الوطني إلى يد سعد زغلول. وفي سعد تجسّمت خواجه الأمة المصرية وأمانيتها بعد الحرب الكبرى. وقد أصبح مثلاً في الجهاد القومي لكل الأمم العربية المجاورة. فها هو يثير مصر مطالباً بالاستقلال، وها هو يُنفى مع رفاقه إلى جزيرة سيشل. ولما أفرج عنهم وعادوا إلى الوطن استقبلهم الشعر العربي استقبال الأبطال وقد اشترك فيه أكثر الأدباء في وادي النيل وفي مقدمتهم شوقي وحافظ والمطران والعقاد والملازني وأضرابهم. وبموت سعد بلغت الحماسة الشعرية أعلى درجاتها. فنظم في مصر، كما نظم في سورية ولبنان والعراق والمهاجر

ما لا يستطاع حصره إلا في مجلّد خاص ، من مراثٍ تصف مناقبه العالية وكفاحه الوطني المجيد . وقد اقيمت له حفلات تذكارية متعددة نذكر منها على سبيل التمثيل تلك التي اقامها العراقيون في بغداد ١٩٢٧ وادباء المهجر البرازيلي في سان بولو سنة ١٩٢٨ وقد اشترك فيهما أبرز الادباء في تلك الاقطار

ولم تمت الحركة الوطنية المصرية بموت سعد بل ظلّ خلفاؤه يناضلون . وقد استطاعوا بثباتهم ان ينالوا حق الاعتراف باستقلال مصر وعقدوا مع بريطانيا معاهدة صداقة فتمّ لهم تنظيم شؤونهم . ولم يلبثوا ان دخلوا عصبة الامم

وقد تخلّل هذا النزاع الطويل الذي رفع لواءه مصطفى كامل وسعد زغلول وغيرها من رجال مصر حوادث شتى كان لها أثرها الخاص في الشعر كحادثة دنشواي ورفع الحماية ، وعلان الملكية ، وثورة ١٩١٩ ، ومسألة الامتيازات الاجنبية ، وغيرها . على ان هذه الحوادث عند التحقيق ليست إلا حلقات من سلسلة المشادة بين الانتداب والاستقلال

« الثورة العراقية » من المعلوم انه لما احتلت بريطانيا العراق نشرت للعراقيين (كما نُشر لسواهم من ابناء العربية) منشوراً تبيين فيه اسباب احتلالها وانها اما تقصد تحرير العرب لا فتح بلادهم . واليك نص هذا المنشور : — (١)

« إن الغاية التي ترحي اليها بريطانيا العظمى وفرنسا من مواصلتها في الشرق تلك الحرب التي انارتها مطامع الالمان هي تحرير الشعوب الراضحة منذ زمن تحت نير الاستبداد التركي تحريراً تاماً وتشديد حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغائب الاهالي الوطنيين الصادرة عن رضام وحسن اختيارهم . وتوصلاً لهذه الغاية قد اتفقت بريطانيا العظمى وفرنسا على تشجيع ومساعدة حكومات وطنية في سوريا والعراق اللتين قد تمّ تحريرها فعلاً على يد الحلفاء وفي البلدان الاخرى التي يسعى الحلفاء لتحريرها والاعتراف بهذه الحكومات عند ما يتم تنظيمها فعلاً . وإن بريطانيا وفرنسا لا يخطر في خلداهما قط ارغام هذه البلدان على قبول نظمات معينة من اي نوع وجل اهتمامهما هو ان تضمننا لهذه البلدان بمساعدتهما الفعالة سير الحكومات والادارات التي يتخذونها عن محض ارادتهم سيراً منتظماً الخ الخ »

فكان من الطبيعي ان يتوقع العراقيون والسوريون وسواهم عهداً استقلاً تاماً . لكن الامور في العراق جرت منذ الاحتلال على غير ما يرام فقد رأى العراقيون سوريا تتمتع حيناً (أيام فيصل) بالاستقلال وبالمالك وهم لا يزالون تحت نير الانتداب . ثم حدثت حوادث زادت من امتعاضهم البريطانيون . فأخذ الوطنيون منهم يتفاوضون ويبحثون سرّاً في موقفهم

واتفق الوجهاء ورجال الدين على طلب الاستقلال وتعيين أمير من انجبال الحسين . وفي سنة ١٩٢٠ دارت بينهم وبين البريطانيين مراسلات أدت الى مؤتمر عام قدم فيه المندوبون العراقيون ثلاثة مطالب رئيسية هي : — (١)

١ — الاسراع في تأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية ليعين مصيرها وشكل ادارتها ونوع علاقتها بالخارج

٢ — منح حرية المطبوعات ليتمكن الشعب من الافصح عن رغائبه وأفكاره

٣ — رفع الحواجز البريدية بين انحاء القطر اولاً وبينه وبين الاقطار المجاورة والممالك الاخرى ثانياً ليتمكن الناس هنا من التفاهم بعضهم مع بعض ومن الاطلاع على سير السياسة الراهنة في العالم

والظاهر ان التفاهم بين السلطة والوطنيين كان متعذراً فعمدت السلطة الى سياسة الارهاق، وقبضت على بعض الزعماء فنفت بعضاً واعتقلت آخرين . لكن هذه السياسة لم تأت الا بعكس المطلوب . فقد أخرجت الوطنيين ولا سيما سكان وادي الفرات حتى افق امامهم الكبير محمد تي الشيرازي بجواز امتشاق الحسام في وجه السلطة دفاعاً عن الحقوق القومية (٢) وهكذا تمت فكرة اعلان الثورة . وقد التى محمد الباقر الشيباني يومئذ خطبة حماسية وانشد قصيدة منها (٣)

بني يعرب لا تأمنوا للعدى مكرا خذوا حذرکم منهم فقد أخذوا الحذرنا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة ويبغون ان حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخذعنكم لينهم وتذكروا اضاليلهم في الهند والكذب في مصرنا
ومن مات دون الحق والحق واضح اذا لم يذل فخرأ فقد ربح العذرا
وفي هذه الثورة يقول الجواهري من قصيدة (٤)

إلام التواني في الحياة وقد قضى على المتواني الموت هذا التنازع
وبعد ان يذكر ان في العراق نهضة يقابلها نهضات في سائر البلدان العربية يقول عن الثائرين
ويوم نهضت فيه الخمول غطارف يصان الحمى فيهم وتحمى المطالع
تشوقهم للعز نهضة ناز حنين ظباء اسلمتها المشارع
لقد عظموا قدراً وبطشاً وانما على قدر اهليها تكون الوقائع
وما ضرهم نبؤ السيوف وعندهم عزائم من قبل السيوف قواطع

(١) نقلاً عن العراق للحسني ص ٩٠

(٢) العراق — ص ١٠٣ (٣) العراق — ص ١٠٧ (٤) ديوانه (١٩٣٥) ص ٤٩

إذا استكرهوا طعم الممات فأبطأوا أتيح لهم ذكر الخلود فسارعوا
ثم بصف الثورة في الكوفة ووادي الفرات واستفزاز الانكليز لهم ، ويعدد مناقب موري
شرارتها الاولى الشيخ الشيرازي . ومن قوله فيه : —
ثور به للموت نفس أيبّة وتأبى سوى عاداتهم الطبايع
يطارحه وقع السيوف اذا مشى كما طارح المشتاق في الايك ساجع
والقصيدة اكثر من ٧٥ بيتاً وكلها على هذا النمط الحماسي . وله قصيدة أخرى في الثورة مطلعها ^(١)
ان كان طال الامد فبعد ذا اليوم غد
ولخيري الهنداوي في الثورة قصيدة طويلة نارية الروح مطلعها ^(٢) — ايها الشرق هل
فقدت الشروقا — ومنها مخاطباً وطنه

أنت أذنبت ام بفوك ام الظلام شاءوا ان يغصبوك الحقوقا
يتبنوا امرهم بلسل وجاهوك جميعاً يتلو فريق فريقا
حاولوا — لا أبأ لهم — ان يكون الشرق كالعبد مستضاماً رقيقا
فنهضنا كالأسد في اوجه القوم لنمجت بهم والفسوقا
ومنا : وبك لا ارتضي الحياة بذل قم فزق إهابها تمزيقا
وأدر لي في الرافدين حمياً الحرب صرفاً وكسر الابريقا
ان موتاً يكون في ساحة العز لموت أجدر به ان يروقا
الى ان يقول —

ليت شعري هل مبصر انا يوماً علم ابن الحسين فيها خفوقا
تلك أمنيّتي فلا عيش الا ان أراها تهتز غصناً وريقا
ومن موقدي الشعور الوطني يومئذ الشيخ مهدي البصير شاعر الحلة وهو من الذين اعتقلوا
وقوا . ومن شعره الثوري المحرك قوله في قصيدته « لييك ايها الوطن » . ومطلعها ^(٣) —
ان ضاق يا وطني علي فضاكا فلتسع بي للامام خطاكا
ومنا بك همت اوبالموت دونك في الوغي روعي فذاك متى اكون فداكا ؟
ثق أنني سأذب دونك باذلاً روعي لارخصها فما اغلاكا
فليسخط الغربي أني ناهض أقصى رجائي ان أنال رضاكا
كذبتك أقطاب السياسة عهدا فلتضمن لك الحياة ظمباكا

(١) راجعها في ديوانه ٢٣٦ (٢) الادب المصري (بطي) ١ — ١٦٦ (٣) — الادب المصري ٢ — ٩٦

أفیطلبون لك الرعاية ضلة ما كان أقصرهم وما احجاكا
لو أنصفوك لحرقوك لأنهم ربحوا قضيتهم بظل لواكا
ومثل هذه العواطف تتجلى في شعر عبد الحسين الازري، ومحمد ابي المحاسن، وعلي الشرقي،
ومحمد الهاشمي، وسواهم. اما الزهاوي والرصافي فلم تر لهما شيئاً من ذلك في ما نشر من شعرهما

اشتعلت الثورة فوق من ضحاياها مئات من الطرفين . ولم تر بريطانيا بدءاً من مصالحها
الثوار . فأصدرت منشوراً بالغزو العام . ثم « شكلت » للعراق حكومة وطنية مؤقتة الى ان يتم
انعقاد مؤتمر عربي عام يعين مصير البلاد وشكل حكومتها
وكان فيصل في اثناء ذلك قد انهار عرشه في دمشق ، فقرر باتفاق الطرفين انتخابه ملكاً
على العراق وصرّف النظر عن عقد المؤتمر العام على ان الشعب استفتي في امر انتخابه فقال ٩٦
بالمئة من الأصوات وهكذا نودي به ملكاً واحتفل بتتويجه في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٢١
وكان لهذا الحادث التاريخي اثر يذكر في الادب العربي فقد اتى فيه من الخطب والقصائد
ما لم يتسع المقام لذكره . واليك اموذجاً منه قصيدة انشدها الزهاوي في حضرة الملك فيصل
على اثر قدومه عاصمة الرشيد^(١) وفيها يقول :-

إنا محبوبك فاسلم ايها الملك	ومصطفوك لعرش شاده الفلك
عرش العراق ضمان للعراق وفي	تأييده الشعب والأحزاب تشترك
الناس من فرح إذ جئت برأسهم	من بعد ما قد بكوا من بأسهم ضحكوا
قد ارتضاك له فاهناً بدولته	الله والناس والتوفيق والملك
هذا السلام يعم الرافدين غداً	فلا دم بعد هذا اليوم ينسفك
جرى ليلحق ناس بابن فاطمة	حتى اذا تعبوا في جريهم بركوا
من هاشم من قريش من ذوائبها	حيث الوشائج والارحام تشبكت
لله يا فيصل ما انت مورثه	للعرب من شرف في شكره اشركوا
في نهضة رجال كنت ترأسهم	حينما لتحرر اوطان بها انسبكوا
عش للرقى فان الشعب اجمعه	مذ هب يفتح عينيه به شدك

ولا ينكر انه بتنصيب فيصل استقرت الحال نوعاً في العراق على ان الاماني القومية لم تنل

وثبة واحدة الى غايتها . فكان موقف العرش حرجاً بين السلطة المنتدبة والقومية العراقية المتوثبة لكن فيصلاً كان رباناً ماهراً فسيّر المركب بين اللجج برفق وحكمة ، واستطاع قبيل موته ان يوقع معاهدة الاستقلال التام وان يدخل العراق في عصبة الامم ولم يخل الشعر العراقي في اثناء ذلك من روح التبرم فبرغم النهضة السياسية في العراق وبرغم ما كان يضيء في العهد الفيصلي من انوار الامل والاستبشار ظل فريق من كبار ادبائه يغلب عليهم الشاؤم فينفثونه شعراً قائم اللون ناقماً سوء الحال . وزعيم هذا الفريق الرصافي كما ترى في قصيدته للربحاني سنة ١٩٢٢ اذ يقول (١) —

أأمن جئت الى العراق لكي ترى ما فيه من غرر العلى وحجوله
عفواً فذاك النجم أصبح آفلاً والقوم محتربون بعد افوله
ومنها : واذا وقفت بدارس من مجده فكوفة الباكين بين طولوله
وانحب كما نحب الحزن مكفكفاً غرب الدموع بجانبي منديله
ومنها : حال لو افكر الحكيم بكنهه طول الزمان لعي من تعديله
من ذا يبده فان قوارعي يثست لعمر الله من تبديله

الى ان يقول : —

من أين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عند جيبانه والمال عند بخيله
والرأي عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله
وتظهر هذه الروح في قصيدته في حفلة الحزب الوطني البغدادي للمستر كراين الاميري (سنة ١٩٢٩) اذ يقول (٢)

واذا تسأل عما هو في بغداد كائن
فهو حكم مشرقى الضرع غربي الملاين
وطني الاسم لكن انكليزي الشناشن
قد ملكنا كل شيء نحن في الظاهر لكن...
نحن في الباطن لا نملك تحريكاً لساكن

ومثل ذلك قصيدته « الحرية في سياسة المستعمرين » (ديوانه ٤٢٦) وغادة الانتداب (٤٢٧) وكيف نحن في العراق (٤٣٥) وحكومة الانتداب (٤٣٧)

هذا الشعر المتبرم الناظم كان شائعاً في الاوساط القومية المتشددة ويقابله شعر وطني مستبشر كان ينظر الى الامور بعين الرجاء مؤمناً بالنهضة الجديدة واثقاً بتقدمها . ومن امثلته ما قبل في العسكر العراقي . والنهضة العربية ، وآمال الشباب والملك العربي والسيادة القومية وما الى ذلك كقول الجواهري من قصيدة في سفر الملك فيصل الى جنيف (١٩٣١) تمهيداً لدخول العراق عصابة الامم ^(١) يفتتحها بوصف مناقب فيصل وحسن سياسته وجميل خدمته للعراق ثم يقول

لا أدعي ان قد اتم نمو
من كان امس بشكل طفل حاب
فلذلك ليست بالبعيد مناها
عن كل شعب طامح وثاب
لكن اقول اريته مستقبلاً
لا بالديم سناً ولا الخلاب
كالشهد اول ما تذوقه فم
ما زال بين لهاه طعم الصاب
فاليوم ها هو ذا بظلك يحتمي
مثل احباء العين بالاهداب

ومثل هذا القول بل واكثر منه استبشاراً واثقاً بالمستقبل يتجلى لك في كثير من الشعر الذي نظم في عهد فيصل وعهد خلفه الملك غازي الأول

﴿ الثورة السورية ﴾ ذكرنا ان دمشق كانت بعد الحرب الكبرى أول عاصمة خارج الحجاز نوادي فيها بالاستقلال العربي . وهاك اول برقية وردت الى بيروت بعد دخول العرب دمشق (وقد نشرت في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ بتوقيع الامير سعيد الجزائري) — « بناء على تسليمت الترك فقد تأسست الحكومة الهاشمية على دعام الشرف طمنوا العموم واعلنوا الحكومة باسم الحكومة العربية »

ومعلوم ان سوريا بعد الحرب عهد ادارتها المستقلة الى الامير فيصل . ثم حدثت حوادث وحزن ومفاوضات سياسية لا مجال لذكرها الآن . وفي خلال ذلك تم لحكومة دمشق تنظيم المؤتمر السوري ممثلاً لجميع الاقطار السورية ومنها فلسطين فأعلن في ٧ اذار (مارس) سنة ١٩٢٠ المناداة بالامير فيصل ملكاً دستورياً على البلاد السورية ^(٢)

على ان ذلك الاستقلال لم يطل عهده . ففي ٢٥ تموز (يوليو) من السنة نفسها دخل الجيش الفرنسي دمشق فاضطراً فيصل الى ترك عرشه وأصبحت سوريا داخلة في منطقة الانتداب . وبذلك أخذت تلك النائرة الملكية التي كان السوريون قد بدأوا يقتبطون بها . فبعد ان كان الشعر العربي في حكام شعر القومية السائدة والوطنية الجذلة والراية العربية الخفاقة اصبح ذكران مؤلمة كقول حلیم دموس من قصيدة في وداع فيصل مطلعها : —

اضاعوه وكان فتى هاماً وبالأوطان صباً مستهما

(أضاعوه واي فتى أضاعوا) أضاعوا القلب واليد والحساما
 فودّع في الدجى تاجاً وعرشاً ومملكتاً وآمالاً جسماً
 هو التاريخ عاد فعُد إليه وصف غرناطة تصف الشأماً
 سلاماً يا أبا الغازي سلاماً بعز على المروءة ان تضاماً
 أطعت عصاة ضلّت فكانت بصدر جهادك الماضي كلاماً
 ولولا ذاك كنت الملك فينا ولكن ابعدوا عنك الكراما
 فسادت في رحاب القصر فوضى فلا رأياً هناك ولا نظاماً

وكقول الغلاييني من قصيدة نظمها في دمشق (٢ ك ١٩٢٠) ومطلعها — وقفت على الاطلال
 اطلال قحطان (١) —

لئن كنتم من قبل في يد غاصب ضعيف القوى من خرة الجبل نشوان (٢)
 فانكم ذا اليوم نهب مقسم بأيدٍ شداد شرّها منكم دان
 وقدمت وسيف القوم يرهف حده وما غمده الا طلي آل عدنان
 وله كثير مثل ذلك

وكذلك خير الدين الزركلي كقوله من قصيدة سنة ١٩٢٢ وهو في عمان (٣)

أبكي دياراً خلقت للجمال
 أبهى مثال
 أبكي تراث العز والعزّ غال
 صعب المثال
 أبكي نفوساً قعدت بالرجال
 عن النضال
 أبكي جلال الملك كيف استحال
 الى خيال

وله قصيدة سماها الفاجعة (٤) نظمها على اثر واقعة ميسلون ودخول الجيش الفرنسي الشام
 ومطلعها —

الله للحدثان كيف يكيد برّدى بغيض وقاسيون يميّد

ومنها ما في دمشق لناهض من عزّة وبها سرادق غاصب ممدود
بلد تبوأه الشقاء فكلاً قدم استقام له به تجديد

وبعد ان يصف الجيش وانخزال السوريين لتنافر زعمائهم يقول —
خدعوك يا أمّ الحضارة فارمت تجني عليك فيالق وجنود
من ذا يكفكف أدمعاً مهراقة كالغيث تهطل حسرة ومجود
تسقى بها في الغوطتين مباسم ذهب النواح بامها، وخدود

ولو راجعنا ما نظمته كبار شعراء سوريا بعد سقوط العرش الفيصلي، تحليل مردم وفارس
الخوري وشفيق جبري، ومحمد البزم وفؤاد الخطيب ومحمد الشريفي وبدر الدين حامد واضراهم
وما نظمته زملاؤهم في سائر الاقطار العربية والمهاجر لوجدنا عليه مسحة من الألم تشف عن
أسفهم على ماضع من امانى وتبدد من احلام

في خلال ذلك كانت العراق (كما مر معنا) تتقد بالثورة ومصر تتجاهد تحت لواء سعد. وقد
رأى السوريون نتائج الثورة العراقية والجهاد المصري، فكان ذلك دافعاً لهم الى تنظيم الكلمة
ومناوأة الانتداب

ولم تلبث هذه المناوأة ان انجالت عن ثورة ١٩٢٥

ولسنا نبحث الآن عن الاسباب البعيدة او المباشرة لهذه الثورة فذلك عمل مؤرخها، على
أنا نقرر هنا انها كانت خطوة كبرى في سبيل الهدف المنشود. فقد انتهت بتنظيم الكتلة الوطنية.
ثم باعلان الجمهورية (سنة ١٩٣٢) وبالاتفاق مبدئياً على معاهدة شبيهة بمعاهدة العراق
وقد نظم في الثورة السورية والحركة الوطنية شعر كثير اشتركت فيه جميع الاقطار العربية.
فن مصر مثلاً شوقي وحافظ، ومن العراق الرصافي والجواهري، ومن المهاجر السورية اللبنانية
الشاعر القروي، والياس فرحات، والدكتور جورج صوايا، والياس قنصل، وابو الفضل الوليد
ومن لبنان وفلسطين مصطفى الغلاييني وعلي الحوماني وابراهيم طوقان وفقى الجليل وسوام
فاذا أضفت هذه الاسماء الى أسماء شعراء سوريا الذين مر ذكرهم والى أسماء كثيرين في الحاء
البلاد العربية ممن لم يذكروا استطعت ان تقدر ما كان لهذه الثورة من الاثر في الشعر العربي
واننا نشير هنا اشارة خاصة الى دواوين الغلاييني، والحوماني، والشاعر القروي، والياس
قنصل وبدر الدين حامد لما يتأجج فيها من نيران تلك الثورة وما تحمله الى الاقطار العربية
من حرارتها المتقدة

﴿ الجامعة العربية والروح الاقليمية ﴾ رأينا من الفصول السابقة ان الدعوة للعربية لم تكن قبل الدستور العثماني منظمة او ذات هدف معين بل كانت عاطفة قومية تظهر من حين الى آخر في الادب العربي بمظهر التذكير بالماضي والاهابة بانباء الشرق العربي الى التقدم في سبيل العلي . فلما دخل العرب العهد الدستوري واصبحوا يرون بحلأه ما لهم وما عليهم اخذتهم الغيرة القومية فبدأوا يلهجون بها ، وشعروا ان العنصر السائد في السلطنة يقاومها فازدادوا تعلقاً بها ، ولم يلبثوا ان نظموا الجمعيات والهيئات السياسية ، فانتشرت بينهم دعوة قومية ترمي الى استقلال الاقطار العربية استقلالاً ادارياً

وفي الحرب الكبرى اعلنت الثورة الحجازية باسم العرب والملك العربي ولما وضعت الحرب اوزارها انتشرت الدعوة للجامعة العربية تحت لواء الهاشميين انتشار النار في الهشيم ، وكانت ترمي الى احياء مجد العرب بتنظيم دولة كاللولة الاموية في الشام تضم الاقطار السورية والعراقية والحجازية ثم تتدرج الى سواها

حلم جميل استعذبه السواد الاعظم من سكان تلك الاقطار ، وقد كان مصدر الهام لكثير من الشعر القومي والخطب الحماسية . ولن ننسى يوم نُشر العلم العربي في بيروت وقد استولى فيه على الناس شعور غريب لا عهد لهم به من قبل شعور الكرامة القومية الحرة . وكان الاحتفال في دار الحكومة . وهاك بعض ما قاله الخطيب « الرسمي » مخاطباً الشعب العربي ^(١) —

« ان هذه الراية التي تنشر اليوم هي شعار استقلالك وستكون خافقة فوق رأسك ما خفق فؤادك لها ، فان بقاءها هو اليوم في يديك . فان احببت لها البقاء فاستمت في حبها واعمل على اعلانها بين الامم . ان البلاد العربية اليوم هي بمثابة كتلة وطنية واحدة خاضعة لحكم شريف مكة واميرها وملك البلاد العربية جلالة مولانا المفدى حسين الاول . واننا لا ننسى ابداً خلفائنا ونخص منهم دولة انكلترا العظمى المساعدة العظيمة التي قاموا بها نحونا لحصولنا على هذه النعمة الكبرى »

وقد اقيمت المهرجانات لرفعه في الشام وسائر المدن السورية . ولم يشكك احد بومئذ في ان الملك العربي اصبح امراً واقعاً وان اتصاف الحلفاء على الاتراك كان الحجر الاساسي في توطيده ودارت الايام فاذا بالانتداب يفرض على البلدان العربية . واذا بالحكومات العربية الاقليمية تحل محل الدولة المتحدة ، واذا في الادب العربي فكرتان تتصارعان فكرة الوحدة وفكرة الاقليم ، الجامعة العربية والروح الاقليمية : —

اما الاولى فكانت ولا تزال رسالة الشعر العربي منذ عهد الدستور (١٩٠٨) . وقد رأينا

كيف برزت بعد الثورة ، وعبثاً حاول دعاة التقسيم امانتها . فهي عند السواد الاعظم من عرب الشرق الادنى رسالة المجد والتاريخ . وقد ساعد على احيائها في الادب بضع حوادث هامة — منها المشكلة الفلسطينية ، وموت الحسين . وموت فيصل ، وتقدم الروح القومية في العراق وسوريا ، واتجاه مصر نحو الاخاء العربي

فالعرب عموماً يعدون مسألة فلسطين مسألة عربية عامة ولذا ترى الشعر العربي في كل قطر يعطف عليها كقول مهدي الجواهري (النجف) من قصيدة موضوعها فلسطين الدامية ^(١) —
فيا فلسطين ان نعدمك زاهرة فلست أول حق غيلة هُضمنا
سور من الوحدة العصماء راعهم فاستحدثوا ثغرة جوفاء فانتلها
نار الشباب ومن مثل الشباب اذا ربيع الحلى وشواظ الغيرة احتدما
يأبى دم عربي في عروقهم ان يصبح العربي الحر مهتما
وقول بشاره الخوري (بيروت) من قصيدة موضوعها جهاد الجبارة ^(٢) —

يا جهاداً صفق المجد له لبس الفار عليه الأرجوانا
شرف باهت فلسطين به وبناء للعالي لايداني
إن جرحاً سال من جبهتها لثمة بخشوع شفتانا
والشاعر القروي (البرازيل) في اعاصيره من قصيدة موضوعها « وعد بلفور » —
الحق منك ومن وعودك اكبر فاحسب حساب الحق يا متعجب
تعد الوعود وتقتضي انجازها مهج العباد خسئت يا مستعمر
لو كنت من أهل المكارم لم تكن من جيب غيرك محسناً يابفر
عد من تشاء بما تشاء قائما دعواك خاسرة ووعدك اخسر
فلقد تفوز ونحن اضعف امة وتؤوب مغلوباً وأنت الاقدر

ولعل شعر ابراهيم طوقان (نابلس) اصدق مرآة لحال فلسطين السياسية والاقتصادية ولولا حرج الحال لا ثبتنا هنا كثيراً من نقائمه الوطنية المستمدة من شقاء فلسطين وسوء احوالها . وهي منشورة في مختلف الصحف السيارة كالبرق وفلسطين والدفاع والمعرض والجامعة الاسلامية وسواها

اما الحسين ملك الحجاز ففي نقله الى قبرص ، ثم مبايعته بالخلافة في عمان ، ثم موته في تلك المدينة عبر أثارت الشعر العربي وأذكت فيه روح الرسالة القومية واننا نكتفي هنا بالاشارة

الى بعض القصائد التي قيلت فيه وهي قلّ من كثر ، بل وشل من بحر
فلشوقي مرثاته : —

لك في الارض والسماء مآتم قام فيها ابو الملائك هاشم
ولقؤاد الخطيب : —

هي المواكب فاشهد كيف تبندر كالسيل مصطخب التيار ينحدر
اوقت تودع جثمان الذي نُعيت الى الجزيرة في اكفانه مضر
ولشفيق جبري : —

تلكم قریش وما جفت عوايلها على الحطيم ولم تنشف مواضيلها
من ذاكر في ظلال البيت ثورها والعهد غير بعيد عن لياليها
ولابراهيم طوقان — ذكرى ثورة الحسين : —

اطلعي ذاك العيارا قدك ضياءً واصطبارا
يُطلب العز ابتدارا يدرك المجد اقتسارا
ولبدر الدين حامد — في خلافته

تاج مجد الخلافة انتظما فوق رأس الخليفة العربي
كم لبثنا السنين في وجل وذرقنا مدامع الحرب
وله في منقاه الى قبرص : —

اسرفت فيما جثمته يازمان فما لعهد منك يوماً امان
وللجواهري في ذلك : —

هي الحياة باحلاء وامرار تمضي شعاعاً كزند القادح الواري
وله مرجعاً بالحسين الى العراق : —

أرى الشعب في اشواقه كالمعلق لما حدثوماً عنك يرجو ويتقي
وشبهه بما قيل في الحسين ما قيل في ابنه الملك علي فقد نظمت فيه مرثا وطنية تشف عن
شعور العرب في مختلف الامصار نذكر منها هنا قصيدة شبلي ملاط : —

أمن جرح على جرح دمي الأم يصاب بيت الهاشمي
فما كاد الحسين يغيب حتى نهوت شهب فيصل والعلي

وأما فيصل فان موته كان عند أدباء العرب الفجعية الكبرى وقد أقيمت له مآتم في مختلف
الانظار العربية وفي المهاجر . ولو جمع ما نظم في أعماله وفي تعداد مناقبه للملاّت مجلداً ضخماً فهو
عند الجميع بطل العروبة وحامل لوائها . واليك على سبيل التمثيل بعض ما وصلنا من المراثي فيه : —

لجميل الزهاوي — فجع المشرقين خطبٌ جليلٌ
 لأمين الريحاني — حلق النسر في الفضاء بعيداً — (وهي قطعة من الشعر المنشور)
 لبشاره الخوري — لبست بعدك السواد العواصم
 لمحمد البزم — رُم عظمًا إذا أردت خلوداً
 للدكتور أبي شادي — : هكذا هكذا شعوب تسيتم
 لعلي محمود طه — تألق كالبرقة الخاطفة
 للشاعر القروي — أقص التجلد ان العقل منهزم
 لوديع البستاني — قر — وبنت الفجر — والثقلان
 لحليم دموس — هوى من سما عليائه بعد ان سما
 لابراهيم طوقان — شيعي الليل وقوي استقبلي
 لصلاح البايدي —

كفكف دموعك وأعد شجوا الماتم
 لصلاح الرفاعي — علم العروبة غار في العلياء
 لعبد المسيح محفوظ : — عبقرى الملوك أي فؤاد
 هذا فضلاً عن كثير من الاناشيد الشجيرة وكمثال لها ثبتت بعض فقرات من نشيد الكشاف
 المسلم في صيدا : — دافعت بالصدق عن حرمة الحق
 والناس قد كانت في الغرب والشرق

تراك يا فيصل

تراك يا فيصل

البأس قد أبلى في الناس واستولى

في رجة الوادي عروبة ثكلى

تفديك يا فيصل

تفديك يا فيصل

﴿ الاقليمية والقومية العربية ﴾ يظهر ان اشتداد الاقليمية مقرونٌ باشتداد السلطة الانتدائية
 في العراق وفي سوريا ولبنان وفلسطين نشأت هذه الفكرة كما رأينا بعد استقرار الانتداب،
 وهي ترمي الى فصل الاقطار العربية بعضها عن بعض روحياً ومادياً وتطويق كل منها بجواز
 اقتصادية وسياسية تجعل اتصالها بسائر الاقطار العربية أمراً متعذراً أو شاقاً

وللاوصول الى هذه الغاية اخذوا يبنون نظام التربية الوطنية والادارة الملكية والعسكرية على اساس الوحدة الاقليمية لا على اساس الجامعة القومية العربية . فالسورية مثلاً والبنانية والفلسطينية والعراقية والمصرية والحجازية واليمنية وحدات مستقلة لا ترتبط بعضها ببعض الا كما ترتبط الصين بالهند او ايران وتركيا ، اللهم الا ما كان منها تحت انتداب واحد او ما كان منها مرتبطاً بمعاهدة خاصة فقد تظهر النزعة الاقليمية فيه في اخف الوانها

على ان ما نالته مصر والعراق من السيادة الملكية ، وما يملأ صدور السوريين من آمال بالاستقلال قد انشأ من كل من هذه الاقطار شخصية مستقلة . شخصية تستطيع ان تفكر بما لها وما عليها بحاضرها ومستقبلها ولذلك تراها تقترب من فكرة التضامن القومي

وقد رأينا ان الادب المصري الصميم كان من قبل نفوراً من فكرة الجامعة العربية . ولكنه أخذ الآن يجاري الادب العراقي والسوري . بل اخذ ساسة مصر اليوم ينظرون بعين العطف الى ما كانت اسلافهم قبل عشرين سنة يرمقونه شزراً . وها نحن نرى شيوخ الامة المصرية ونوابها يتحركون لنصرة فلسطين ويدعون الى عقد مؤتمر برلماني عربي (يمثل جميع الاقطار العربية) للبحث في هذه المسألة (١)

ولا ينكر ان السياسة لا تزال في جانب الاقليمية وربما ظلت كذلك أحقاباً طويلة . اما شعور الامم العربية فانه يتسجه ببطء وبثبات نحو التآخي العام . وقد كان الشعر العربي ولا يزال افضل وسيلة لائماء هذا الشعور وتقويته . الشعر العربي اليوم سواء كان في مصر او العراق او الاقطار السورية أميل الى مصارعة الاقليمية فلا غرابة ان نرى لبنانياً في حفلة اقيمت له ببغداد (١٩٢٤) يقول من قصيدة مطلعها (٢)

غريب قد طوى الفلوات سعياً الى هذي الربوع السندسية

سلاماً نهر بغداد فاني احبي في حماك الاريحيه
احبي فيك عن قومي اخاء فسوريا شقيقتك الوفيه
إخاء بين اهل الضاد يحبي امانى في نفوسهم الفقيه
ألا ان الزمان لقد دهاهم بما تهوى النفوس الاشعبيه
وفرّق شملهم حتى كان السخاذل بينهم امسى مزيه

(١) راجع تفصيل ذلك في صوت الاحرار ٢ تموز ١٩٣٨ (وما بعده)

(٢) للكاتب راجعها في مجلة الطلبة (بيروت) حزيران ١٩٢٤

وهل هم غير اخوان فيحفظوا ويشقوا في مساعهم سويه
لنا بلساننا وطن كـريم وفي تاريخه صلة قويه
وان نرى شاعراً مصرياً كبيراً كاحمد محرم ينادي الامة العربية بقوله من قصيدة مطلعها^(١)
حيّ المنازل واسأل امة العرب ما بال سهمك لم يظفر ولم يصب
بني العروبة هذا صوت شاعركم يرمي به عربي الدار والنسب
يطوي البلاد اليكم لا يغالبه تخنان مرتحل او شوق مغترب
انا الذي ان شكوتم وقع نائبة نظرت حولي هل تهوي البسيطة بي
أعزز علي بما تلقون من عنتم وما تذوقون من همٍّ ومن نصب

ولا يمنع ذلك تغزل اللبناني بلبنان والمصري بمصر والعراقي بالعراق ولكن يمنع هذا التنافر
الاقليمي الذي ليس فيه الا الضرر الجسيم على الشرق العربي . والذي يلوح لنا من تحليل
العواطف الشعبية في مختلف البيئات العربية ان العراق وسوريا وفلسطين في مقدمة الداعين الى
تعزيز القومية العربية العامة . أما في لبنان ومصر فلا يزال الصراع الروحي قائماً بين الفكرتين وقد
بدأت الاقليمية تتراجع قليلاً الى الوراء . وانما هذا التراجع لما طرأ على فكرة الوحدة العربية
من تطور في هذه الحقبة الاخيرة

فعظم الداعين الى الوحدة الآن لا يؤمنون بما كان يؤمن به الدعاة الاول من توحيد الاقطار
العربية في مملكة واحدة . ذلك أمر يرونه بعيد المنال . وانما هم يدعون الى تعاون عام ، الى تحالف
اخوي يشد أزر كل اقليم ولا يمس استقلاله التام . فصر في رسالة الشعر العربي الحديث سبق
مصر وكذلك العراق وسوريا وسواها . وستصير كل منها في طريق الحياة مستقلة عن الاخرى
ولكنها ستمد الى جارها يد الاخاء فهدم من بين هذه الاقطار الحواجز الاقتصادية والسياسية
بحيث يشعر كل عربي اللسان أن كل بلاد عربية هي بلاده وانه اذا اصاب اي قطر عربي جف
فعلى سائر الاقطار ان تهب لمساعدته

ان افراد الاسرة الواحدة قد يستقلون بعضهم عن بعض استقلالاً ادارياً واقتصادياً ولكن
بينهم رابطة لا تزول هي رابطة الاسرة التي تجعل منهم اخوة مهما تكن اختلافاتهم في الحياة
حتى اذا أملت بهم ملامة كانوا بدأً واحدة فلا يتسنى لغريب ان يستعبدهم او يستذلهم
تلك هي رسالة الشعر اليوم فهل يحققها الزمان أو يمزقها ثم يحمل الى الاقطار رسالة بغير
هذا العنوان ؟

جَدِّيقَةُ الْمُقْتَطِفِ

بَاقَةُ أَشْعَارِ

ابنِهَا

—

الْقُبُورِ

—

أَفْرَاحِهَا

—

عَلَى صَفَةِ الْمَاءِ

—

إِذَا اسْتَطَعَتْ

لِلشَّاعِرِ الْفَرَنْسِيِّ سُولِي بَرودوم

[تَقْلَاهَا خَلِيلُ هِنْدَاوِي]

باقه اشعار

للشاعر الفرنسي سوللي برودوم

[نقلها خليل هندراوي]

ابن هال

آه لو تعلمين كيف أبكي ووحشتي !
إذا لخطرت مرة نجاه منزلي

آه لو تدرين ما عسى تولده نظرة بريئة في النفس الحزينة !
إذا لتطلعت علي صدفة الى نافذتي

آه لو تعرفين أي طيب يحمله الى الفؤاد وجود فؤاد !
إذا لجلست علي بابي كشقيقة .

آه لو تدرकिन أنني أحبك ، أو تعلمين كيف حيي !
إذا لدخلت علي ببساطة وسلام .

القيود

أردت أن أحب كل شيء
وإنني لشقي لأنني عدت أسباب شقائي .
إن قيوداً لا تحصى عدداً ، قيوداً واهية شقية في العالم الكامل ،
تذهب من نفسي الى الاشياء .

كل شيء يجذبني اليه في خطرة واحدة ، بجاذبية متعادلة .
الحقيقي يجذبني بلعاته ، والمجهول بأستاره
ولعة ذهبية مرتعشة تربط قلبي بالشمس
وخيوط طويلة ناعمة تجمعها بالنجوم .

الايقاع يقيدني باللحن الجميل
ورقة الخمل بالورود التي أمسها
وببسة أضع قيد عيني ،
وبقبلة أنصب قيد في .

حياتي متعلقة بهذه العقد الواهية
وأنا أسير ألوف من السكائنات التي أحباها
وبأضعف رجفة تثيرها نفخة فيها
أحس ان قليلاً مني ينفصل عني . . .

أفراح هائمة

يدرك الانسان دائماً اسباب شقائه
ولكنه يفتش أحياناً عن أسباب سروره
واني لا تيقظ حيناً ساطع النفس
يؤثر فيها رقة غريبة لا أستطيع امساكها

سواء وردية تسطع على وجودي ومنزلي
فأحب كل الوجود ، ودون ان أدري لماذا ؟ اراني أشع !
لكن هذا لا يدوم إلا ساعة ، ثم أحس تسرب الظلمات الى نفسي

من أين تقبل انوار هذا الفرح الفجائية ؟
وهذه الفرايس المتفتحة التي لا تُرى إلا استشفافاً .
وهذه الكواكب المجهولة في ليل الاعوام ،
التي تجري تاركة أعماق الفؤاد أشد سواداً ؟

هل نيسان قديم يضيء لونه
وربيع يولد من رماد الأيام ؟
كنار خامدة تطرح لمعة . . .
ام هو التفاؤل السعيد لا أيام الحب المقبلة ؟

لا . ان هذا الأثر الخفي السريع
ليس له ذكرى ولا شعور به
قد يمكن ان يكون سعادة هائلة تسافر ،
وهي — ضالة الفؤاد — ولا تضيء علينا الا لحظة . . .

على ضفة الماء

جلسا على ضفة موجة جارية	، ينظرانها تجري
اذا سرت سحابة في الفضاء	، يبصرانها تسري
واذا سطع دخان خلل السقوف	، يرمقان الدخان
واذا عبق حولها أريج من زهرة	، ملأ نفسيهما بالأريج
واذا فتنهما ثمرة يأكل منها النحل	، اكلا منها
واذا غرد عصفور في الغابة المصغية اليه	، أنصتا لتغريده
واذا هدر الماء حيث يهدر تحت الصفصافة	، سمعا هديره
وهما لا يحسان — ما دام هذا الحلم —	، بدوام الزمان
ولا يحملان من الهوى العميق	، الا عبادة متبادلة
دون ان يتبرما بخصومات الوجود	، لانهما يجهلانها
وهما وحدهما سعيدان تجاه كل ما يحمل السأم	، دون أن يسأما
ويشعران بالحب ازاء كل ما يمشي	، دون أن يمشيا

إذا استطعت

آه لو استطيع الرواح اليه لا قول له :
 « انها لك . وانها لم تمنحني شيئاً ، حتى ولا صداقة .
 ليس عندي منها شيء لهذه الناكثة ...
 لكنها صفراء شاحبة ...
 كن مشفقاً عليها ، رؤوفاً بها .

أصغ اليّ دون ماغيرة
 لأن جناح هواها لم يستطع شيئاً — ووالهفاء — الا أن يمسيني خفيفاً
 وانني أدري كيف تدفع يدها !
 ولكن ما أرق نفسها على من تهوى !
 لا تركها تبكي أبداً ...

آه لو استطعت الغدو اليه لا قول له .
 « انها كثيفة ، متأنية الالبتسام ،
 أعطها ازاهير كل يوم .
 وليكن الزهر الاثرق اكثر من الورود .
 لان أعطية الاشياء الحقيمة تؤدي الحب .

أستطيع ان أحيا بالفكرة التي هي عزيزة
 يملكها — لا أنا — ولكن قلبي .
 أيتها الطفلة اللثيمة التي هجرتني أنظري الالم الذي أورثتنيه .
 لا أقدر على شيء يعطيك السعادة ...

يبدأ المقتطف في الشهر القادم في نشر سلسلة من المقالات موضوعها « الحركة
 الادبية في سوريا ولبنان » بقلم الكاتب والشاعر اللبناني الياس ابي شبكة

سَيْرُ الزَّمَانِ إِلَى

الشُّرُونِ الدَّوْلِيَّةِ

في سنة ١٩٣٨

موادَّ فبراير

استقالة إيريه واتفاق روما

الانكلوسى

اضطراب الوزارات الفرنسية

الطريق إلى مونيخ ومنها

من وستن إلى ليجا

الحرباء في أسبانيا والصين

جنونه التسليح

أقطاب الرجال

الشؤون الدولية

في سنة ١٩٣٨

توطئة

انتهت سنة ١٩٣٧ وأهلت سنة ١٩٣٨ وليس في أفق السياسة الدولية غيوم تبعث على الفلق والجزع الا غيمة الحرب الاهلية الاسبانية. وكان الامل معقوداً حينئذٍ بإمكان الاتفاق على تنفيذ مشروع عدم التدخل بسحب المتطوعين الاجانب من اسبانيا ، على ان يلي ذلك توسط زيل اسبانيا من حلبة السياسة الدولية كباعث من بواعث الاضطراب. الا ان الكتاب السياسيين الذين ظنوا هذا الظن ما كان في وسعهم أن يتصوروا ما سوف يجيء به السنة الجديدة من الحوادث الجسام ، التي غيرت من الخارطة الاوربية وبدلت من أوضاعها السياسية ، واقتربت بدول اوربا الكبرى من شفير حرب عامة . فسمت ١٩٣٨ تتصف بأنها كانت أقم سنة مرت بالعالم بعد انتهاء الحرب الكبرى ، ولولا مقت الشعوب الصادق للحرب وويلاتها ، وبقيّة حكمة وتساهل في رؤوس بعض الاقطاب لكانت الآن نعاي من هذه الولايات ، ما لا يتصوره خيال

حوادث فبراير

لعل شهر فبراير من سنة ١٩٣٨ كان أهم شهر في السنة الماضية ما عدا شهر سبتمبر، من ناحية الحوادث التي حدثت فيهما . بل لعل الحوادث الخطيرة التي حدثت في سبتمبر وكادت ترج العالم في حرب طاحنة ، تزد الى الحوادث التي حدثت في شهر فبراير كانت عادة اهر هتلر ان يدعو الرخستاج في يوم ٣٠ يناير من كل سنة — وهو عيد نقله منصب المستشار وكان ذلك في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ — فيلقي عليه خطبة يلخص فيها اعماله واحوال المانيا في عهد النظام الوطني الاشتراكي ، ثم يلحج أو يصرح ببعض ما ينويه في المستقبل . ولكن انقضى ٣٠ يناير من سنة ١٩٣٨ والرخستاج لم يجتمع لسماع الخطبة التي جرت بها التقاليد ، فأخذ الناس يسألون عما يدور في طي الحقاء في المانيا ، ولكنهم لم يلبثوا بضعة أيام حتى انكشف الغطاء اذ أعلن في يوم ٤ فبراير ان المارشال فون بلومبرج ، وزير الحرية ، والجنرال فون فرتش قائد الجيش قد استقالا وان سبعة من قواد الجيش وستة من قواد سلاح الجو قد أحيوا على الماعاش : وعين الجنرال فون براوشتش قائداً للجيش ونقله اهر هتلر نفسه القيادة العليا للقوات المسلحة وعين الجنرال فون كايتل رئيساً لاركان حربه

ولم يقتصر عمل « التطهير » على ضبط الجيش بل امتدت يد النقل والتبديل الى وزارة الخارجية ، فنقل البارون فون نويراث وزير الخارجية رئيساً لمجلس سري يستشير هتler في الشؤون الدبلوماسية وعين هتler فون رينتروب سفير المانيا في لندن وزيراً للخارجية واجري تبديل في مناصب السفراء والوزراء المفوضين

فكانت هذه الحوادث ايداناً بتفوق العنصر المتطرف في مجالس الحزب الوطني الاشتراكي على العنصر المعتدل واسارة الى ما قد يحدث في المستقبل القريب . وفعلاً لم ينقض اسبوع على هذا الحادث حتى دعي الدكتور شوشنج مستشار النمسا الى برخستجادن حيث أبلغه هتler — وكان يحيط به اقطاب الحزب والجيش — ان النمسا تتصرف تصرفاً لا يليق بدولة جرمانية او هو تصرف مناقض لاتفاق ١١ يوليو ١٩٣٦ وأملى عليه وجوب تعديل وزارته بحيث يدخلها هتler تسابيس انكوارت النازي النمساوي وزيراً للداخلية . وقد حاول الدكتور شوشنج في هذا الاجتماع أن يؤيد موقف حكومته والدفاع عن استقلال النمسا بآراء مشروع لاختذ النمسا بالعنف قيل انه وجد في مقر الحزب النازي النمساوي ، ولكن الغضب البادي في حملة هتler عليه ، ومظاهر القوة ممثلة في اقطاب الجيش أقنعه بالخطر الذي يواجهه فخرج من برخستجادن ، عائداً الى فينا وهو مغلوب على أمره

وأعلن في المانيا ، ان الخطبة التي كان ينتظر ان يلقيها هتler يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٨ سيلقيها في ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٨ وما كاد مساء عشرين فبراير المذكور ينتهي حتى كانت الخطبة قد أُلقيت ، ولكن اسلاك العالم البرقية كانت مشغولة حينئذ بنباء حججها ، نعي نبأ استقالة المسز انطوني ايدن من وزارة الخارجية البريطانية

استقالة ايدن واتفاق روما

كان الخلاف بين المستر ايدن والمستر تشمبرلين قد بلغ أشده في ذلك اليوم على موضوع التفاهم مع ايطاليا . فإيدن من اولئك الساسة المثاليين الذين أملت عليهم معرفتهم بوقائع الحالة الدولية ان يقف موقفاً حازماً ، من مطامع البلدان الدكتاتورية ، والوعود التي تقطعها ثم تنتكرها . والمستر تشمبرلين من اولئك الساسة العمليين ، الذين يعتبرون الاعمال السياسية كالأعمال التجارية التي ترعرع في احضانها . فالاول لا يريد أن يتفق مع ايطاليا الا اذا أقامت الدليل القوي على حسن نيتها بتصفية المسألة الاسبانية ، والثاني يعتقد ان التفاهم معها مستطاع بقليل من حسن النية . وتعذر على المستر ايدن ان يقتنع بموقف رئيسه ، فاستقال فهزت استقالته الوزارة البريطانية ، ولكن ما لبثت الحالة الداخلية في بريطانيا حتى استعادت استقرارها وعين لورد هاليفاكس - نائب الملك سابقاً في الهند - وزيراً للخارجية محل المستر ايدن

ومن ثم أقبل المستر تشمبرلين على بذل السعي للتفاهم مع إيطاليا (٢١ فبراير)، وعهد باجراء المفاوضات الى لورد بيرث سفير بريطانيا في روما، فاقصل بالكونت تشانو وزير خارجية إيطاليا لهذا الغرض مدى شهرين تقريباً. فلما حدث حادث ضم النمسا الى الريدخ الثالث في أواسط مارس — وسبجي، ذكره فيما يلي — كان لهذا الحادث صدى كبير في نفوس الإيطاليين، فاستعجلت المفاوضات الدائرة بين بيرث وتشانو حتى انتهت الى اتفاق روما المشهور الذي وقع في روما يوم ١٦ ابريل قبيل أحد الفصح المجيد،

وقد انطوى هذا الاتفاق على بروتوكول وثمانية ذيول واتفاق حسن جوار تشترك فيه مصر ورسائل عدة تبادلها الكونت تشانو ولورد بيرث ووزير مصر المفوض في روما. أما البروتوكول فقد أكدت فيه رغبة الدولتين في وضع العلاقة بينهما على أساس دائم يعزز قضية السلام وانه متى وضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ تجري مفاوضات لوضع اتفاقات خاصة بحدود السودان وكينيا والصومال البريطاني من ناحية وشرق افريقية الايطالي من ناحية أخرى. أما الذيل فأحدها أكد الاتفاق الانكليزي الايطالي الذي وقع في روما في ٢ يناير ١٩٣٧ خاصاً بالبحر المتوسط وبالحفاظة على الحالة الراهنة فيه ونفى نية إيطاليا أن تبدل من موقف اسبانيا وممتلكاتها، ونص آخر على تبادل المعلومات الخاصة بالاعمال الادارية وتبديل توزيع القوات البحرية والجوية والبرية في الاراضي الواقعة على سواحل البحر المتوسط والبحر الاحمر وخليج عدن وغيرها اجتناباً لسوء الظن، وفي ذيل آخر تعهدت الدولتان باحترام وحدة واستقلال المملكة السعودية العربية والبن واتفقتا على أنه من مصلحتهما ألا تتدخل دولة ثالثة هناك. وطال الرابع موضوع الدعاية في الشرق الادنى وخامس موضوع بحيرة تانا وفي السابع والثامن تعهدت إيطاليا بالألا تجند من الاحباش الا ما يلزمها لاعمال البوليس والدفاع المحلي

أما في المذكرات التي تبودلت فقد تعهدت إيطاليا بنقص قواتها في لوبيا بمعدل الف في الاسبوع حتى تصبح قواتها هناك في منزلة القوات المألوفة لإبسان السلام. وتعهدت بريطانيا بأن تبذل المساعي اللازمة في مجلس العصبة للاعتراف بالسيادة الايطالية أو لازالة العراقيل التي تحول دون الاعتراف بالسيادة الايطالية في الحبشة. واشترطت بريطانيا ألا ينفذ الاتفاق الا بعد تسوية المسألة الاسبانية، ولكن لم يعين معنى «التسوية» وكيف تكون

وعلى هذا وقع اتفاق روما في ١٦ ابريل، وبدأ المنتعبي السياسة البريطانية ان تشمبرلين لمح حيث اخفق ايدن مع ان كثيرين ظلوا يعتقدون، ان اسبانيا — وهي المحك لحسن نية إيطاليا — ستواظ انباع تشمبرلين الى خطائهم وتنبههم الى حقيقة الحال، وفعلاً ظلوا على رأيهم هذا، حتى ١٧ نوفمبر عندما اقترح المستر تشمبرلين تنفيذ الاتفاق. فانهم اعترضوا عليه، بأن سحب

عشرة آلاف من المشاة الايطاليين من اسبانيا ، لا يمكن ان يعتبره عاقل حلاً او تسوية للسألة الاسبانية وما تنطوي عليه في حالتها الحاضرة من المخاطر الاستراتيجية لا نكلترا وفرنسا . الا ان المستر تشمبرلين فاز على منقديه في مجلس النواب ، فأقر اقتراح ابرام الاتفاق وتنفيذه ، لان الحزب المحافظ كان من ورائه يشد أزره

وبعد توقيع الاتفاق في ابريل ، عقد مجلس العصبة اجتماعه الدوري في مايو ، وحضره لورد هاليفاكس واقترح فيه ان يُحَلَّ أعضاء العصبة من القرار السابق الذي مداره « عدم الاعتراف » بأي تبديل جغرافي يتم بالقوة ، فقبل الاقتراح ، وكذلك حلت بريطانيا وفرنسا من قيد « عدم الاعتراف » ، وفي نوفمبر أرسلت الاولى اوراق اعتماد جديدة الى سفيرها في روما موجهة الى « الملك والامبراطور » فكان ذلك ايذاناً بالاعتراف الموعود ، وجارتها فرنسا فمكنت الميسو فرنسوى بونسيه سفيرها سابقاً في برلين سفيراً في روما وارسلته بأوراق اعتماد موجهة الى الملك والامبراطور كذلك ، بعد ان ظلت سفارتها في روما نحو سنتين لا يشغلها الا موظف من درجة قائم بأعمال

النشأوس

عودة يسيرة الى الوراء . فقد قلنا في ما تقدم ان الهر هتلر أنذر الدكتور شوشنج بوجوب تعيين الهر تسايس انكوارت وزيراً للداخلية فعينه في ١٦ فبراير . ولكن ما عاد شوشنج الى فينا مغلوباً على أمره ، واتصل ببعض العناصر الراغبة في المحافظة على استقلال النمسا ، حتى استرد قليلاً من شجاعته وقوته المفقودتين في برختسجادن أمام مظاهر القوة الفاشية ، وأعلن في خطبة حازمة اللهمجة ان التسليم له حدود يقول عندها « الى هنا وكفى » . وكان ذلك اشارة منه الى نشاط النازي النمسوي . ثم اعلن انه يفوي اجراء استفتاء يدور حول استقلال النمسا في ١٣ مارس ، فأحدث هذا القرار صدى غريباً في دوائر النازي الالمانية ، التي كانت تطالب دائماً بالاستفتاء اعتماداً على قوة اتباعها من النمسيين . ولكنها أبت ان توافق عليه الا ان ، واعتدت في ابائها على ان قرار الاستفتاء ليس من حق رئيس الحكومة ، وعلى ذلك ارسل الهر هتلر انذارين في ١١ مارس الى فينا طلب في الاول الغاء الاستفتاء وفي الثاني طلب استقالة الدكتور شوشنج وتأليف وزارة اخرى محل وزارته يكون ثلثاها من النازي النمسوي ، فاستقال الدكتور شوشنج في مساء يوم ١١ مارس منعاً للحرب وحققاً للدماء لعله بما يتوقع اذا أصر على البقاء في منصبه والدفاع عن استقلال النمسا . وفي يوم ١٢ مارس اجتازت الجيوش الالمانية الحدود النمسية ودخل الهر هتلر مدينة لنز دخول الظافرين وصدرت في يوم ١٣ مارس مراسيم في برلين وفي

أعلنت ان النمسا أصبحت جزءاً من الريح الالمانى وفي يوم ١٤ مارس دخل الهر هتلر فينا .
وفي ١١ ابريل اي بعد انقضاء شهر على استتباب الامر للنازي في النمسا حدث الاستفتاء
النمسي الخاص بالانضمام الى الريح فكانت الموافقة على هذا الانضمام ٩٩ في المائة

اضطراب الوزارات الفرنسية

حدثت حوادث النمسا، وفرنسا بغير وزارة . ذلك ان المسيو شوطان كان قد استقال للمرة
الثانية في سنة ١٩٣٨ وقد كانت استقالته الاولى في ١٤ يناير فقبلت وقضى رئيس الجمهورية
خمس ايام في استشارة الزعماء وعهد الى غير قطب واحد بتأليف الوزارة التي تليها . فعجزوا
وأخيراً تمكن شوطان من تأليفها ثانية في يوم ١٨ يناير ، فكان تأليف هذه الوزارة الشوطانية
قائماً على حزب الراديكاليين الاشتراكيين دون الاشتراكيين ، اي ان وزارة شوطان هذه كانت
دليلاً على تصدع الجبهة الشعبية التي تألفت في سنة ١٩٣٦ وفازت في الانتخابات النيابية تلك السنة
وكان قوامها الراديكاليين الاشتراكيين والاشتراكيين والشيوعيين . الا ان وزارة شوطان التي
تألفت في ١٨ يناير لم تلبث حتى سقطت في ١١ مارس — يوم الانذار الالمانى للنمسا — وفي اليوم
التالي والذي يليه تم « الانشλος » ، وكان الرئيس قد عهد الى المسيو بلوم زعيم الاشتراكيين ،
فحاول ان يؤلف وزارة قومية يمتد أساسها من يمين الوسط الى يسار الاشتراكيين فأخفق في ذلك
فاكتفى بتأليف وزارة على طراز وزارته الاولى أي وزارة مستندة الى تأييد الاشتراكيين والراديكاليين
الاشتراكيين . ولكنها لم تعمر لانها اصطدمت بمجلس الشيوخ الذي عارض في برنامجها
الاقتصادي المالي وأبى ان يمنحها السلطة المطلوبة فآثرت الاستقالة على احداث ازمة دستورية
في حين ان الاخطار الخارجية كانت تهدد البلاد ، وكان ذلك بعد انقضاء شهر او نحو شهر على
تأليفها ، فدعي المسيو دالاديه الى تأليف الوزارة الجديدة ، فأسسها من الراديكاليين
الاشتراكيين وبعض من أيدهم من أحزاب الوسط ، وبذلك زاد ظهور الصدع في الجبهة الشعبية ،
فلما تقدمت هذه الوزارة الى المجلس في ديسمبر بعد عودته الى الاجتماع ، تم انهيار الجبهة الشعبية
عندما اقترح الاشتراكيون والشيوعيون ضد دالاديه ، ولم تفز الوزارة على خصومها في المجلس
الا بتأييد احزاب الوسط واليمين

هذا القلب في الوزارات الفرنسية مظهر للقلق الذي يسود البلاد . فالحالة الاقتصادية متفاقمة
فيها ، المال لا يرضون بدلاً عن التشريعات التي تمت لمصلحتهم في عهد بلوم الاول ، واصحاب
الاموال يرون في هذه التشريعات سبيل الخطر على أموالهم ، فلا يرضون بابقائها في فرنسا خوفاً
عليها والحكومة واقعة بين المطرقة والسندان ، تريد زيادة العمل في المعامل لكي تنجز أعمال

الدفاع بحيث تصبح القوة الحربية متكافئة ومكانة البلاد الدولية ، وهذا لا يكون الا بزيادة ساعات العمل ، وبعودة رؤوس الاموال ، ومن هنا المراسيم التي استصدرها المسيو رينو وزير المالية الجديد ، التي حملت اتحاد العمال على اعلان اعتصاب عام عاجله المسيو دالاديه بالحزم فلم يصب القائلون بالاضراب الا قسماً يسيراً من النجاح ، وكان القسط الاكبر من النجاح في جانب الحكومة . ولكن هذا لا يعني ان وزارة دالاديه ثابتة ، مستقرة ، وانما الحوادث الخارجية تقضي على الفرنسيين بالاتحاد ، والاتحاد الصادق غير مستطاع ما زال هناك شعور بالجوهر ولولا الخطر الخارجي لما رأينا في فرنسا حتى مظاهر الاتحاد . فالاستقبال في فرنسا قائم على ما يلوح لنا الآن ومما لا ريب فيه الآن ان فرنسا غدت بعد حوادث السنة الماضية دولة من الطبقة الثانية في اوربا ولا سيما بعد ضم النمسا وانهيار نظام محالقتها في اوربا الوسطى والشرقية على اثر مونيخ

الطريق الى مونيخ ومنها

الطريق الى مونيخ مرّ بمكدن في منشوكو ثم بأديس ابابا في الحبشة ثم بيلباو في اسبانيا ثم بفينا عندما تم الانشلوس . وكان الطريق محفوفاً على جانبيه بألواح كتب عليها « لانخفاض السلاح الا بعد ضمان السلامة » (فرنسا) و « أطلقوا الرصاص على هؤلاء الكلاب » (روسيا) و « احرصوا على الابتعاد عن اوربا » (اميركا) و « انقذوا العالم من الحرب » (دعاة السلام في كل ارض)

هذا الطريق المفروش بصرعى منشوكو والحبشة واسبانيا الجمهورية والعتوبات هو الطريق الذي أفضى الى مونيخ ، فأضيف الى الاشلاء التي فرش بها شلو تشيكوسلوفاكيا لم يطل المطال على ضم النمسا حتى بدأ كل مشغل بالسياسة الدولية يقول ومتى يجيء دور الالمان السوديت . والواقع ان دور السوديت جاء في مايو ولكن حزم الحكومة التشيكوسلوفاكية حال حينئذ دون المأساة التي مثلت في سبتمبر ، إذ سارعت الى التعبئة ولو وقعت حوادث على الحدود حينئذ لافضت الى نشوب الحرب ، ولخاضها فرنسا حتماً . وانقضت أزمة مايو ولكن مشكلة السوديت لم تنقض

ما العمل ؟ بريطانيا تعلن بلسان رئيس وزرائها انها لا تستطيع ان تقف بمعزل عن حوادث اوربا الشرقية . وفرنسا تؤكد غير مرة لوزير تشيكوسلوفاكيا في باريس ، بأنها عازمة على تنفيذ المعاهدة التي تربطها ببراج . والصحف الالمانية ، ومحطات الاذاعة الالمانية لا حديث لها الا مصائب السوديت وما يتعرضون له كل يوم من صنوف الاضطهاد . ولهر هتلر يخطب فيطلب ان تكون السوديت دولة داخل دولة . ولكنه لم يشر مرة الى الضم الصريح حتى تكرم به المستر تشمبرلين بعد اشارة اليه في التيمس

يوليو مضى على ذلك وأغسطس ثم جاء شهر سبتمبر الضغط من ناحية ألمانيا يزداد . واللورد رنصين يحاول ان يبدع حلوّاً بغية التوفيق . ولكن ما فعله رنصين في الواقع كان ان عود التشيكوسلوفاكيين فكرة التسليم بقليل هنا ثم بقليل هناك ، حتى اذا جاءتهم الضربة الكبرى ، كانت مشيئة المقاومة فيهم قد انكسرت ، وكذلك ضمن تشمبرلين ودلايه سلامة لندن وباريس ، على حساب تشيكوسلوفاكيا . بين رحلة تشمبرلين الى رختسجادف ورحلته الى جودسبرج رآواح الامل بين الشعوب ، بأن يغلب الحل المعقول او تقابل القوة بالقوة ، فلما كانت رحلة مونيخ ، كان التسليم فيها بأكثر مما طلبه الهر هتلر في مذكرة جودسبرج التي أبلغها تشمبرلين الى راج وأبي ان يتحمل تبعه الاشارة بقبولها

وكذلك تغيرت خارطة أوروبا للمرة الثانية في خلال ستة أشهر فضمت الى ألمانيا مناطق من تشيكوسلوفاكيا فيها المان وفيها تشكيون وفيها صناعات ومناجم وخط من الحصون عظيمة الشأن . « وتشت » بولندا منطقة تشن . وأخذت هنغاريا منطقة في الجنوب . ومنحت سلوفاكيا استقلالاً ذاتياً . وأصبحت تشيكوسلوفاكيا المبتورة تابعاً يدور في فلك ألمانيا السيامي والاقتصادي وغدت بلدان أوروبا الوسطى وشرقها الجنوبي ، تترامى على أقدام ألمانيا ، لأنها وقد كانت في الماضي تعتمد على فرنسا في الغالب ، أمسّت وهي لا تستطيع الاعتماد عليها ، بعد تحصين منطقة الرين وانهيار قلعة التشيك

وما نالت انكلترا ؟ سلاماً مؤقتاً وتصريحاً بأن المشكلات تحل بعد الآن بالمباحة وبغير حرب وبأن الهر هتلر لا مطالب له في أوروبا خاصة بالاراضي وأن مشكلة المستعمرات لن تحل بالقوة . ثم ذهب فون رينتروب الى باريس ووقع تصريحاً من هذا القبيل مع المسيو بونيه وزير خارجية فرنسا ولكن لم يكذب حجب التصريح الاول - هتلر تشمبرلين - حتى شرع الهر هتلر واقطاب حكومته بخطبون فيحملون في خطبهم على ايدن وتشترشل ودف كوبر وجرينوود ثم أخيراً على بلدين . فلما علم من عهد قريب ان خطبة المستر تشمبرلين في مأدبة الصحافيين الا جانب بلندن ستطوي على تقرير بسيط للصحف الألمانية لأنها حملت على بلدين ، قاطع جميع الألمان من دبلوماسيين وصحافيين - المأدبة التي كانوا قد دعوا اليها وقبلوا الدعوة !

اما إيطاليا فما كادت تفوز بعد مونيخ بالاعتراف بامبراطوريتها بالحشدة من قبل انكلترا وفرنسا على ما مرّ بك ، حتى شرعت تطالب بتونس وكورسيكا وسافويا ونيس وتعديل نظام زعة السويس ، في مظاهرات عامة في مجلس النواب الايطالي وفي الشوارع وفي الصحف ، في الوقت الذي كان فيه الهر رينتروب يوقع مع المسيو بونيه تصريح « للاحرب » في باريس

وهذا ليس الا قليلاً مما يقال في الطريق الذي افضى الى مونيخ والطريق الذي يند منها الى المستقبل

من واشنطن الى ليما

الاتجاه بين جمهوريات الفارتين الاميركيتين الى عقد الحناصر على الاستعداد لمقاومة كل تدخل سياسي أو ايدولوجي في نصف الكرة الغربي . وهذا يفسر النفقات الهائلة التي أنفرتها حكومة الولايات المتحدة الاميركية في خلال السنة الماضية لتعزيز اسطولها الجوي بحيث يبلغ عشرة آلاف طائرة للخط الامامي أو اكثر ، وتعزيز اسطولها البحري بحيث يصبح لها اسطولان كبيران احدهما في المحيط الهادى والثاني في المحيط الاطنطيني

ولا ريب في ان نداءي الرئيس روزفلت كانا ذاشاً كبير في حسم ازمة سبتمبر بغير امتشاق الحسام ، ولكن الرئيس أعرب مع ذلك — بعيد عقد اتفاق مونيخ — عن رأيه في ان السلام لا يستقر في نصابه الحقيقي بالتهديد بالحرب . ثم لمح وصرح غير مرة ، هو وبعض اعضاء وزارته الى الشدة في معاملة اليهود في المانيا ولا سيما ماروي عن المصائب التي عرّضوا لها بعد مقتل فون راس في باريس . وقد استدعي السفير الاميركي من برلين ، ليشاوره الرئيس عن كتب ، ولكن قيل انه قد لا يرجع الآن الى برلين ، فكان هذا العمل من جانب واشنطن تقرّياً للحكومة الالمانية فاستدعت هي الاخرى سفيرها في واشنطن متوسلة بالعذر نفسه . والعلاقات الالمانية الاميركية سائرة بوجه عام نحو النوتر والحفاء

ويلوح من تتبع الرأي العام الاميركي انه بدأ يتحجر ضد المانيا بذلك على ذلك رد واكل وزارة الخارجية الاميركية المستر سومنروليز على القائم باعمال السفارة الالمانية في واشنطن عندما جاء اليه محتج على ما قاله وزير الداخلية الاميركية — هارولد ايكس — من تعريض رجال الحكومة الالمانية في خطبة له . فقد رد عليه المستر وايز بأنه لا يرى وجه الحق في احتجاجه حالة ان كتاب الصحف الالمانية المقيمة بأوامر الحكومة ، بل ورجال النظام القائم أنفسهم يكتبون ويخطبون ويطوون كتاباتهم وخطبهم على اقوال فيها أشد تعريض بالرئيس ورجال الحكومة الاميركية ، ثم وجه نظر القائم باعمال السفارة الالمانية الى ان اقوال المستر ايكس تعرب عن رأي وشعور الاكثرية الساحقة من الاميركيين

فاذا أضيف الى ذلك استدعاء البرازيل لسفيرها من برلين واجتماع مؤتمر الجامعة الاميركية في عاصمة بيرو (٩ ديسمبر وبعده) حيث أجمع الرأي على استنكار التغلغل النازي والفاشيستي في العالم الجديد أثبت لنا ذلك ان الاتجاه العام في جمهوريات الفارتين الاميركيتين ضد الدكتاتوريات الالمانية الكبيرة فاذا استمر على ذلك في السنة الجديدة كان ذا أثر حاسم في موقف انكلترا وفرنسا

الحرب في أسبانيا والصين

في ٧ يوليو انقضت سنة على غزوة اليابان للصين ، وفي ١٨ يوليو انقضت سنتان على بدأ الحرب الاهلية الاسبانية . ولا تزال الحربان تقتضيان من البشرية ضحايا كثيرة . فاليابان ماضية في غزوتها ، حتى غدت اكبر مدن الصين في قبضتها . فقد ختمت سنة ١٩٣٧ باحتلال مدينة نانكين واحتلت في اواخر سنة ١٩٣٨ مدينتي كانتون في الجنوب ، وهانكو في القلب وهي المدينة التي اتخذها الصينيون مقراً لحكومتهم بعد احتلال نانكين . ولكن موقفها العمومي في الصين لا يزال على ما كان بوجه عام . فهي لا تحتل مناطق وانما تحتل نقطاً وخطوطاً . النقط هي المدن وعقد المواصلات . والخطوط هي السكك الحديدية . اما هدفها العسكري الاصيل وهو كسر شوكة الجيش الصيني ، واقصاء شانغ كاي شيك عن مقام الزعامة في الصين فما تزال بعيدة عنه . وهي لذلك تواجه في الصين مشكلة يواجهها كل غاز عسكري لبلاد واسعة مترامية الاطراف وهي مشكلة ابقاء جيش عظيم في المناطق الواسعة التي تحتلها لحفظ الامن فيها لان الشعب غير مطمئن الى الفزاة والمصائب كثيرة منبئة في طول البلاد وعرضها تضرب هنا ثم هناك ثم تختفي لتظهر في مكان آخر وعلى الرغم من مظهر النجاح الباهر الذي يبدو على اعمال اليابان العسكرية في الصين ، لا تزال مهددة في مصيرها . فهي لا تزال عاجزة عن كسر مشيئة المقاومة في الشعب الصيني ، وفصم الصلة بين الزعيم وشعبه . فالغزوة الصينية قد تحوات الآن الى نضال صبر ، بين صبر الصينيين على وبلاات الغزوة ، وبين صبر اليابانيين على ما تقتضيه هذه الغزوة من النفقات والمتاعب المالية والاقتصادية

اما في اسبانيا ، فقد أحرز الجنرال فرانكو في مارس ومستهل ابريل انتصارات باهرة مكنت جيوشه من الوصول الى ساحل البحر المتوسط بين برشلونة وبلنسية وكان الرأي ان الحكومة الاسبانية لا تستطيع ان تصمد طويلاً في وجه هذا التيار العسكري الحاسم ، ولكن قوات الحكومة الجمهورية صمدت لقوات الجنرال فرانكو عند نهر الابرو وكبدتها خسائر كبيرة بل وفازت عليها غير مرة وقد انقضى الصيف والحريف ودخل الشتاء بيرده القارس وأمطاره وتلوجه والموقف من الناحية العسكرية جامد بين الفريقين ، لولا بعض تحول غير حاسم فيه أما من الناحية الدولية فلا تزال مهزلة عدم التدخل قائمة واذا كان سحب العشرة الآلاف من المشاة الابطاليين مهد لتنفيذ اتفاق روما ، فلا تزال الحكومتان البريطانية والفرنسية تعارضان في منح الجنرال فرانكو حقوق المحاربين ، يقابل هذا ان رغبة ايطاليا وألمانيا في فوز الجنرال النهائي ما فتئت قائمة ولذلك ستبقى الحرب الاهلية الاسبانية حافلة بالخطر من الناحية الدولية

جنود التسليح

بلغت برامج التسليح خلال السنة الماضية حدها الأقصى بعد الحرب الكبرى . ولعلنا ان اذا قلنا ان الدول انفقت عليها خلال هذه السنة عشرة آلاف مليون جنيه . ولماذا لانها جميعاً كما تزعم تبغى ان تعزز قوى الدفاع لكي تذب عن حياضها اذا هاجمها مهاجم . واذا كانت جميع الدول لا تقوي الاعتداء فمن يجبىء الخطر اذن ؟

وليس الباحث بحاجة الى الحكمة الخاصة والنظر النافذ الى المستقبل لكي يدرك ان هذه الاموال التي تنفق في مواد لا تصلح للتبادل ، تصرف الصناعات عن عملها الحقيقي ، وتشغل الوفاء وعشرات الالوف من العمال بصنع بضائع — واي بضائع ! — ليست من البضائع المألوفة في عهد استتباب الطمأنينة والسلام . فقدت الحكومات الآن بين المطرقة والسندان . صنع الاسلحة والذخائر يحل مشكلة التعطل عن العمل في بلدانها — على تفاوت بينها — فلا يسعها الانصراف عنه الى اعمال الصناعة والتجارة المألوفة فجأة ، حتى لا تتلفها موجة طاغية من التعطل عن العمل قد تقضى الى ثورة اجتماعية ، ولا يسعها في الوقت نفسه ان تمضي في هذا الاتفاق الهائل الذي يكاد يقض ظهور دافعي الضرائب ، وهذا علاوة على ما يبيته تكديس الاسلحة من روح الحرب او وجوبها

ولست الدول الكبيرة ، التي لها موارد غنية من الثروة هي وحدها المقبلة على هذا النوع من الترف الجنوني — كان مشروع المستر تشمبرلين قبيل تقلده رئاسة الوزارة ان تنفق بريطانيا على تعزيز قوى دفاعها ١٥٠٠ مليون جنيه في ثلاث سنوات قتيين خلال هذه السنة ان المبلغ سيكون اقرب الى ٢٥٠٠ مليون جنيه منه الى ١٥٠٠ مليون ومع ذلك عاد المستر تشمبرلين من مونيخ وهو يقول انه لا بد من القوة حتى نستطيع ان نعزز كلمة انكلترا بالمقام اللازم في مجامع الدول وهذا يعني ان انكلترا لم تكن على جانب كاف من الاستعداد الحربي عندما اشتدت ازمة سبتمبر الماضي — بل الدول الصغيرة ترهق جميع مواردها وترهن هي والكبيرة ، مستقبل الاجيال القادمة لكي تكس طائرات وقنابل واسلحة ، يعلم جميع متبعي العلوم والمخترعات الحديثة انها اذا كانت من الطبقة الاولى الآن فانها ستصبح قديمة لا يؤبه لها كثيراً بعد سنوات . وقد اصيب القطر المصري بهذه الموجة الطاغية فتعرض من ناحية ما يقضيه الواجب وتحتمة المصلحة القومية لابعاء مالية ثقيلة ، وقد تكون مرهقة

كانت الحضارة تباهي بأن رفع مستوى المعيشة غرض تطلبه الحكومات بكل ما في جعبها ولكن الجهد عاد لا يجدي كثيراً في هذه الايام ، لان ما ينفق جزأاً على التسليح ، قد بدأ يؤخر

في دول بعضها حيث هبط مستوى المعيشة هبوطاً محسوساً ، ولا بد ان يؤثر عاجلاً أم آجلاً في الشعوب الاخرى . وهذا وحده كاف — اذا لم تنشب حرب تحصد الاخضر وتشعل اليايس — لان راجع اهل الحل والربط انفسهم في ما يكيدونه لشعوبهم وللاجيال التي تليهم ، في حين يعتقدون انهم يعززون الهية ويرفعون العلم . ان ذرة واحدة من الفلسفة تكفي لاقناعهم بان كل ذلك باطل ولكن اينها ، في بلاد كانت وهيكل ؟ اينها في بلاد مرقس اوريليوس وتوما الاكوييني ؟ اينها في قارة افلاطون ؟ إلى هذا تنتهي تعاليم الفلاسفة وغيرهم من بناء الحضارة ؟ إما الى هدنة مسلحة وأما الى قتال مدمر ؟ انك لترا تفق ما يزيد على ٥٠٠ مليون جنيه في السنة ، وفرنسا ما يقرب من ذلك ، والمانيا ما هو اقرب الى الالف منه الى نصفه ، وأميركا لا تتكلم على عادتها الا بالارقام الفلكية . حتى بولندة قررت اتفاق ثمانين مليوناً من الجنيهات علاوة على ميزانية الدفاع العادية ، وابطاليا المرهقة بتعمير الحبشة وتوفية نفقات حربها فيها ونفقات متطوعها في اسبانيا ، ماضية في الاضافة اضافات كبيرة الى أسطولها الجوي وأسطولها البحري معاً . لقد غدا العالم وهو في غمرة التسليح هذه ، وهو كأنه طائفة سريعة مندفعة بأقصى سرعتها . فاما ان تمضي في سبيلها لتبقى في الجو واما ان تهبط وتهطم اذا وقف محركها فجأة اما الحل الوسط ، وهو ان يأخذها سائقها بالرفق فيخفف من سرعتها قليلاً قليلاً حتى اذا استطاع الهبوط الى الارض فعل ذلك آمناً مطمئناً — فأين من يعنى به من أقطاب الحكومات ؟ ان حوادث السنة الماضية تقنعنا بان صوت العقل قد خفت — خلاها على الاقل — وارتفع صوت الغريزة المسمورة

أقطاب الرجال

— كانت الخسارة الكبرى بين اقطاب الامم ، في السنة الماضية في وفاة كمال اتاتورك منشىء تركيا الحديثة . ومن غريب ما يسجله التاريخ ، انه مرض في اكتوبر مرضاً أشفى فيه وقطع الامل منه ، ولكنه تغلب على المرض بعزمه ان لم يكن بسليم جسمه ، فاستطاع ان يعيد مع امته العيد الخامس عشر للجمهورية التركية في ٢٩ اكتوبر الماضي ، ثم عاوده المرض ، وكأنه قضى آخر لباتته من الحياة باشتراك في هذا العيد ، فأسلم الجسد النخر الى التراب والروح الى خالقها — وخسر جميع المشتغلين بالشؤون العالمية على اساس التعاون الممثل في عصبة الامم الدكتور ادوار بنش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، الذي استقال بعد ان رأى الصرح الذي بناه على مخالفة فرنسا وصداقة انكلترا قد انهار بمعولها . ولهذه حين يخرج من عزلته يكون وهو خارج منصة الحكم كاملاً افضل في العودة بالعالم الى مهبج العقل والتعقل منه وهو فيهما

— اما تزاور رجال السياسة فقد اصبحت عادياً لا نعلم مدى ما نعلقه به من شأن ولكن زيارة الملك جورج والملكة اليزابت لفرنسا تخرج عن الزيارة المألوفة وكذلك زيارة الهرنر لاطاليا . فالثانية كانت في مايو والاولى في يوليو ، وكان لسلكتيهما مغزى سياسي واضح

من الطبيعي ألا نكون قد اجملنا في هذه الصفحات الموجزة جميع حوادث السنة الماضية ولا يمكننا نعتقد اننا اجملنا اهم الحوادث التي كانت ذات شأن في التيارات السياسية العامة ، فنحن لم نشر بكلمة واحدة مثلاً الى حادث الخلاف بين روسيا واليابان في اغسطس الماضي على موقع فوكينج ، ولا على خلافهما المتجدد في آخر كل سنة على المصايد . وقد اجملنا كذلك رحلة الملك كارول الى غرب اوربا ، ومصرع رئيس الحرس الحديدي الروماني كودريانو ، ونشرت لجنة ودهد الفلسطينية ونبد الحكومة البريطانية مشروع التقسيم الذي اقترحتة لجنة بيل الملكية والدعوة الى مؤتمر يعقد في لندن لحل المشكلة الفلسطينية ، ولحنا الى غيرها تلميحاً فقط ، والعذر في ذلك باد . فالغرض ليس ان نعد سجلاً للحوادث المختلفة بل ان ننظر نظرة عامة الى الاتجاهات الرئيسية

وكذلك ختمت السنة الماضية ، وفي جوها غيمة قائمة — غيمة الخلاف بين ايطاليا وفرنسا — تنذر بأن تتسع رقعة وتزداد قتاماً في مستقبل السنة الجديدة ، ولذلك تتوقع الدوائر السياسية ازمة دولية من الدرجة الاولى بين يناير وأوائل الربيع ، اخلف الله ظنهم ، ووقى العالم شر هذه الازمات المتكررة

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا
ومرادُ النفوس أصغر من ان تتعادي فيه وان تنفاني
غير ان الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحية لهددنا اضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بدء فمن العجز ان تموت جيانا
كلُّ ما لم يكن من الصعب في الانفس ، سهل فيها ، اذا هو كانا

باب المراسلة والمنجاسة

الطبيعة الميتافيزيقية

والعلوم التجريبية

ان بعض ما يعاب على العلوم الحديثة هو تغليب ما يعبر عنه بكلمة ال Experimentalisme اي النزعة التجريبية فكون العلوم الحديثة تخضع العقل الانساني للتجربة والحس قد يكون مقبولا اذا كان الحس هو ارق ما في السكّن البشري الذي يتميز بالادراك قبل تميزه بالحس نحن لا ننكر التقدم العظيم الذي وصلت اليه العلوم الحديثة وما بلغت العلوم التجريبية من انغال في الكشف عن حقائق المظاهر الطبيعية وما جنته البشرية من ثمار هذه العلوم غير اننا هنا نتكلم عن المعرفة من الوجهة النظرية البحتة فنقول ان الوصول الى معرفة حقائق الكون يكون منطقيا من نصيب المواهب الانسانية العليا وان ال Experimentalisme Scientifique وهي الصفة الميزة للعلوم الحديثة تقيم للمشاهدة الوزن الاول وتخضع الادراك البدهي للمشاهدة وربما كان هذا الامر وحده ممكنا في التحقيق العلمي المتداول غير انه ليس الطريق الصحيح لاستنباط الحقائق العلمية فاعبر عنه بكلمة ال Intuitive Knowledge اي المعرفة البديهية لا يحظى بنصيب في الميدان العلمي وكل ما يصنع العلماء هو بناء نظريات خاصة بالاستناد الى مشاهدات حسية والحس كثيرا ما يخطئ بل ان لفظة الحس قد تكون مرادفة للخداع الادراكي والحقائق التي تأتي عن هذا الطريق حقائق نسبية محدودة وهي ان كانت نافعة حقّا الا انها لا تمت بصلة كبيرة للمعرفة الصائبة لماهية المظاهر الكونية لانها لا تدخل في حسابها القابليات الاولى للفرد الانساني وهي الوصول الى معرفة الحقائق العامة بطريقة مباشرة ولا يجب ان نترك مسألة المعرفة الادراكية لطبقات المنصوفة وحدها بل من اللازم ان يجعل لها نصيب في استنباط الحقائق العلمية او على الاقل اذا لم تفعل ذلك ان لا نسمي ما لدينا حقائق علمية مطلقة ولا أقول ان طرق العلم الحديث عقيمة ولكنني أعني انها تجعل المعرفة وقد طغت عليها فكرة ال Phenomenalisme التي تتلخص في تحليل الظواهر الكونية بظواهر أخرى وينتهي الامر بالأيّجد العلماء أنفسهم على بيئة من أمر اي ظاهرة طبيعية ولا على قدرة على معرفة طبيعية اي قوة او مادة بالنسبة لذاتها فالعلم التجريبي يعرف الطبيعة التفاعلية والتحليلية للعناصر ولا يعرف طبيعتها الميتافيزيقية التي هي العلة في الطبيعة التفاعلية والتحليلية (١)

خطأ العلم التجريبي سيوضح في مجزء الظاهر عن جمع شتات العلوم الانسانية في كل واحد

(١) مذكرات عن الطبيعة الميتافيزيقية (خاصة)

هو المعرفة الحقة فالعلم او المعرفة كلّ روحي لا يجزأ ومبلغ المرء ومنه يقدر بوضوح المعرفة في ظهورها له فهي لا تقسم من حيث السكية ولكن من حيث الظهور

والعلم الحقيقي على ما اعتقد هو الذي يعطي Intuition مكاته التي يستحقها في استنباط الحقائق لان المعرفة الادراكية هي الطريقة المثالية للاتصال بالكون وحل معمياته وليست المعرفة الحسية وربما احتج البعض بان هذا غير عملي ولكنني اقول ان المعرفة لا يمكن ان تكون الا كذلك نحن نقترح ايجاد علم جديد هو La Physique - Metaphysique او الميتافيزيقا الطبيعية^(١)

الذي يمكن تعريفه بأنه العلم الذي يرجع الظواهر الطبيعية الى اسبابها فيما وراء الطبيعة ولا يعلمها مظاهر طبيعية بأخرى كما يفعل العلم التجريبي . واسم آخر يمكن ان يطلق على الطبيعة الميتافيزيقية هو Science formulaire او علم الصيغ لانا اذا مضينا في التحقيق العلمي بهذه الطريقة فنجد لكل تفاعل بين عنصرين صيغة خاصة هي الصيغة الميتافيزيقية فالعلم التجريبي عندما يرى تبخر الماء بسبب الحرارة يقول انه يحدث لانه كذلك فيعجز عن معرفة الطبيعة الميتافيزيقية للماء والنار وهو ان أفلح في معرفة الطبيعة التحليلية لكلها فانه يقف عند ذلك^(٢)

قال formula تشرح العلاقة بين عنصرين في تفاعلها من الوجهة الميتافيزيقية وال Inter formula تبحث في الصلة بين صيغة وأخرى وال Conjunction تبحث في صيغة واحدة في حالة تبديل أحد العناصر المشتركة فتفاعل الماء والحرارة ينتج عنه صيغة وتفاعل الاكسجين والهيدروجين ينتج عنه صيغة مخالفة والعلاقة بين الصيغتين هي ال Inter formula بينما تفاعل الماء والبرودة ينتج عنه ال Conjunction بينه وبين تفاعليته مع الحرارة وهكذا^(٣)

وستجد أننا نصل بالتحقيق الى معرفة السر الميتافيزيقي للعناصر والطبيعة الغير مادية للعادة فنعرف كمها وهذا على ما أظن هو الطريقة الوحيدة للوقوف على أسرار الطبائع الكونية ومعرفة الماهية لذاتها لان العلم التجريبي يبحث عن الماهية التحليلية والتفاعلية ولا يعرف الماهية الذاتية للعناصر. وما اسميه الكيمياء الخالقة سوف تكون لإحدى نتائج التوسع في دراسة الطبيعة الميتافيزيقية^(٤) هذه كلمة موجزة عما اعتقده طريقة علمية صائبة تكشف عن سر المادة والقوة^(٥) وهو

ما اشتغل به منذ زمن وأراني على استعداد لبحث الموضوع مع من يهمهم هذا الامر ويسرني ان انشر صفحات من مذكراتي عن الطبيعة الميتافيزيقية والحركة الدائمة وسر التكوين المادي والميكانيكا غير المتوازنة وغيره مما ترون اشارة اليه في اسفل الصفحة علي حافظ

(١) الكلمة مكونة من جزئين — الطبيعة التي تبحث الظواهر المادية والميتافيزيقا تهتم بما وراء الطبيعة والميتافيزيقا الطبيعية علم مقارنة

(2) Inter-formulas & Nature of Elements.

(3) The metaphysical physics and non experimentalism (notes)

(4) Light on Creative Chemistry and Existence of Elements.

(5) Secrets of Force and Material Constitution.

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

القنادس كعامل جيولوجي

بناء السدود حيث تشتد الحاجة إليها لوقاية مناطق من الفيضان ، فتتقل طوائف كبيرة منها من حيث تكثر الى حيث تندر ، ويبدأ رجال الحكومة ببناء السدود في اما كن معينة من مجاري الانهر فتكمل القنادس بناءها . وقد وضع المسترايكس وزير الداخلية تقريراً أثبت فيه ان عملاً قيمته ستون جنيهاً تصنعه القنادس بنفقة لا تزيد على جنيه واحد

ومن أغرب ما يروى عن هذه السدود أن باحثاً يدعى ملز وصف سدّاً صنعه القنادس في ولاية مونتانا فاذا طوله ٢١٤٠ قدماً (نحو سبعة ذراع) . ولكن هذا نادر . أما المألوف فهو سدود يتفاوت طولها بين ٥٠ قدماً و ٢٠٠ قدم . وقد كتب باحث يدعى شيراس Shiras ان الضفة اليسرى من بحيرة ايكو في جزيرة جراند الواقعة في بحيرة سوبيريور الاميركية أصلها سدّ قنادس طوله ١٥٠٠ قدم ويرجع الى ٤٠٠ سنة على الغالب . وطول السد الذي كوّن بحيرة يفر في حديقة بلوستون بأميركا طوله ٧٠٠ قدم

والغالب ان يكون علو السدّ خمس أقدام أو ستاً ، ولكن منها ما يرتفع الى ما يزيد

القدس حيوان من القوارض المائية موطنه الانهار الشمالية من آسيا وأميركا ويرى الفريق امين المعلوف باشا في معجمه « معجم الحيوان » ان القندس او الحارود يجب ان يستعمل مقابلاً للفظ Beaver الانكليزي وكلم الماء ل otter هذا الحيوان ثديي مائي قارض كالسنجاب صغير القد كالكلب طوله نحو قدمين ونصف قدم وارتفاعه اقل من قدم وله ذنب عريض صفيق طوله نحو قدم يستعمله للسباحة وعليط سدّه بالطين وعليسه . ومن مزاياه ان اسنانه القواطع كالازاميل فيقطع بها سوق الاشجار ويبني بعضها سدّاً في مجاري المياه لتتكون فوق السدّ بركة يقيم فيها . ويحفظ بالبعض الآخر مؤونة للشتاء لان اكثر طعامه من لحاء الاشجار وقد روى الباحثان رويدمان وسكونمايكر في العدد الاخير من مجلة العلم (٢ ديسمبر ١٩٣٨) ان اولها شاهد في الصيف الماضي سدّاً بنته القنادس فهدم السيل جانباً منه فأقبلت القنادس حالاً على اصلاحه ثم انتقلت الى مجرى النهر فوقه بنت سدّاً آخر ثم شرعت في بناء ثالث لتقي به الثاني من شرّ السيل . والحكومة الاميركية تعتمد الآن على عمل القنادس في

اميال وثلاثة أرباع الميل من نهر في كولورادو
وكان متوسط المسافة بين كل اثنين منها ٦٦٠
قدماً . وكان عمق البركة المكونة وراء بعض هذه
السدود خمس اقدم ونصف قدم

فحيوانات هذه بعض آثارها لا بد أن تكون
عاملاً ذا شأن في تغيير سطح الارض . فلما الذي
يجري في هذه الانهر يحمل دقائق من التراب
ترسب الى القعر عندما يسد النهر وتكون بركة
فوق السد . وما زالت القنادس تقطن هذه البقعة
فانها تمضي في رفع السد كلما ارتفع مستوى
قعر البحيرة يرسوب الطمي عليه . فاذا هجرتها
القنادس شق الماء مجرى له ويترك ارضاً مرتفعة
تصبح مرجاً ولذلك كثيراً ما تقع في اميركا
حيث اجري هذا البحث على مناطق تعرف بين
الاهلين باسم مروج القنادس

على عشر اقدم . فالسد الطويل الذي وصفه
كان علوه ١٤ قدماً وهناك سد وصفه مورغن
فقال ان طوله ٣٥ قدماً وارتفاعه ١٢ قدماً
أما البحيرات التي تتكون فوق هذه السدود
فتختلف مساحة . فقد روى ورين ان سداً
طوله ١٠٣ اقدم كوّن بحيرة مساحة سطحها
نحو ٧٨ الف قدم مربعة . وان سداً طوله
١٦٥ قدماً كوّن بطيخة مساحتها ٢٧٢
الف قدم مربعة . اما السدود الصغيرة فتكوّن
بركاً من الماء تختلف مساحة باختلاف طبيعة
الارض والمجرى

ثم ان القنادس لا تكتفي ببناء سد واحد
يعترض مجرى النهر ، وليس بالنادر ان تجد
سته سدود في ما طوله ميل من مجرى النهر .
وقد عد هوك Houk ٤٦ سداً في ما طوله خمسة

جائزة نوبل الطبيعية ١٩٣٨

للعالم الايطالي انريكو فرمي

دراسة ستين عنصرأ باطلاق النوترونات عليها
فثبت له ان اربعين عنصراً منها ظهرت فيه
ظاهرة النشاط الاشعاعي . ثم انه كان اول
من يبين ان ابطاء سرعة النوترونات يساعد على
اعتقالها عند اختراقها الذرة . وهذه الحقيقة
من اهم ما يعتمد عليه في دراسة تحول العناصر
أما في الطبيعة النظرية فقد اشتهر ببحث
الاحصاءات الرياضية التي يعتمد عليها في التنبؤ
بتركيب الذرة وتصرفها . وله في الطبيعة
الرياضية نظرية خاصة بالتحلل اشعة بيتا ليفسر

منحت جائزة نوبل الطبيعية عن سنة ١٩٣٨
للباحث الايطالي انريكو فرمي المختص بدراسة
الذرة وتركيبها وأحد الاساتذة بمعهد الطبيعة
في الجامعة الملكية بروما

ولد فرمي في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠١ وحاز
شهرة عالمية في الطبيعة العملية والنظرية فمكان
اول باحث تنبأ بأن اطلاق النوترونات على
العناصر يحدث تحويلاً فيها . فلما اكتشف
الاستاذ كوري جوليو وزوجته النشاط
الاشعاعي الصناعي أقبل الاستاذ فرمي على

مرسلين في داخلية الصين فقصت سني حداثتها فيها حيث كان من النادر الالتقاء بأحد من البيض . وطبعتها والدتها بحب الفن وتقديره ولا سيما الموسيقى . وكانت منذ صغرها تدون ما تراه وتسمعه وتشعر به فكانت أمها تنقده وتدلها على مواطن الضعف والخطأ

وكان لنشأتها في داخل الصين أثر في نفسها لأنها تعلمت عن حياة الشعب الصيني ما قلما يتاح للبيض فلما كانت في الخامسة عشرة من العمر طلبت العلم في مدرسة بشنغاي حيث التقت بطبقة من الصينيين والصينيات مختلفة عن الطبقة التي نشأت فيها في الداخل . ومع ذلك كانت لا تحسب نفسها مختلفة عن هذه الطبقة أو تلك . وكان والدها كثيراً ما يروي لها حديث رحلاته فاستعت دائرة معارفها الصينية

ثم طلبت العلم في إحدى كليات أميركا حيث احسست غريبة عن زميلاتها من الأميركيات لتأثرها بالتقاليد الصينية وبعد تخرجها عادت الى الصين حيث بدأت تعاون والدتها في العناية بالمرضى وهناك تزوجت بمرسل أميركي وعاشت في منطقة اصابها الجوع وعصفت بها الثورة . وكان زوجها يدرس في جامعة نانكين فدرست اللغة الانكليزية في غير جامعة صينية واحدة . ولكنها انتقلت من عهد قريب الى أميركا لتسكن فيها ، وقد طلقت زوجها المستر بك وتزوجت رئيس تحرير مجلة « آسيا »

نشرت روايتها الاولى في سنة ١٩٣٠ وكان عنوانها « ريح الشرق : ريح الغرب .. » فلم تفز

بها التوفيق بين النورينو (المحاييد الصغير) وانطلاق أشعة بيتا (الالكترونات) من المواد المشعة ، ومع ان هذه النظرية بعيدة عن الصواب ، الا أنها لا تزال الوحيدة بين النظريات المختلفة الخاصة بهذه المشكلة التي عليه سمة من الاحتمال

واذ كان الاستاذ انريكو بطلق النوترونات على عنصر الاورانيوم تمكن من ان يجعل النوترون يلصق بنواة الاورانيوم او يندمج فيها فتكون نواة ذرة اقل من ذرة الاورانيوم فذاع حينئذ ان فرمي اكتشف العنصر الثالث والتسعين فشك بعضهم في ذلك ، ولكن البحث العلمي اثبت صحة قوله بل وأثبت كذلك ان في الامكان توليد العنصرين ٩٤ و ٩٥ وهي عناصر صعبة من الوجهة العلمية اي ان نوى ذراتها اقل من نوى ذرات الاورانيوم — وهو أثقل العناصر كما لا يخفى — الا أنها من الناحية العملية لا شأن كبير لها لان مدى حياة هذه العناصر قصير جداً

جائزة نوبل الكيمياوية

وقد قرر معهد كارولين ان لا يمنح جائزة نوبل الكيمياوية عن سنة ١٩٣٨

جائزة نوبل الادبية

منحت جائزة نوبل الادبية عن سنة ١٩٣٨ للكاتبة الاميركية المسز پرل برك Pearl Buck ولدت پرل برك سنة ١٨٩٢ وكان والدها

« الام » و « الملاك المكافح » و « المنفي »
ويعتقد النقاد الاميركيون انها منحت جائزة
نوبل مكافأة لها على روايتها « الارض الطيبة »
في المقام الاول ، وهي دراسة في حياة الشعب
الصيني تجمع بين الفهم الدقيق والعطف والقوة
فنبهت الغرب الى حياة الامة الصينية
ولعل السويد ارادت بهذا المنح ان
تعرب عن عطفها على الصين الديمقراطية المتأللة
التي تصفها پرل بك في قصتها

بعناية خاصة من النقاد والكتاب. وفي السنة
التالية نشرت روايتها « الارض الطيبة » وكانت
قد وضعتها سنة ١٩٢٧ فاحرزت نجاحاً باهراً
وفي السنة الماضية صنعت فلماً رآه قراء المقتطف
في مصر وغيرها من البلدان — ومنحت جائزة
بولتزر وهي الجائزة التي تمنح لافضل رواية
اميركية كل سنة واتبعتها برواية « الابناء »
سنة ١٩٣٢ وبترجمة لرواية صينية عنوانها
« جميع الناس اخوان ». ومن رواياتها ايضاً

زراع سرطان بشري

في عيون الارانب

خصائص الارانب فاذا استطعنا ان نحسن
الارنب ضد النسيج البشري السوي بحيث يبق
السرطان المنقول الى الارانب آخذاً في البر
فكون عندئذ قد خطونا خطوة كبيرة نحو
فهم طبيعة السرطان . وقد اوضح الدكتور
جرين ان الغرض من هذه التجربة محاولة
النفوذ الى سبب السرطان لاكتشاف طريقة لعلاجه
وليس الدكتور جرين باول من حاول زرع
السرطان البشري في الحيوانات . ولكن تجارب
من سبقه الى ذلك لم تفز بالتأييد العلمي اللازم.
وقد تمكن في اثناء تجربته من نقل سرطان
الثدي الى اثني عشر ارنبا فها في سبعة منها وقد
مضى عليه ثمانون يوماً وهو يتدرج تدرجاً
بطيئاً في نموه . وبعض هذه الاورام السرطانية
قد بلغ حجمه في بعض الارانب خمسة اضعاف
ما كان عليه عند نقله وزرعه

عني قراء الصحف اليومية في الاسبوع
الاخير من شهر نوفمبر الماضي باسبوع السرطان
وما لقي فيه من المحاضرات الطبية والعلمية في
انواعه واساليب علاجه . وفي مكان
آخر من هذا الجزء جانب من فصل نفيس عن
السرطان والمرأة للدكتور فيليب الاشقر .
الآن انا اطلعنا والمقتطف مائل للطبع على بناء
علمي خطير الشأن خاص باصل السرطان وسروره
وهو ان الدكتور هاري جرين احد الاطباء
الباحثين في معهد ركفلر الطبي ببيوورك تمكن
من نقل قطعة من سرطان الثدي في المرأة
وزرعه في عيون الارانب فتجتاح النقل والزرع .
وغرضه من هذه التجربة على ما جاء في تصريح
له « السعي الى معرفة طبيعة البروتين الذي في
النو السرطاني . فنحن نريد ان نعلم هل يبق
بروتين السرطان بعد نقله بشرياً او يتخذ

مكتبة المقتطف

رائدان

كر نيلوس فاندريك — جورج بوست — رسالتان باللغة الانكليزية في حياتهما واعمالهما
بقلم لطفي سعدي

وضع الاديب الباحث لطفي سعدي رسالتين باللغة الانكليزية اورد فيها سيرة الدكتور
كر نيلوس فاندريك والدكتور جورج بوست. وقد نشرت الرسالة الاولى (فاندريك) في عدد
مايو ١٩٣٧ من مجلة اريس (ISIS) التي اسمها العلامة الكبير الدكتور جورج سارطون ووقفها
على البحث في تاريخ العلوم باعتبارها لساناً للجمعية تاريخ العلم والاكاديمية الدولية لتاريخ العلم. أما
الرسالة الثانية (بوست) فقد نشرت في عدد مايو ١٩٣٨ من المجلة نفسها

بعدم قراءة المقتطف مما نشر فيه ان الدكتور كر نيلوس فاندريك والدكتور جورج بوست من
اركان النهضة العلمية الحديثة في البلاد السورية. وهما مرسلان اميركيان جاءا تلك البلاد بغية
التعليم والثقيف ومؤاساة المرضى والعناية بهم. وكانا كذلك من الاركان التي قامت عليها جامعة
بيروت الاميركية. وفضلهما على المقتطف — ولاسيما فضل الاول — لا يمكن المغالاة في تقديره
فقد كان الدكتور فاندريك استاذاً لمنشئيه، وهو اول من شجعهما على اصداره واختار لها
اسمها وكتب فصلاً — نشر في اول عدد صدر منه — ، تلمته فصول

تعلم فاندريك وبوست اللغة العربية فاجادها وخلفا فيها تراثاً علمياً في الطبقة الاولى قلما
جارها فيه احد بعدهما من الاجانب. فوضع الاول مؤلفات جلييلة القدر في الهندسة والهيئة والجبر
والثلثات والتمام والتفاضل والكيمياء وسلسلة من الكتب الصغيرة في بسائط العلوم لا تزال مشهورة
باسم النقش في الحجر علاوة على اشتراكه في ترجمة العهد الجديد من الكتاب المقدس

اما الدكتور بوست فقد اشتغل بالتاريخ الطبيعي خاصة فوضع كتاب نظام الحلقات في سلسلة
ذوات الفقرات، وآخر في علم النبات وشرح بنيتيه ووظائفه ووصف الفصائل الطبيعية. ولا ريب
في ان اهم آثاره في هذه الناحية اخراجه ذلك المجلد الضخم الواسع العلم الدقيق التحري في نبات
سورية وفلسطين ومصر. والف كذلك كتاباً في الجراحة وانشأ مجلة الطيب وحررها ووضع
قاموساً للكتاب المقدس (ترجمة وتأليفاً) لا يزال على ما نعلم المرجع في هذا الباب

وقد ألف هذان العالمان الجليلان الكتب المتقدم ذكرها وهما قائمان باعباء التدريس في الكلية
الطبية بجامعة بيروت الاميركية (وكانت تعرف باسم الكلية السورية الانجيلية) فاحياء ذكرهما
وتعيين مقامهما في نهضة الشرق العلمية خدمة اسداها المؤايف الى وورثته هذه الاعمال العلمية الجيدة

وزارة الدعاية

للدكتور احمد فريد رفاعي — مدير مصلحة الصحافة والنشر سابقاً —
صفحاته ٢١١ بالقطع الكبير — مطبوع على ورق صقيل فاخر

هذا سفر في حاجة مصر الى وزارة دعاية وضعه خير بشؤونها ورفعته الى حضرة صاحب

الجلالة الملك فاروق الاول

والدكتور رفاعي عالج شؤون الصحافة والنشر صحفياً بارعاً ومؤلفاً قديراً وموظفاً ممتازاً
وأتيح له خلال القيام بأعماله الرسمية زيارة اوربا لحضور مؤتمر الصحافة الدولي المنعقد في مدينة
كولونيا فدرس في المؤتمر نفسه وفي مختلف البلدان التي زارها النظم المتبعة فيها حيال هذا الموضوع
الخطير في حياة الشعوب في هذا العصر . وقد أودع خلاصة اختباره ودرسه في هذا الكتاب
الفخم ، وهو في الواقع ليس الاً منهجاً للنهوض بحياة البلاد الثقافية في الصحافة والتأليف
والفنون ، وعنده ان خير السبل الى بث الحياة في نواحي هذه الاعمال الثقافية هو تركيزها في
وزارة مختصة بها

يرى الدكتور الرفاعي « ان مصر المحبوبة وقد كتب لها في مستهل عهد « فاروقها » السعيد
استكمال استقلال البلاد ، فتمت — ولله الحمد على متواصل نعمائه وجزيل فواضله — مفاوضاتها
بمعاودة الشرف والاستقلال — والغيث الامتيازات وقبودها وتبوأت البلاد مكانتها اللائقة
بكرامتها بين مصاف الدول الحرة المستقلة في عصبة الامم ، وأخذت النهضة الاصلاحية تمتشي
في مختلف مرافقها الحيوية » غدت في حاجة الى وزارة دعاية من الناحية الزراعية تلفت
الانظار الى فواكهها وخضراواتها ومختلف منتجاتها ، واستكشاف اسواق عالمية لها ، والعمل
على ترقية مراتب زراعتها ... الخ

ومن الناحية التاريخية لان « مصر القديمة ذات الآثار النفيسة والتاريخ الجيد والزمان
العلمية والحضارة القديمة » يجب ان تكون قبلة لافواج السياح من شتى بلدان الغرب والشرق .
وكذلك من الناحية الاسلامية والعربية والاصلاحية وغيرها
والكتاب قسمان . أما القسم الاول فيبين ما تعمله مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة
وما يرجوه لها من توسيع نطاق عملها في ما يخص الصحافة وتشجيع التأليف واحياء الادب العربي
القديم ونقل المؤلفات العربية البليغة . وأما القسم الثاني فيبين ما شاهده المؤلف خلال سباحته
من النظم المتبعة في ألمانيا وإيطاليا خاصة في مثل هذه الاحوال
ويقترح الدكتور رفاعي في الصفحة ٢٧ ان يضم الى الوزارة المقترحة المطبعة الامبريالية
في ذلك الوقائع الرسمية — على ان تصدرها الوزارة فتعيدها الى ما كانت عليه من المقام في

عهد المغفور له الشيخ محمد عبده — وكذلك ضم دار الكتب المصرية وإدارة الملاهي ومصلحة السياحة وضم الفرقة الحكومية إلى رقابة التمثيل وإنشاء فرع للدعاية بواسطة السينما والمسرح على غرار النظام المتبع في إيطاليا وهو نظام « لوتشي » وضمه إلى رقابة السينما . . .

ومما يقترحه أن يعين ملحقون صحفيون مصريون في السفارات والمفوضيات المصرية في الخارج، فتكون مهمتهم من ناحية موافاة الوزارة المصرية بما يجد من الشؤون وما يكتب في الصحف الأجنبية عن شؤون مصر المختلفة، ومن ناحية أخرى تصحيح ما يكتب في الصحف الأجنبية عن مصر وأمدادهم إدارات تحريرها « بالدعايات الموفقة عن مصر ومصلحتها ونشاطها وجوبها واستجلاب الرضاء لها وعنهما واستدعاء الزوار إليها وتجنيد المدافعين عن بيضتها الشادين بمجدها المتاجرين مع بيوتاتها المؤيدين لمقامها في الحياة والرقى »

وحبذا الحال لو عني الدكتور رفاعي بنشر موجز هذا السفر النفيس في كتيب حتى يسهل تداوله وإطلاع الشعب على مقترحاته بمنأى للفكرة التي ينطوي عليها . وليس هناك شك في أن عناية الحكومة المصرية بالحياة الثقافية العامة، لم تسر على نظام واحد، بل كانت تتراوح بين النشاط والفتور، وفقاً للاحوال السياسية وشخصية القائمين في مقاعد الحكم . فإذا استطاعت الدولة أن تنظم هذه العلاقة، بحيث تجري على قواعد معينة ثابتة من شأنها التشجيع على الإنتاج الأدبي والعلمي والفني بغير أن يكون ذلك التشجيع مقيداً بقيود سياسية مرهقة فإن مصر تحيي من ذلك خيراً كبيراً

أناشيد عسكرية لمحمود أبو الوفا

أمامنا مجموعة من الاناشيد العسكرية نظمها هذا الشاعر بوحى فطريه وليس له ما يفسح على منواله سوى ما هيأت له نفسه الوثابة وعاهة شعر بأنها تقعه عن أن يطير مع الطير ويشترك سواء مشاركة عملية في هذه الخدمة العسكرية وهذه النهضة القومية فهو مجود بما في ضميره ليضطلع بقسطه من هذا الفرض القومي

والاناشيد العسكرية في العربية قليلة في الشعر « الرسمي » (إذا استثنينا اشعار الحماسة في الصور القديمة) ولكنها شائعة في الموايا واشباهه من الغناء العربي في مختلف بلدانه ففي هذه الاناشيد القومية ما يقطر حماسة وحمة ونشاطاً وشوقاً إلى بذل الروح فداءً للاهل والوطن ولو انصفنا لاحتلنا جانباً منها محل الغناء الخنث الذي ابتلينا به في هذا العصر وهو غناء « الليل » « والعين » وسواها

فاناشيد محمود أبو الوفا تسد ناحية من نواحي هذا الفراغ وتصلح في رأي الذين طالعوها

لان تنشيد في المدارس والكتليات والاجتماعات الشعبية وفي المناسبات التي يحتاج المجتمعون فيها الى موسيقى قومية وأناشيد تؤجج نار الحماسة في صدورهم او تطابق ما يخامر نفوسهم من شعور يسعى الجميع الى إيمائه وتعزيمه في نفوس النشء فيستقبل العصر الجديد بالتزاماته ومظاهره ومزاياه بما يجب أن يستقبل به

وما برحت الموسيقى ممثلة في الشعر والغناء والالخان من أفعال العوامل في تحريك العواطف وتوجيه القوى ورفع مستوى الخلق حتى صارت جزءاً من مراسم العبادات كما هو مشهود في رتل القرآن والترايم الشائعة في بيع المسيحيين وكنائس اليهود ومعابد البراهمة والبوذيين لهذا نرحب كل رحيب بهذه الاناشيد معتقدين بأنها من باكورة اتجاه شديد الفائدة في حياة الامة المصرية

ولسنا مبالغين اذا قلنا ان ترويج هذه الاغاني القومية يجب ان يكون في طليعة الوسائل التي يتوسل بها رجال التربية والتعليم ورجال الجيش معاً
واذا كنا نشاهد الآن في دوائر وزارتي المعارف والحربية اهتماماً خاصاً بالجبهة الرياضية والعسكرية فما أحوج هذا الاهتمام الى مثل هذه الاناشيد لتكون نفوس الشباب مهياً لما تدعي اليه وحتى يكون اقدامها على التمرن العسكري ونحوه بدافع نفسي قوي فلا تشعر فيه بأنه نوع من التكليف لان كل تكليف ممقوت

١ — نشوء اللغة العربية

ونموها وأكتهاها

بقلم الاب أنستاس ماري الكرملي — طبع بالمطبعة المصرية بمصر
وهذا كتاب آخر من كتب عام ١٩٣٨ يبحث في اللغة العربية، ألفه حضرة العلامة الفاضل الاب انستاس ماري الكرملي أحد اعضاء مجمع فؤاد الاول للغة العربية . وحضرة الاب غني عن التعريف فجهاده الطويل في حياته المباركة في سبيل لغة الضاد جهاد مقرون دائماً بالتوفيق وكتاب اليوم هو رأي للأب المحترم تفتحت له وجوه البحث فيه منذ بدأ بدراسة اللاتينية في التاسع عشرة ثم بدراسة اللاتينية واليونانية في العشرين من عمره . لاحظ ان كل كلمة ذات هجاء او هجاءين في الرومية اليونانية ولم تكن من أصل منحوت ، بل من وضع أصيل ، اوتوفيقي فلا بد من ان يكون لها مقابل في العربية

ولما اقتنع الاب بفكرته أخذ يدعو لها في الصحف والوضائع والمجلات ، ويكتب الفصول الطوال والنصار مدعماً رأيه بالامثلة الكثيرة — فهو يقول ان كلمة Deus الرومانية للفظ

الجلالة أصلها الحقيقي Deu . وهو يوافق كلمة « ضوء » العربية لفظاً ومعنى . فان أماً كثيرة عبت الضوء وجعلته الهاً . ويقول ان كلمة « حذاء » العربية أصل للكلمة Hode اليونانية بمعنى نفسه . وكلمة « تنوس » اليونانية بمعنى القصيع الذي قصعه المرض فلا يشب ، أصلها كلمة « التني » العربية . وقد أخذ المؤلف بعد كثيراً من الكلمات اليونانية والرومانية ورجعها الى أصل عربي ونحن نرى ان مذهب العلامة الجليل على غرابته وبذائله على الافتراض لا على التحقيق العلمي لا يخلو من فائدة ومثمة . واذا كانت لجنة التحرير في المجمع اللغوي لم تقر حضرة الاب على آرائه فان ذلك لم يثنه عن الدعوة لها بنشرها في الكتاب الذي تتكلم عنه اليوم — وهي محاولة تدل على اقتناعه بما ذهب اليه . وفي الكتاب فصول كثيرة عن نشوء لغة قحطان . وتناظر العربية واليونانية . وتناظر الفارسية واللغات المندثرة القديمة للعربية ، والمغرب او الدخيل ، وشروط الاخذ من لغة ، وغيرها وبعض هذه الفصول معروف لدى الذين يعرفون شيئاً من فقه اللغة العربية . وبعضها — وهو الخاص بتناظر العربية مع غيرها — يرجع الى اجتهاد الاب الفاضل أما الفصل عن الحرب بين السكك العربية والغربية والفصل الذي يليه عن الدخيل وأيه يقتل وأيه يستحيا ، فلنا فيه كلمة صغيرة . فان الاب الفاضل يفرض على اللغة العربية بعض الدخيل ككلمة « بك » و « تَلْفُون » بفتحين . ويستتبع — في ذوقه هنا — كلمة التلفزة للرؤية عن بعد وأصلها Television ويفضل عليها كلمة المباشرة ، وكلمة تلغراف مع انهما جارتان على الوزن العربي فالاولى على وزن فَعْلَلَة والثانية على وزن فِعْلَال .

ولا ادري لماذا يُحَل الاب شيئاً ويحرم شيئاً آخر أحل مثله ؟ على ان المسألة مسألة ذوق واستعمال . وقد سارت الآن كلمة التلفزة والفعل تلفز وخفت على السمع فلا معنى لتحريمها وما دامت الكلمة عن العربية فاننا نسأل الاب الفاضل — مع الاحترام العظيم — لماذا يدخل الالام على جواب لو المنفي بما والاصح والافصح تجر يده منها ؟ هل يذهب حضرة مذهب القائل — وهو ضعيف — « ولو نعطى الخيار لما افترقنا »

ولماذا يستعمل عدة بمعنى كثيرة والمعروف ان عدة معناها عدد قال تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً » . ولماذا يقول (أن نفس الكلمة اليونانية) ولا يقول (أن الكلمة اليونانية نفسها) حتى يتم التوكيد المعنوي على اصله ؟

لقد تعمّد حضرة الاب سماع النقد حتى مرد عليه كما يقول في اول كتابه ونحن نرجو ان تبر المناقشة حول هذا الكتاب ما يحلو الحقيقة فان آراء مؤلفه بنيت على الافتراض اكثر مما بنيت على اليقين . . . ولعل هذا هو السر في عدم موافقة المستشرقين عليها

[المقتطف — يرى الاب انستاس ان لفظ « تلفزة » تعريباً للتلفزيون الاعجمية وضعه من

« من فسد ذوقه العربي » وسيادته يفضل لفظ المباشرة استناداً الى الجوهري في صحاحه قال :
 « باصرته اذا اشرفت تنظر اليه من بعيد » . ولما كان المقتطف اول من استعمل « التلفزة »
 فيجدر بنا ان نقول ان التعريب جرى عليه العرب في القرون الاولى فقالوا قاطغوريوس وما لخبوليا
 وايساغوجي وارتماطيقا والاسطرلاب والاقرباذين وغيرها . وغني عن البيان ان هذه الالفاظ
 أمقل وقماً على اللسان العربي من « تلفزة » الجارية على الاوزان العربية اسماً وفعلاً ومصدراً
 مع عدم تنافر حروفها . اما المباشرة فقد جاء في اللسان . باصره نظرمعه الى شيء أيهما يصره
 قبل صاحبه . واورد ابن منظور ايضاً قول الجوهري الذي اورده الاب المحترم . ومن السهل
 ان تقول « المباشرة » تقابل « التلفزة » ولكن هل للاب المحترم ان يستعمل هذا اللفظ
 او ما يشق منه للدلالة على عمل رجل ينقل مشهد وصول جلالة الملك الى قصر عابدين مثلاً ،
 بالتلفاز المرسل فيرى المشهد في التلفاز المستقبلية في دائرة واسعة . ويقول الاب ان الفيزياء
 « مسخشنيع » لعلم الطبيعيات Physics فما قوله في الكيمياء ؟ ويقول ان الفسيولوجية « علم مظاهر
 الحياة » والذي نعلمه ان تعريف هذا العلم في كتب العلماء هو علم وظائف الاعضاء . راجع
 مادة Physiology في معجم دورلند الطبي

ويقول ان الفونوغراف آلة تلتقط الصوت وتلفظه فهي « اللاقطة » . ولكن الآلة
 اللاسلكية التي تلتقط الامواج اللاسلكية وتحولها أصواتاً « لاقطة » ايضاً ولكنها ليست فونوغرافاً .
 والآلة اللاقطة في « التلفزة » تلتقط الامواج اللاسلكية وتحولها نقطاً من الضوء تجتمع صورة
 واضحة . فهل نستعمل لفظ لاقطة لجميع هذه الاجهزة المختلفة ؟ وماذا نفعل بلاقطة المثل العربي :
 « لكل ساقطة لاقطة » !

٢ — مقدمة لدرس لغة العرب

تأليف عبد الله العلايلي — عدد صفحاته ٢٥٦ طبع بالمطبعة المصرية

الرغبة في اصلاح اللغة العربية وتيسير قواعدها وجعلها موافقة لمقتضيات العصر الحاضر هي
 رغبة أخذت من اللغويين والمصلحين محلها من العناية . ومتى انعقدت النية على الاصلاح وانفتحت
 الآراء على التيسير فان الطريق الى تنفيذ هذه النية — طال أم قصر — موصل الى نتيجة
 يرضى لها ابناء العروبة

والكلام في اصلاح اللغة العربية يشمل نواحي كثيرة : يشمل الخط العربي والاستغناء
 عن الشكل بحروف تقوم مقامه كما في اللغات الاوربية . ويشمل قواعد الاملاء نفسها والاتفاق
 على توحيدها . ويشمل تعريب الالفاظ الاعجمية او ادخالها في اللغة العربية مع ملاحظة جعلها
 ملائمة للاوزان العربية . ويشمل تيسير قواعد النحو والصرف تيسيراً يسهل دراسة اللغة وينزل

الصعوبة القائمة الآن في سبيل تدريسها . ويشمل تدريس علمي المعاني والبيان على طريقة يتبين بها جمال الاسلوب العربي لا على طريقة ميكانيكية يسقم معها الاسلوب ويفسد بها الذوق الادبي . وكتاب الاستاذ عبد الله الملايلي يعد محاولة في سبيل الاصلاح اللغوي . وموضوعات الكتاب تدل على احاطة مؤلفه بأطراف الموضوع احاطة واسعة . ولا شك ان حضرة المؤلف الفاضل قد قرأ كثيراً من كتب اللغة والنحو . وليس كثيراً من الصعوبة البادية فيها . ولذا كانت آراؤه آراء الخبير العارف والمطلع الواقف

ومؤلف هذا الكتاب من أنصار مذهب التوسع والسماحة في اللغة . يدل على ذلك المقدمة التي كتبها حضرة الاستاذ اسماعيل مظهر . ويدل على ذلك أيضاً الروح التي تنساب في خلال الكتاب . ولكنني أخشى ان تفضي كثرة التوسع في اللغة الى فوضى في استعمالها وعدم احترام لقواعدها . وأخشى ان تكون الاخطاء النحوية في هذا الكتاب نتيجة هذا التوسع ! وأحسن الظن بالمؤلف الفاضل وأقول لعل هذه الاخطاء مطبعية .. ولو لم يشر اليها في ذيل الكتاب ... وفي الكتاب فصل عن تخصيص الموازين في العربية . ولعله احق فصول الكتاب بأن تقف عنده . فالمؤلف الفاضل — كما قلنا — من انصار التوسع في اللغة . إنه يميل الى الاشتقاق على اوزان وان كانت عربية الاً انها ثقيلة النطق ثقيلة على السمع . ويكفي للدلالة على ثقلها ونوبها ان كثيراً من هذه الموازين لم يحظ بأكثر من بضع كلمات في العربية

خذ مثلاً وزن «ففععل» . فأشهر الكلمات الواردة منه غضنفر وسجنجل (للرآة) . وهذه الثانية لا تستعمل . ولن يكتب لها الاستعمال والبقاء في اللغة . ولولا ورودها في معلقة امرىء القيس ما سمع لها احد . ويخيل اليّ ان الواضعين الاولين لهذه الاوزان الغريبة في اللغة العربية قصدوا منها الى التوسع والاثراء اللغوي . كما يقصد حضرة الاستاذ الفاضل مؤلف كتاب اليوم . الاً انهم خضعوا في النهاية لاذواق الناس . ولم يخضعوا ذوق الناس لاشتقاقاتهم الغريبة والاّ فما الحكمة في ان تموت مئات كثيرة من وزان هذه الموازين ويتناساها المتكلم العربي ويودعها غير آسف على فراقها ؟

الحق ان بعض الموازين التي يرى المؤلف صوغ كلمات جديدة على مثالها مألوف مقبول . وأنا ابشره ان مثل هذه الموازين لو وجدت من يدعو لها لكانت ثروة تنسب الى يده . والحق أيضاً ان بعض هذه الموازين غير مألوف وغير مقبول في السمع ، ولعلي أجيد كثيرين يوافقوني على ان كلمات سخطحات ، صَوَرَتِي (من يتصور بكل صورة أرادها) « حَرَكَان (للبالغ الحركة) وعُجْهَسَة (للمتكبر) ، اجْتَنَدَب (للمعدن الممغنط) لا تحلو في النطق ولا السمع عني المؤلف بمسألة الخط العربي ومسألة الشكل بالحروف . ومن المصادفات السعيدة ان

يكون من قرارات مجمع فؤاد الاول للغة العربية في دورته الخامسة قرار بتأليف لجنة « مهمتها وضع طريقة لكتابة الكلمات العربية بدون شكل بحيث يكون النطق بها صحيحاً خالياً من اللحن وتحديد مهمتها على ألا يخرج في ابتكارها على الأصول العامة في اوضاع كتابة العربية » وطريقة المؤلف ان يؤلف الخط الجديد من خطوط اربعة : الثلث للحروف المضبوطة والنسخ للمفتوحة . وخط الرقعة للساكنة والفارسي للمكسورة ... ومعنى ذلك أن كلمة « منزل » مثلاً تكتب بأربعة انواع من الخط في آن واحد !! ولا يخفى ما في ذلك ايضاً من الصعوبة التي أحسها حضرة المؤلف ثم اعتذر لها بالتعبيد مع المرانة

وأنا لا أحيل الاستاذ على شيء أكثر من ذوقه السليم وأسأله ان يلقى نظرة أخرى على النموذج الذي وضعه في صفحة ٣٨ ليرى انعدام التناسق والجمال الخطي فيه ...

وللمؤلف الفاضل اقتراح في سبيل توحيد الثقافة العربية ووجوب اشتراكها في امور ثلاثة اللغة والقانون والثقافة العامة . والغاية من هذا الاقتراح سامية نبيلة . ولكن قد يكون تحقيقها حلاً . فليست الصعوبة كما اعترض عليه بعضهم — في انشاء مركز لهذه المؤسسات فحسب ولكن الصعوبة في المال وفي فقدان الاستقلال وفي اختلاف حالات التقاضي باختلاف البلدان العربية

اما المعجم الجديد الذي ينوي المؤلف الفاضل اخراجه ، واتى بنماذج منه في ذيل كتابه فهو خطوة أخرى من خطوات الاصلاح الذي يفيض به قلبه واذا جاز ان يكون لنا رأي فيه — كما هي الغاية من عرض بعض نماذجه — فاننا نشير بأن يكون مصوراً . وبذلك يخرج المؤلف ويخرجنا جميعاً من مأزق يعرفه الذين يكشفون عن المعاني في المعاجم العربية . وتضع هذه العبارة « حيوان معروف — أو نبات معروف » ويشهد الله أنهما مجهولان حتى لو اضع المعجم

وهناك مسألة أخرى وهي الاسم والصفة فقد خلط المؤلف بينهما خلطاً نرى من الخير أن نشير اليه قبل ان يمضي حضرته في انقاذ المعجم فهو يقول أن (الأبدوان) صفة وهو اسم . يقول (الابتوة) صفة وهي اسم لأنها تؤلولة الحروق . ويقول أن (المثبت) بكسر الميم صفة وهو اسم ايضاً لأنه الحديد لاذكاء النار . واذا كان حضرته يقول في نموذج معجمه ان « المثبر » اسم وهو آلة حفر الآبار فما باله يقول ان « المثبت » صفة مع انها آلة اذكاء النار ؟

في النماذج التي عرضها حضرته كثير من هذا . وهو بلا شك سراج عبقه فيها قبل انجازها . وأرجو ألا يحمل رأينا في كتابه إلا على حسن الظن ، وخلص النية . فنيته في سبيل العربية نيتنا . وغايته غايتنا . وما دمننا قد اجتمعنا في النية واحمدنا في الغاية ، فالطريق على اختلافها لا ممة . والجواد جامعة . والله يوفقه ويوفق كل مصلح

٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر

للمؤرخ العربي الكبير ابني الحسن بن علي المسعودي
طبع في دار الرجا للطبع والنشر بالقاهرة

تاريخ المسعودي من التواريخ المعتمد عليها في الدوائر التاريخية عند المسلمين وغيرهم، وقد استحق مؤلفه بجدارة لقب امام المؤرخين كما ذكر ذلك صاحب تاريخ ابن خلدون . واطلق عليه بعضهم لقب « هيرودوت العرب » وهو خليف بذلك كله . فانه - على غير غرار بعض المؤرخين والرحالين - يميل كثيراً الى التحقيق العلمي ولا يقبل ما يسمعه على علاته وانما يناقشه مناقشة العالم المفكر فيقبله أو يرفضه . ومما يؤيد ذلك الفصل المتع الذي كتبه عن اخبار انتقال البحار واخبار الانهار . فهو فصل يعد مقدمة لآراء الجغرافيين المعاصرين أمثال ددلي ستامب ولايك في المحيطات والقارات

وقد سخر المسعودي في هذا الفصل من الجاحظ لزعمه أن نهر السند يأخذ مياهه من النيل ورماء بأنه خاطب ليل . وذكر منابع السند ونباع النيل والاقليم التي يمران فيها ووصف جنادل النيل وبحيرات الدلتا

والبروفسور نيكلسون من المعجبين كثيراً بالمسعودي وكتابه وقد خصه بأكثر من موضع في كتابه المشهور (تاريخ الادب العربي) . ويقول فيه ^(١) « كل ما كتبه المسعودي ولو انه نوزه وحدة الجمال التي تميز كتابات مؤرخي اليونان الا انه يرينا روح التحقيق واتساع العقل والبل الى تسجيل الحقائق من غير هوى ووصف العجائب التي رآها او سمع بها والتجارب الناجحة ونظرته الواسعة الى الحاضر والماضي »

وقد اطلعني المستشرق الفاضل المسيوب . ه ستريكو الهولندي على كتاب الاستاذ Gibb في الادب العربي وفيه وصف لمروج الذهب (بانه ليس في اللغة العربية أمتع من هذا الكتاب) والطبعة التي بين ايدينا الا ان لهذا الكتاب النفيس أشرف عليها بالتصحيح والضبط والتعليق حضرة الاستاذ محي الدين عبد الحميد المدرس بالازهر . وهو عالم فاضل عرف بنشاطه في عالم النشر والتأليف

ولم أطلع على غير هذه الطبعة التي اكلم عليها اليوم حتى يمكن المقارنة بينها وبين ما طبع قبل ذلك . ولكني سمعت من المسيوب . ستريكو ثناء عظيماً على طبعة المستشرق باريه دي مينار في باريس سنة ١٨٧٢ . فعسى ان تلقى هذه الطبعة الجديدة ما تستحقه من عناية الباحثين والقراء

محمد عبد الغني حسن

(١) تاريخ الادب العربي لنيكلسون ص ٣٥٣ طبعة ثالثة

اعترافات فتى مصر — لافريديدي موسيه

هكذا تكلم زرادشت — لفريديريك نيتشه

ظاهرة جديدة في اتجاهنا الادبي خلية بالتسجيل لدلائها على يقظة النفس وشعورها بالحاجة الماسة الى النقل عن الغرب والنهل من ينابيع آدابهِ المتفجرة وعلومهِ الفياضة ، وهذه الظاهرة التي نسجلها بفرح واطمئنان هي كطلائع الربيع ، زهرات جميلة تفتت براعمها فأبرزت بعض وجوه من جمال أنوارها في الموسم السعيد الذي يحق ان نسميه « موسم الترجمة »
أمامي عشرة كتب في الادب ، والفلسفة ، وعلم النفس ، وفن الرواية ترجمها ادباء أفاضل عن اللغات الاجنبية لا عاظم أعلام الفكر من معاصرين وخالدين . قرأت بعضها ، وإذ كنت أتصفح البعض الآخر ، حضرني خاطر فقلت : اليس واجب الناقد ان يقف طويلاً حيال هذه الكتب المترجمة يأخذ مترجمها بالقسط ، يحاسبهم بالدقة والضبط ، لا يتهاون إلا ؟ فيما لا حيلة له إلا ؟ فيه ؟ وهل يحول بعد صيت المؤلف والمترجم دون مناقشتهم وقد ساهبا في زيادة ثروة المكتبة العربية ؟ وهل اذا انتصب شيطان الشك وقامت قيامة الظنون فلا ادفعها او أردتها إلا بنهوض الدليل على صدق الترجمة وصحتها وهي الاصل في عمل الترجمة ؟ هذا ما سألتزمه مع صديقي الفاضل الاستاذ فلديكس فارس مترجم « اعترافات فتى مصر » لافريديدي موسيه و « هكذا تكلم زرادشت » لفريديريك نيتشه لقد وقفت من قبل مع الاستاذ فارس حين ترجم قصيدة « رولا »^(١) لموسيه ، ولقد وقفت طويلاً عند هذين الكتائين اراجع الاصل الفرنسي واقارنه بالترجمة العربية نظير ما فعلت من قبل ، فتبين لي ان مترجم « رولا » الصادق ، الذي استطاع ان يتداخل روح الشاعر ويلبس ذاتيته ، ويسير معه على نفس واحد في مراحل القصيدة الكبيرة كلها ، لم يواته التوفيق كله في هذه المرة ، ولم يسعفه الاستعداد النفساني ، فاحتق المؤلف وبرز المترجم تسألت عن بواعث هذا الاضطراب ، فبدأ لي ما يبرر عمل الاستاذ فارس في ترجمة نيتشه ، وما يضاعف تبعته في ترجمة موسيه . لقد انساق صاحبنا ، ولا أدري كيف تم ذلك ، الى ترجمة « هكذا تكلم زرادشت » دون الرجوع الى كتب نيتشه الذي يعدها كبار النقاد كمفاتيح لا بواب المسالك المؤدية الى كتاب زرادشت ، فاختراله الطريق بتخطي الحواجز ، ألقاه وجهاً لوجه أمام نيتشه الشاعر المجنح الرمزي العويص ، الفيلسوف العميق المعقد المتمرد والثائر الذي « لم يكن مفكراً منطقياً وانما كان مفكراً يرسل الكلمات بمنحة والحكم الجامعة في أسلوب قوي حار تشرق في جوانبه لمعات العبقرية واضواء الالهام » فأخذ يماشي نيتشه الجبار العملاق وآثار الاعياء

بادية في خطواته . واكبر الظن انه لو تيسر للاستاذ فارس قراءة بعض مؤلفات نيتشه « كفجر الاصنام ، والمسيح الدجال ، وماوراء الخير والشر ، ومشية القدرة ، والمسافر وظله ، وانسان كثير الانسانية » لاستطاع بسهولة مماشاة نيتشه الجبار العملاق جنباً الى جنب بعض المرحلة لا كلها إذ يتعذر انسجام انسان منكر ، ملحد ، خالق مع من تكون خواصه النفسية والثقافية عكس ذلك أما ما لا يمكن تسويغه ، فهو تهوانه في ترجمة « اعترافات فتى العصر » تهواناً لا يرضاه مترجم نصيدة « رولا » الخالدة ، وليس لناقد مهما تكن صلة الود وثيقة العرى بينه وبين صديقه المترجم ان يصيح بسمعه الى الاعتذار (بالوقت) لانه كان يترجم الفصل بنصف ساعة تلبية لداعي النشر ، وأحسب ان الاستاذ فارس سيغير ويبدل جملاً برمتها من كتاب الاعترافات متى تيسر له طبعه طبعة ثانية وعسى ان يتاح له ذلك

بقي لي ان اقول انه طاب لصديقنا الاستاذ فارس ان يمهّد للكتابين بما لا نقره على بعض ما جاء فيهما ، فحالة جيلنا الحاضر بناشئته الجديدة ليست في مثل ما كانت عليه الناشئة الفرنسية قبل مائة عام في حيرة وألم ، وان جيلنا لم يلبسهُ روح الاحاد واليأس والشكوك كذلك الروح الذي بثهُ فولتير ، وجيته ، ويرون في القرن الماضي وما قبله

والذي يهمني ان اقله في التهيد لكتاب نيتشه أن ليس للمرحوم مصطفى صادق الرافعي ولا لسواه ممن ذكر من اسماء ادياء معاصرين ان يكونوا حافزين على ترجمة كتاب زرادشت ، فان كان ثمة من واجب لذكر الحافظ فمرجه بلا ريب الى الاديب الفاضل المرحوم فرح انطون فرح الذي هدانا الى نيتشه ورينان واضراهما من جيايرة الفكر ، وأما في ما خلا ذلك فكتاب زرادشت سيقى منهلاً صافياً عذباً يرده آلاف من العطاش لا ترويه سوى الكتب المترجمة حبيب الزحلاوي

الفؤاديات

للمرحوم فؤاد محمد بك — صفحاته ١٥٩ من القطع الوسط

جمع الاديب عبد القادر يوسف شهاب الدين الطالب بكلية الحقوق الملكية قصائد المرحوم فؤاد محمد بك في ديوان اسماء الفؤاديات استهلها بكلمة عن حياة صاحب الديوان وشعره وثقافته ونظرة في الديوان تدلنا على شاعرية صاحبه وأريحيته وشدة حبه وتقانيه في خدمة اهله واصدقائه ونذكر على سبيل المثال ابياتاً قالها تدل على سمو أخلاقه

أبلى لي يسري وغيري معسر	ويطيب لي نومي وغيري يسهر؟
وأبيت ما بين الحرير منعماً	وسوأي يفتش التراب ويصبر؟
سبحانك اللهم انك مالك	المالك تعطي من تشاء وتقدر

فهرس الجزء الاول

من المجلد الرابع والتسعين

وجه	
١	الدمقراطية في العصر الحاضر [محاضرة رئيس تحرير المقتطف في بهو بورت بالقاهرة]
١٢	الشيوخ والشبان بين المطرقة والسندان : للدكتور امير بقطر
١٧	محسنة الى الانسانية : مشاهله رائعة من حياة مدام كوري
٢٢	الالكترتون نشوء فكرته وتحقيق وجوده : لمصطفى نظيف بك
٣٦	الدولة والفرد : توطئة لبحث المذاهب السياسية في هذا العصر : لعلي ادهم
٤١	ثقافة الغرب وثقافة الشرق الادنى : للدكتور ستيوارت ضد د . ف .
٥٠	تحويل العناصر : اسلوب المختبرات العلمية في صنع ذرات جديدة
٥٤	خليل مطران شاعر العربية الابداعي : للدكتور اسماعيل احمد ادهم
٦٤	العودة (قصيدة) : للهمشري
٦٥	عالم الروح والعلم الحديث : لاحمد فهمي ابو الخير
٧٢	السكون بعد النغم (قصيدة) : لعبد الرحمن شكري
٧٣	ضباط امير كيون في الجيش المصري : لليوزباشي عبد الرحمن زكي
٧٧	السرطان والمرأة اعراضه وتشخيصه : للدكتور فيليب الاشقر
٨٢	المشادة بين الانتداب والاستقلال : لانيس المقدسي
٩٩	حديقة المقتطف * باقة اشعار . ابتهاج . القيود . افراح هامة . على ضفة الماء . اذا استطعت : للشاعر الفرنسي سوللي برودوم . نقلها خليل هنداوي
١٠٣	سير الزمان * الشؤون الدولية في سنة ١٩٣٨ . حوادث فبراير . استقالة ايدن واتفاق روما . الانشولوس . اضطراب الوزارات الفرنسية . الطريق الى مونيخ ومنها . من وشفطن الى ليا . الحربان في اسبانيا والصين . جنون التسليح . اقطاب الرجال
١١٥	المراسلة والمناظرة * الطبيعة الميتافيزيقية والعلوم التجريبية : لعلي حافظ
١١٧	باب الاخبار العالمية * القنادس كعامل جيولوجي . جائزة نوبل الطبيعية ١٩٣٨ للعالم الايطالي أنريكو فرمي . جائزة نوبل الكيمياء . جائزة نوبل الادبية . زرع سرطان بشري في عيون الارانب
١٢١	مكتبة المقتطف * رائدان . وزارة الدعاية . أناشيد عسكرية . نشوء اللغة العربية . مقدمة لدرس لغة العرب . مروج الذهب ومعادن الجوهر . اعترافات في العصر . هكذا تكلم زرادشت . الفؤاديات